# شرح

# أصول السنة

ⓒعبد العزيز بن عبد الله الراجحي ، ١٤٣٦ هـ

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

الراجحي ، عبد العزيز بن عبد الله
شرح اصول السنة للامام احمد بن حنبل. / عبد العزيز بن عبد الله
الراجحي - ط٢. .- الرياض ، ١٤٣٦ هـ
٢٦٤ص ، ١٧X ٢٤سم

ردمك :٧-٧٨٦٦-١-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الاسلامية ٢- التوحيد أ.العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٦/٤١١٧

رقم الإيداع : ١٤٣٦/٤١١٧

ردمك : ٧-٧٨٦٦-١-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تم الصف والإخراج

بمركز عبد العزيز الراجحي للإستشارات
والدراسات التربوية والتعليمية

+966 55448475
0114455995 fax: ext. 108
sh.azizcenter@gmail.com
www.shrajhi.com.sa
+966 551818751
Abdulaziz alrajhi
@Abdulazizcenter
@Shrajhi

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٨)

# شرح أصول السنة

## للإمام أحمد بن حنبل

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله، أشهد أنه رسول الله إلى الثقلين الجن والإنس إلى العرب والعجم، وأشهد أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وعلى أتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن رسالة: «أصول السنة» لإمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي في تقرير مذهب السلف - رحمهم الله - في قضايا الاعتقاد، ومن المعلوم أن مذهب السلف الصالح - الصحابة والتابعين - أنهم يؤمنون بالكتاب والسنة، ويؤمنون بالأسماء والصفات، ويمِرُّونها كما جاءت، ولا يؤولون ولا يحرفون، كأهل البدع.

وأهل البدع ظهروا في أواخر عهد الصحابة، ومن هؤلاء: الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية، والأشعرية والقدرية

وغيرهم[١]، فهؤلاء هم فرق الضلال الذين انحرفوا عن الجادة وضلوا عن الصراط المستقيم، وهم أقسام: فمنهم الكافر، ومنهم المسلم. هؤلاء أهل بدع قد تكون بدع مكفرة تُخرج الإنسان من الملة، كبدعة القدرية الأولى الذين أنكروا العلم والكتاب، وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم بالأشياء حتى تقع. فهؤلاء كفرهم الصحابة؛ لأنهم نسبوا الله إلى الجهل، قالوا: إن الأمر أنف مستأنف وجديد، كفرهم الصحابة كابن عمر رضي الله عنهما وغيره، ثم انقرضوا وبقيت الفرقة المتوسطة الذين يؤمنون بالعلم والكتاب ولكنهم ينكرون عموم الإرادة والمشيئة وعموم الخلق، فأخرجوا أفعال العباد من مشيئة الله وخلقه، لشبهة عرضت لهم.

ومثل أيضًا الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات في الحقيقة جحد الأسماء والصفات ينتج العدم؛ فهم ما أثبتوا ذات، والذات لا وجود لها إلا بالأسماء والصفات، ولهذا كفرهم من العلماء خمسمائة عالم، كما قال العلامة ابن القيم[٢] رحمه الله:

وَلَقَد تَقَلَّدَ كُفرَهُم خَمسُونَ في ... عَشرٍ مِنَ العُلَمَاءِ في البُلدَانِ
وَاللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنهُم ... بل قد حَكَاهُ قَبلَهُ الطَّبَرَانِي

وكذلك الرافضة كفرهم العلماء، وأخرجوهم من الثنتين والسبعين فرقة[٣]، والرافضة هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: هما وزيرا جدي رسول الله، فرفضوه،

---

(١) انظر: في بيان هذه الفِرق (الفرق بين الفِرق)، للبغدادي، و(الفصل في الملل والنحل).
(٢) انظر: شرح النونية (١/ ٢٩٠).
(٣) وفي هذا حديث صحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»**.
أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٧،٦٧٣١).

فقال: رفضتموني؛ وسموا بالرافضة، وكانوا قبل ذلك يسمون بالخشبية، **وهؤلاء وقعوا في ثلاثة أنواع من الكفر:**

النوع الأول: أنهم يعبدون أهل البيت؛ علي وفاطمة والحسن والحسين فيدعونهم ويتوسلون بهم وهذا شرك.

النوع الثاني: أنهم كذبوا الله بأن القرآن محفوظ؛ فقالوا: إن القرآن ليس بمحفوظ، ما بقي إلا الثلث، وثلثا القرآن طار وذهب، ويدّعون أن عندهم مصحفاً يسمى: مصحف فاطمة، يعادل المصحف الذي بين يدي أهل السنة ثلاث مرات، والله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] فكذبوا الله في هذا، ومن كذب الله كفر.

النوع الثالث: أنهم كفروا الصحابة، والله تعالى قد زكاهم وعدّلهم، ووعدهم بالجنة، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النّساء: ٩٥]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «**لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»(١) فكذبوا اللهَ ورسوله، وقالوا: إنهم كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ.

هناك فرق مبتدعة، هناك فرق الشيعة: الزيدية وغيرهم.

هناك المعتزلة، الجمهور على أنهم مبتدعة وهناك من كفرهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٢)، كلهم عن جابر بن عبدالله ﷺ.

هناك الأشاعرة مبتدعة، وهكذا.

فالإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ في هذه الرسالة يقرر مذهب أهل السنة والجماعة، ويبين مذهب أهل البدع، وأنهم مخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة، ومعروف أن الإمام أحمد هو إمام أهل السنة والجماعة، وقد امتحن في مسألة القول بخلق القرآن فثبته الله، وصبر على الأذى والسجن والضرب، حتى نصره الله، كما قال بعض العلماء[١]: إن الله تعالى حفظ الإسلام بأبي بكر الصديق يوم الردة، وحفظ الإسلام بالإمام أحمد يوم المحنة.

كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

(١) هو علي بن المديني، انظر: السير (١١/١٩٦).

# فصل في الحث على العلم

إن خير ما أنفق فيه الإنسان عمره وأوقاته وأنفاسه طلب العلم وتعلم العلم وتعليمه، الذي هو من أفضل العبادات وأجل القربات، والذي قرره أهل العلم أنه أفضل من نوافل العبادة، فتعلم العلم وتعليمه أفضل من نوافل العبادة، فإذا تعارضت نافلة من نوافل العبادات، كالصلاة والصيام أو الحج، مع تعلم العلم وتعليمه، فإن تعلم العلم وتعليمه مقدَّم، وما ذاك إلا لأن نوافل الصلاة والصيام، والزكاة والحج، قاصر نفعه على صاحبه. أما العلم تعلمًا وتعليمًا فإن نفعَه متعد؛ لأن الإنسان إذا تعلم وتبصر وتفقه في شريعة الله رفع الجهل عن نفسه، لأن الأصل أن الإنسان لا يعلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، وقال ـ سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ـ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧].

فالأصل في الإنسان أنه لا يعلم، ثم يتعلم، ويتبصر فيرفع الجهل عن نفسه، ثم يرفع الجهل عن غيره، وبهذا يكون الإنسان إذا تعلم وعمل، ثم نشر علمه وصبر على الأذى يكون من الرابحين، الذين استثناهم الله في قوله سبحانه: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣] فأقسم الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهو الصادق أن جنس الإنسان في خسارة ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ **إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع:**

١ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والإيمان مبني على العلم والبصيرة.

٢ ـ ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

٣ ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ هذه الدعوة إلى الله ونشر العلم.

٤ ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

هؤلاء هم الرابحون أهل السعادة، أسأل الله أن يجعلنا منهم.

فلابد لطالب العلم أن يستشعر هذا الأمر وأنه في عبادة، وعليه أن يخلص لله ﷻ في عبادته، فإذا كان تعلُّم العلم وتعليمه من العبادات العظيمة، فعلى أهل العلم أن يخلصوا أعمالهم لله ﷻ، لأن العبادة لا تصح ولا تكون نافعة، ولا مقبولة عند الله، حتى يتحقق فيها ركنان أساسيان، ولابد منهما في كل عبادة، تتعبد بها لله ﷻ صلاتك وصيامك، وزكاتك وحجك، برك للوالدين وصلتك للرحم، وتعلمك وتعليمك للعلم، لابد أن يكون خالصًا لله، مرادًا به وجه الله، وأن تكون متابعًا في ذلك لرسول الله ﷺ فهذان ركنان أساسيان لا تصح أي عبادة إلا بهما، قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، والعمل الصالح ما كان لله، والعمل الذي ليس فيه شرك، ما كان خالصًا لله: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢]، وإسلام الوجه هو الإخلاص لله قال - سبحانه وتعالى -: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

وثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(١)]، قال أهل العلم: هذا الحديث نصف الدين؛ لأن الدين ظاهر وباطن، وهذا الحديث فيه بيان حكم الباطن «**إنما الأعمال بالنيات**» النية أمر باطني «**وإنما لكل امرئ ما نوى**» وهذا الأصل، وهو أن يكون العمل خالصًا لله، هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا تخلف حل محله الشرك.

(١) أخرجه البخاري (١، ٥٤)، ومسلم (١٩٠٧).

ودل على الأصل الثاني ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ﵂، أن النبي ﷺ قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[(١)] وفي لفظ لمسلم: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[(٢)] هذا يتعلق بالظاهر.

فإذا تخلف الاتباعُ للنبي ﷺ حلَّ محله البدعة، فلا بد للمسلم أن يصحح نيته، ويجاهد نفسه في إخلاص العمل لله ﷻ حتى يكون العمل مقبولا ومباركاً ونافعا عند الله. أما إذا دخل العمل الشرك كالرياء، وخالطه وخامره فإن العمل يكون باطلًا.

**- أنواع الرياء:**

**النوع الأول:** الرياء الذي يكون شركًا أكبر كرياء المنافقين، الذين دخلوا في الإسلام نفاقًا كعبدالله بن أُبي وغيره، في زمن النبي ﷺ هؤلاء أشركوا شركًا أكبر، فأعمالهم حابطة، ولا يقبل منهم أي عمل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٥].

**النوع الثاني:** رياء أصغر رياء يسير وهو الذي يصدر من المؤمن، فالمؤمن أسلم لله، فدخل في الإسلام لا نفاقًا، بل دخل في الإسلام عن إخلاص وصدق، ولكنه يرائي في بعض عمله، يرائي في صلاته، أو في صيامه، أو في حجه، أو في زكاته، أو في تعلمه أو تعليمه، فيكون هذا الرياء، يحبط العمل الذي قارنه فقط، لكن إذا كان الرياء خاطرًا فدفعه الإنسان وطرده واستعاذ بالله من الشيطان فإنه لا يضره، أما إذا استرسل الرياء واستمر إلى آخر العمل وآخر العبادة **فقيل:** إنه

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

يحبط العمل، وقيل: يجازى بنيته الأولى.

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جرئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعمله وقرأ القرآن فأُتي به، فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليُقال عالم، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليُقال هو جوار. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار**»[١].

**فهؤلاء الثلاثة ما الذي جعل أعمالهم - وهي في ظاهرها عبادات عظيمة - تنقلب وبالاً عليهم؟**

**الجواب**: النية السيئة، الرياء، أرادوا بأعمالهم غير وجه الله، وإلا لو كانت أعمالهم خالصة لله، لكانت منزلتهم عالية.

فالعالم أو القارئ لو كان عمله خالصًا لله، لكان من الصديقين، الذين يلون مرتبة الأنبياء، والذي قتل في المعركة لو كان مريدًا بجهاده وجه الله لكان من الشهداء، الذين يلون مرتبة الصديقين، والمتصدق الذي أنفق أمواله في سبل الخيرات، لو كان مخلصًا لله لكان من الصالحين، الذين يلون مرتبة الشهداء؛ **لأن المؤمنين الذين أنعم الله**

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

**عليهم بالعلم والعمل لهم أربع مراتب:**

المرتبة الأولى: مرتبة الأنبياء.

المرتبة الثانية: مرتبة الصديقين.

المرتبة الثالثة: مرتبة الشهداء.

المرتبة الرابعة: مرتبة الصالحين.

قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

إذن: فعلى طالب العلم أن يجاهد نفسه في تعلمه وتعليمه، حتى يكون يريد بذلك وجه الله والدار الآخرة لا رياء ولا سمعة، **والنية هي أساس العمل، وإصلاح النية من أصعب الأمور**، قيل للإمام أحمد: كيف ينوي في طلبه العلم؟ قال: (ينوي رفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن غيره) يعني: لا يريد الدنيا، ولا المال، ولا المناصب، ولا الجاه، ولا الشهرة، ولا الوظيفة، وإنما ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره، يتعلم العلم لله، وفي الحديث: «**من تعلم العلم ليماري به العلماء أو ليجاري به السفهاء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فله من علمه النار**»(١) أو كما ورد في الحديث عن النبي ﷺ.

فلابد لطالب العلم والمعلم أن يستشعر العبادة العظيمة، وأنه في عبادة من أجل العبادات وأشرف القربات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ.

---

(١) أخرجه الضياء في المختارة (٢٤٨٠، ٢٤٨١)، عن أنس ﷺ، وفي الباب عن ابن عمر ﷺ أخرجه ابن ماجه (٢٥٣)، وعن جابر ﷺ أخرجه ابن ماجه (٢٥٤)، والبيهقي في الشعب (١٧٧١)، وعن حذيفة ﷺ، أخرجه ابن ماجه (٢٥٩)، وعن أبي هريرة ﷺ أخرجه ابن ماجه (٢٦٠)، وعن كعب بن مالك ﷺ أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وغيرهم.

* **العلم ثلاثة أنواع:**

١ ـ علم بالله.

٢ ـ علم بدين الله.

٣ ـ علم بالجزاء يوم القيامة.

هذه هي أنواع العلم، أشرف العلوم العلم بالله، العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله؛، لأن شرف العلم من شرف المعلوم أن تعلم أن ربك سبحانه وتعالى موجود، وأن له ذات لا تشبه الذوات، وأنه فوق العرش مستو على عرشه بائن من خلقه، وأنه كامل في ذاته، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن الله لا يماثل أحدًا من خلقه لا في ذاته، ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، هذا هو العلم بالله؛ أن توحد الله في ربوبيته، وتوحد الله في ألوهيته، وتوحد الله في أسمائه وصفاته. **وهذه أنواع التوحيد الثلاثة:**

**النوع الأول:** توحيد الله في ربوبيته، هو أن توحد الله بأفعاله بأن تعتقد أن الله هو الخالق الرازق، المدبر، المحيي المميت، وأنه مدبر الأمور، وأنه المتصرف، وأنه لا شريك له في ذلك، لا أحد يشاركه، في تدبيره، ولا في ملكه، ولا في ربوبيته، ولا في خلقه، هذا هو توحيد الربوبية، يعني تعتقد أن الله موجود، وأنه الخالق وغيره مخلوق، وأنه الرب وغيره مربوب، وأنه مالك وغيره مملوك، وأنه مدبِّر وغيره مُدبَّر، وبهذا تكون وحدت الله في ربوبيته.

**النوع الثاني:** توحيد الله في أسمائه وصفاته؛ وذلك بأن تؤمن بالأسماء والصفات التي سمى الله بها نفسه، أو سماه بها رسوله عليه الصلاة والسلام، أو وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله عليه الصلاة والسلام في السُّنة.

**وممَّا يجب أن يُعلم**: أن أسماء الله وصفاته توقيفية، فلا يجوز للعباد أن يخترعوا له أسماء وصفات، فالله تعالى سمى نفسه «الله» ولفظ الجلالة «الله» عَلَمٌ على الذات الإلهية، لا يسمى به غيره، وكل اسم مشتمل على صفة، و«الله» أعرفُ المعارف لا يسمى به غير الله، وهو مشتمل على صفة الألوهية، كما أنَّ الرحمن مشتمل على صفة الرحمة، والرحيم كذلك، والعليم مشتمل على صفة العلم، والقدير مشتمل على صفة القدرة، والسميع مشتمل على صفة السمع، والبصير مشتمل على صفة البصر، وهكذا سائر أسمائه تعالى، التي يجب الإيمان بها، **فتؤمن بأن الله**: عالم الغيب والشهادة، وأنه الرحمن، وأنه الرحيم، وأنه الملك، وأنه القدوس، السلام، المؤمن المهيمن، العزيز، الجبار المتكبر، وأنه الخالق الرازق، المدبر، المحيي المميت، البارئ، المصور، وأن له الأسماء الحسنى.

وكذلك عليك أن تؤمن بكل صفاته؛ فتؤمن بصفة: العلو، وصفة الرضا، والغضب، والسخط، والعزة، والعظمة، والكبرياء، إلى غير ذلك من الأسماء والصفات التي وردت في الكتاب والسنة. فتكون بذلك وحدت الله في أسمائه وصفاته.

**النوع الثالث**: توحيد الألوهية، فتوحيد الله في ألوهيته وعبادته، بأن تصرف العبادة والقربة التي تتقرب بها لله ﷻ فلا تعبد إلا الله، والقربات والعبادات هي الأوامر والنواهي التي جاءت في الكتاب والسنة، فلما أمر الله بالصلاة هذه عبادة، توحد الله بها، فلا تصل إلا لله، ولما أمر بالزكاة، فلا تزك إلا لله، وأمر بالصوم فلا تصم إلا لله، وهكذا الحج فلا تحج إلا لله، والذبح فلا تذبح إلا لله، والنذر فلا تنذر إلا لله، والدعاء فلا تدع إلا الله، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والإنابة إلى آخره.

وبذلك تكون وحدت الله في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته، فتكون مؤمنًا بالله.

هذا النوع الأول: العلم بالله، يعني بأسمائه وصفاته وأفعاله.

والنوع الثاني: العلم بدين الله، وهي الأوامر والنواهي، التي شرعها الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ.

والنوع الثالث: العلم بالجزاء؛ أي: جزاء المؤمنين الموحدين في الجنة، وما أعد الله لهم من الكرامة، فتؤمن بما أخبر الله به من جزاء الموحدين يوم القيامة، وباليوم الآخر، وما فيه من البعث والجزاء والحساب، والحشر، والنشر، والحوض، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وما أعدَّ الله للمتقين من الكرامة، تؤمن بالجزاء؛ والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم، وجزاء الكفار وما أعدَّه لهم وللعُصاة من النار، وبئس القرار.

فهذه أنواع العلم، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(١):

وَالعِلْمُ أقْسَامُ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِن رَابِعٍ وَالحَقُّ ذُو تِبيَانِ
عِلْمٌ بِأوصَافِ الإلَهِ وَفِعلِهِ ... وَكَذَلِكَ الأسمَاءُ لِلرَّحمَنِ
وَالأمرُ وَالنَّهيُ الذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي

هذه أوصافه وأفعاله.

...................... وَكَذَلِكَ الأسمَاءُ لِلرَّحمَنِ

هذا العلم الأول.

وَالأمرُ وَالنَّهيُ الذِي هُوَ دِينُهُ ......................

هذا الثاني.

...................... وَجَزَاؤهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي

هذا هو الثالث.

---

(١) انظر: شرح النونية (٢/ ٣٨٣).

فهذه أقسام العلوم الشرعية، وما عدا ذلك فإنها علوم دنيوية، كعلم الطب، وعلم الفلك، وعلم الطبيعة، وعلم الزراعة، وعلم الصيدلة، وكذلك سائر العلوم، كعلم الإدارة، علم السباكة، علم النجارة، علم الحدادة، إلى غير ذلك من العلوم، فهذه العلوم الدنيوية فرض كفاية، إذا أحسن الإنسان النية فله أجر وله ثواب، وإن قصد الدنيا فلا بأس، فهي علوم دنيوية، فيتعلم الطب أو الهندسة أو الصيدلة، أو الفلك والرياضة حتى يعيش ويكون له حرفة، فالتعلم وللدنيا لا بأس، وإذا حَسُنت النية وقصد بذلك أن المكسب الشرعي فخير، وإن زيد على ذلك بنية إغناء المسلمين عن الحاجة إلى غيرهم من الكفار، فصحاب هذه النية مأجور.

أما العلم الشرعي فلا يجوز أن تعلمه لأجل الدنيا؛ لأن هذه علوم الآخرة، فعلوم الشريعة تُتَعَلَّم لله، ويُتَعبد لله بها، ومن تعلمه لأجل الدنيا فعليه الوعيد الشديد، في الحديث: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[1]؛ لأنه قصد بهذه العبادة الدنيا وحطامها، والله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦] فَفَرْق بين علوم الآخرة وعلوم الدنيا، وفرق بين العلم الشرعي والعلم الدنيوي.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٨)، وابن حبان في صحيحه (٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥).

## سند الرسالة إلى الإمام أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ الإمام أبو المظفر عبدالملك بن علي بن محمد الهمداني: قال: حَدَّثَنا الشيخ أبو عبدالله يحيى بن أبي الحسن بن البنا، قال: أخبرنا والدي أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد بن السماك، قال: حَدَّثَنا أبو محمد الحسن بن عبدالوهاب بن أبي العنبر قراءة عليه من كتابه في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائتين، قال: حَدَّثَنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري البصري(١) بتنيس قال: حدثني عبدوس بن مالك العطار، قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه يقول:

### الشَرح

هذه الرسالة سندها متصل إلى الإمام أحمد، وهذا الجزء من مقال الإمام أحمد(٢) رحمه الله.

---

(١) هو نفسه محمد بن سليمان الجوهري البصري، وقد روى الخلال جزءاً من هذه الرسالة في كتاب (السنة) رقم (٦٨)، قال حدثنا محمد بن سليمان الجوهري.

(٢) مما يدل على صحة نسبتها إلى الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ تلقي العلماء لها بالقبول، ونقلهم لها، أو جزءاً منها في مصنفاتهم من غير نكير؛ فمن هؤلاء:
١ ـ اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٥٦) وما بعدها.
٢ ـ ابن الجوزي ـ فقد أوردها بتمامها ـ على تقديم وتأخير ـ كما في كتابه: مناقب الإمام أحمد ص(١٧١). =

## المقصود بأصول السنة

**أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.**

الشَّرح

**الأصول:** جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، فالأصول التي تنبني عليها السنن، هي كما يقول الإمام أحمد: (هذه أصول السنة عندنا): التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع.

**والمعنى:** أننا معشر أهل السنة، أصول السنة عندنا وعند الأئمة والعلماء.

فالصحابة رضوان الله عليهم، هم أفضل الناس، لا كان ولا يكون مثلهم، والصحابة جمع: صحابي، **والصحابي هو:** من لقي النبي ﷺ مؤمنًا ولو لحظة، ومات على الإسلام، هذا أصح ما قيل في تعريف الصحابي، وهذا أولى من قول: "من رأى النبي ﷺ" وذلك ليشمل

---

= ٣ ـ ابن تيمية كما في الفتاوى (٤/ ١٠٢)، (٤/ ١٥٥)، ومنهاج السنة (١/ ٥٢٩)، (٦/ ٨١).
٤ ـ البربهاري.
٥ ـ ضياء الدين المقدسي.
٦ ـ الآلوسي كما في جلاء العينين ص(٢٢٧).
٧ ـ ابن بدران؛ كما في المدخل إلى مذهب أحمد ص(١٩)، وغيرهم كثير.

العميان، كعبدالله بن أم مكتوم، فإنه لقي النبي ﷺ ولكنه لم يره لأنه أعمى، فهو صحابي، التعبير بـ(لقي) أولى من التعبير بـ(رأى).

ويشمل ذلك صغار الصحابة وأطفالهم الذين حنكهم النبي ﷺ فهم صحابة، ولكنهم يتفاوتون؛ ـ كما سيبين المؤلف رحمه الله ـ فالذي طالت صحبته أفضل ممن لم تطل صحبته، والأعراب الذين رأوا النبي ﷺ وآمنوا به ليسوا كالصحابة الذين لازموا النبي ﷺ سنين، فَكُلٌّ له نصيبه، وكُلٌّ له حظه من الصحبة، لكن يجمعهم وصفُ الصُّحبة.

ومَزِيَّة الصحبة خاصة بالصحابة لا يلحقهم من بعدهم من التابعين والأئمة، فصحبة النبي ﷺ وسماع كلامه والجهاد معه هذه مزية خاصة للصحابة لا يلحقهم من بعدهم، وقد يفوق بعض التابعين الصحابة مثلًا في العبادة لكن لا يصل إلى درجة الصحبة، ولهذا لما أراد بعض الناس أن يقارن بين عمر بن عبدالعزيز ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه - عمر بن عبدالعزيز معروف عدله وورعه، ومعاوية صحابي ـ قال بعض أهل العلم[1]: الغبار الذي دخل في أنف معاوية في جهاده مع النبي ﷺ يعدل بورع عمر بن عبدالعزيز.

ولذلك الصحابة كلهم عدول، فلا ينبغي البحث في عدالتهم، أما من بعدهم فلابد من الحث عن عدالتهم، هل هم عدول أم ليسوا عدولاً؟ هل هم ثقات أم ليسوا بثقات؟ هل هم ضابطون أم ليسوا كذلك؟ فكل واحد من رواة الحديث يَبحث عنه الأئمة، سواء كان من التابعين أو من بعدهم، وأما الصحابة فكلهم عدول، لا يُبحث عنهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) جاء في وفيات الأعيان ٣/ ٣٣، (ونقل أبو علي النسائي الجياني أن عبدالله بن المبارك المذكور سئل: أيهما أفضل معاوية بن أبي سفيان أم عمر بن عبدالعزيز، فقال: والله إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ فقال: سمع الله لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا).

• **مسألة: إذا تخلل حياة الصحابي ردة فهل يعتبر صحابياً؟**

▪ **الجواب:** إذا مات على الإسلام فإنها لا تضره هذه الردة، وكذلك الإنسان إذا تخلل عمله ردة ثم تاب ومات على الإسلام لا يبطل عمله بل يحرزه بتوبته، أما إذا مات على الكفر ـ والعياذ بالله ـ فإنه تبطل أعماله كلها، لكن إذا تاب تاب الله عليه ومات على الإسلام بقيت أعماله، قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧] فاشترط لحبوط العمل الموت على الكفر، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: ٥].

○ قوله: (أصول السنة): **السنة هي**: ما ثبت عن النبي ﷺ قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، هذه هي السنة، فقد تكون السنة واجبة، وقد تكون السنة مستحبة.

فأصول سنة الرسول عليه الصلاة والسلام التي هي قوله وفعله وتقريره: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع.

والتمسُّكُ معناه: لزوم الشيء والتشبث به، وَأَخْذه بقوة، وعدم تركه أو التهاون به، ومعناه هنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، بأن تحذوا حذوهم، وتفعل مثل فعلهم، وتقول مثل قولهم، وتعمل مثل عملهم.

○ قوله: (ترك البدع) **البدع**: جمع بدعة **وهي**: الحدث في الدين كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)] فكل حدث في الدين فهو بدعة.

---

(١) سبق تخريجه.

**والمعنى**: أن من أصول الدين عندنا أيضا: ترك كل حدث في الدين؛ ولهذا قال: (وكل بدعة فهي ضلالة) وهذا جزءٌ من حديث العرباض بن سارية ﵁ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا - وفي لفظ: فماذا تعهد إلينا - فقال: «**أوصيكم بتقوى الله**» يعني: الزموا تقوى الله، تقوى الله خشيته وخوفه ومراقبته، وأصل التقوى توحيد الله وإخلاص الدين لله، «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة**» يعني: السمع والطاعة لولاة الأمور «**وإن عبدًا حبشيًا**» وفي لفظ: «**وإن أُمر عليكم عبد حبشي**»[1] «**فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، وهذا حديث صحيح رواه عدد من الأئمة[2].

○ وأشار بقوله: (وترك الخصومات في الدين) إلى أصل من أصول السنة، وهو: ترك الخصومات في الدين، والخصومات: جمع خصومة، وهي: الجدال والنزاع، **والمعنى**: لا تجادل ولا تخاصم في الدين ولا تمار، فالدين ليس فيه خصومات.

**وأصل الدين هو**: ما يدين الإنسان به ربه من العبادات، والعباداتُ التي يدين بها الإنسان ربه توقيفية؛ مأخوذة من الكتاب والسنة، فلا مجال للجدال فيها، فما ثبت في الكتاب والسنة فهو من

(١) هذا اللفظ عند الحاكم في المستدرك (١/ ٩٥)، رقم (٣٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٢٠)، وفيها (تأمر) وليس هناك (حبشياً).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧، ٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣، ٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٥).

الدين ومن العبادة، والخصومة والجدال والمراء في الدين محدث، وهو يقدح الشك لأن القلب ترك الخصومات والجدال فإن خاصمك وجادلك فيه أحد؛، أو إذا تخاصم الناس وتنازعوا فإن هذا النزاع يرد إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، وحينئذ تزول الخصومة، بردّ هذه الخصومة؛ وهذا النزاع إلى الله وإلى رسوله ﷺ.

**والرد إلى الله هو:** الرد إلى كتابه، **والرد إلى الرسول ﷺ هو:** الرد إليه في حياته، والرد إلى سنته بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠] فلا خصومات في الدين.

## معنى السنة وعلاقتها بالقرآن

**والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الاتباع وترك الهوى.**

الشَّرْح

قول المؤلف رحمه الله: (السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ).

**الآثار**: هي أقواله وأفعاله وتقريراته، فما أثر عنه عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير، هذه هي السنة.

○ وقوله: (والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن)، أي: السنة تفسر القرآن وتوضحه، فإذا كان الدليل من القرآن مجملا؛ فالسنة تفصل هذا المجمل، وإذا كان مبهماً فالسنة توضحه، وإذا كان عاماً فالسنة تخصصه؛ **فالسنة لها مع القرآن ثلاثة أحوال:**

الحالة الأولى: أن تأتي السنة بأحكام تُماثل الأحكام التي جاءت في القرآن. فهذا من باب تناصر الأدلة وتضافرها.

**فمثلًا**: أوجب الله في القرآن الصلاة، وجاء في السنة وجوب الصلاة، وأوجب الله في القرآن الزكاة، وجاء في السنة وجوب الزكاة، وأوجب الله في القرآن صيام رمضان، وجاء في السنة وجوب صيام رمضان، وأوجب الله في القرآن الحج، وجاء في السنة وجوب الحج، وأوجب الله في الكتاب بر الوالدين، وجاء في السنة بر الوالدين، وجاء في الكتاب صلة الأرحام، وجاء في السنة صلة الأرحام، فهذا ـ كما

سبق ـ من باب تضافر الأدلة وتناصرها.

الحالة الثانية: أن يأتي القرآن بأحكام مجملة، أو أحكام مطلقة، أو أحكام عامة، فتأتي السنة بأحكام تبين ذلك المجمل، وبأحكام تقيد ذلك المطلق، وبأحكام تخصص ذلك العام، فتكون السنة مخصصة للعمومات التي جاءت في القرآن؛ **مثل**: قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛

المراد بلفظ الناس في قوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: الكفار، وهو لفظ عام.

والمراد من لفظ الناس في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: المؤمنون.

الحالة الثالثة: أن تأتي السنة بأحكام جديدة ليست في القرآن؛ فيجب في هذه الحالة العمل بها؛ **ومن الأمثلة**:

١ ـ تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وتحريم الجمع بين المرأة وخالتها، فهذا الحكم ليس في القرآن، فلا يجوز للرجل أن يتزوج المرأة وعمتها، أو المرأة وخالتها، قال النبي ﷺ: «**لا يُجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها**»[١]، وجاء في لفظ: «**إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**»[٢].

٢ ـ تحريمه ﷺ: «**كل ذي ناب من السباع**»[٣].

٣ ـ تحريمه ﷺ «**كل ذي مخلب من الطير**»[٤]، فهذا ليس في القرآن تحريمه نصاً، لكن يجب العمل به.

٤ ـ ما جاء في السنة من العقل والديات كقوله: «**ولا يقتل مسلم**

(١) أخرجه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هذه زيادة حسنة أخرجها الطبراني في الكبير (١١/ ١١٩٣٠)، وابن حبان في صحيحه (٤١١٦)، من حديث أبي هريرة، ومن حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٥٥٣٠)، ومسلم (١٩٣٢)، من حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٩٣٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

**بكافر»**[١] وهكذا.

ولهذا قال الإمام رحمه الله: (والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن)؛ يعني: أنها تدل عليه .

◊ قوله: (وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا بالأهواء إنما هو الاتباع وترك الهوى) أي: ليس في السنة قياس عقلي مجرد عن النصوص، أما القياس الشرعي الذي يستند إلى النصوص فهذا ليس من الأقيسة العقلية، **فمثلًا**: جاء الشرع بتحريم الربا في البُر، فيأتي الفقيه ويقيس عليه الرز، فيقول الأرز كالبر في جوانب الربا في كل منهما بجامع الطعم، أو بجامع الادخار أو بجامع الكيل والوزن، فهذا قياس شرعي.

ومن المعنى في ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل فبيَّن كلام الإمام أحمد رحمه الله قائلا: (فبين أن ما جاء به الرسول ﷺ لا يجوز أن يعارض بضرب الأمثال له، ولا يدركه كل أحد بقياس، ولا يحتاج أن يثبته بقياس، بل هو ثابت بنفسه، وليس كل ما ثبت يكون له نظير، وما لا نظير له لا قياس فيه، فلا يحتاج المنصوص خبراً وأمراً إلى قياس، بخلاف من أردا أن ينال كل ما جاءت به الرسل بعقله، ويتلقاه من طريق القياس)[٢].

وإلى ذلك أشار الإمام أحمد رحمه الله بقوله: (ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الاتباع وترك الهوى).

جاء عن الأوزاعي رحمه الله أنه قال: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لك بالقول» رواه

---

(١) أخرجه البخاري (١١١)، وأبو داود (٢٧٥١)، والترمذي (١٤١٢)، والنسائي (٨/ ١٩، ٢٠)، وابن ماجه (٢٦٥٨)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) درء التعارض (٧/ ٣١٧).

الآجري في الشريعة بإسناد صحيح.

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ـ إمام أهل السنة والجماعة في عصره ـ قال: **(واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء، بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيف ولا شرح، ولا يقال: لم ولا كيف)** وسيأتي كلام الإمام أحمد في تفسير: ولا يقال: لم؛ بأن المعنى: لا يقال: لم في الأفعال، ولا يقال: كيف في الصفات.

## السنة اللازمة

**ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم ولا كيف، إنما هو التصديق والإيمان بها، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفِيَ ذلك وأُحكِمَ له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق.**

### الشَّرح

من السنة اللازمة التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها ويكون من أهلها، والتي إذا ترك منها خصلة لم يقبلها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره.

**والمعنى:** أنَّ الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة التي من لم يؤمن بها أو جحد واحدًا منها فإنه يخرج من دائرة الإيمان ويكون من الكافرين.

**وأصول الإيمان ستة هي:** "الأول: الإيمان بالله، والثاني: الإيمان بالملائكة، والثالث: الإيمان بالكتب المنزلة، والرابع: الإيمان بالرسل، والخامس: الإيمان باليوم الآخر، والسادس: الإيمان بالقدر خيره وشره" وهذه الأصول الستة جاءت في الكتاب والسنة، وأجمع عليها المسلمون، وآمن بها جميع الأنبياء والمرسلين، ولم يجحد شيئًا منها إلا من خرج عن دائرة الإسلام وصار من الكافرين.

**هذه الأصول دل عليها كتاب الله**، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٥] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧] فهذه خمسة أصول ذكرت في هذه الآية، وَذُكِرَ الإيمان بالقدر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النِّسَاء: ١٣٦] فجعل الكفر هو: الكفر بهذه الأصول؛ فدل على أن الإيمان هو الإيمان بهذه الأصول.

**والدليل من السنة**: حديث جبرائيل في مجيئه للنبي ﷺ الذي رواه عمر بن الخطاب[(١)] رضي الله عنه حينما جاء إلى النبي ﷺ في صورة رجل، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، حتى جاء إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم سأل عن الإسلام، ثم سأل عن الإيمان، ثم سأل عن الإحسان، ثم سأله عن الساعة، ثم سأله عن أماراتها، فلما ولَّى قال النبي ﷺ: «**أتدرون من السائل**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**» **فجعل الدين ثلاث مراتب**: الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان. ولما سأله عن الإيمان قال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**».

إذن فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، ومن لم يؤمن بالقدر فليس بمؤمن.

**والإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بمراتبه الأربع وهي**: العلم،

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

والكتابة، والمشيئة والإرادة، والخلق والإيجاد، هذه مراتب القدر الأربع التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر.

المرتبة الأولى: **الإيمان بعلم الله الأزلي الماضي الذي ليس له بداية**؛ لأن الله تعالى هو الأول الذي لا بداية لأوليته، كما أنه الآخر الذي لا بداية لآخريته، فالإيمان بعلم الله الأزلي، معناه: أنه كما علم الأشياء في الأزل فكذلك يعلم سبحانه وتعالى الأشياء الحاضرة والمستقبلة، فالله تعالى علم الأشياء في الأزل قبل كونها، ويعلم ما لم يكن، لو كان كيف يكون، قال الله تعالى عن الكفار لما سألوا الرجعة إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨] فَعِلْمُهُ بأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، هو دليل على علم الله بما لم يكن لو كان كيف يكون، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣] أخبر الله أنه بما لم يكن لو كان كيف يكون، وكذلك قوله عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم﴾ ماذا يحصل؟ ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧]، هو من هذا الباب، فهذه المفاسد المترتبة على خروج المنافقين مع أنها لم تقع، لكن الله علمها؛ فكان من حكمته أن منعهم من الخروج، وثبطهم؛ لئلا تحصل هذه المفاسد.

المرتبة الثانية: **الكتابة**؛ أي: الإيمان بالكتابة، وأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، الذوات والصفات، والأفعال، والحركات، والسكنات، والأرزاق، والأعمال، والأخلاق، والسعادة والشقاوة، والفقر والغنى، والإعزاز والإذلال، والحياة والموت، حتى العجز والكيس، كل شيء مكتوب.

**ودل على هذه المرتبة مثل:**

١ - قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠] والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

٢ - قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢] أي: اللوح المحفوظ.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فالذكر في هذه الآية هو اللوح المحفوظ.

٤ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢] والمراد بالإمام المبين: اللوح المحفوظ.

٥ - قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وكتب في الذكر كل شيء**» أي: في اللوح المحفوظ.

٦ - وقال عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء**»[(١)].

٧ - وقال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت أيضًا عند أبي داود: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[(٢)] وفي لفظ: «**فجرى في تلك الساعة ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[(٣)].

فهاتان المرتبتان من لم يؤمن بهما: لم يؤمن بالقدر، وهاتان

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٥٥)، أحمد في المسند (٥/ ٣١٧).

المرتبتان أنكرتهما طائفة القدرية الأولى الذين ظهروا في عصر الصحابة، فكفرهم الصحابة كابن عمر وغيره؛ لأنهم نسبوا الله إلى الجهل، وانقرضوا وانتهوا، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله وغيره: (ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا).

المرتبة الثالثة: **الإرادة والمشيئة**، والإرادة نوعان: دينية، وكونية. **والمراد هنا: الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة**، وهي تقتضي الإيمان بأن الله أراد وشاء كل شيء وقع في هذا الوجود، فتؤمن بأن كل شيء وقع في هذا الوجود فقد سبقَت إرادةُ الله ومشيئَتُه بها، خيرًا كان أو شرًّا، برًّا أو فجورًا، طاعةً أو معصيةً، إيمانًا أو كفرًا، فكل شيء وقع في هذا الوجود فقد وقع بمشيئة الله وقدرته، فلا يقع في ملك الله ما لا يريد، وما وقع منه فإنه مبنيٌّ على الحكمة، فالله تعالى لا يخلق شيئا إلا لحكمة، ولا يأمر بشيء إلا لحكمة، ولا ينهى عن شيء إلا لحكمة، ولا يُقدِّر وقوع شيء إلا لحكمة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يُوسُف: ٦].

ولهذا لما أنكر القدرية وقوع المعاصي، بمشيئة الله، وقالوا: العبد يخلق فعل نفسه، فرد عليهم أهل السنة، وقالوا: وصفتم الله بالعجز، فقلتم: إنه يقع في ملكه ما لا يريد؛ وهذا يلزم منه أن يكون عاجزًا عن أن يدفع شيئًا لا يريده. وهذا من أبطل الباطل.

**والمقصود**: أن ما يقع في ملك الله من الشرور والمعاصي والكفر فكلها واقعة بإرادته الكونية، وهي ـ مع ذلك ـ مرادة لا لذاتها، بل مرادة لما يترتب عليها من الحكم والمصالح.

فالله أراد وقوع الكفر والمعاصي كونًا وقدرًا، ولكن ما أراده دينًا وشرعًا؛ بل أراده كوناً وقدراً؛ **لما يترتب عليه من الحكم، التي منها**: ظهور قدرة الله على المتقابلات؛ فالكفر يقابله الإيمان، والمعصية

تقابلها الطاعة، والليل يقابله النهار، والحر يقابله البرد، والحلو يقابله المر والحامض، **ومنها**: حصول العبودية المتنوعة؛ فلولا خلق الله للكفر والمعاصي لما وجدت عبوديات متنوعة؛ فلو كان الناس كلهم مؤمنين فأين عبودية الجهاد في سبيل الله؟ وأين عبودية الولاء والبراء؟ وأين عبودية الدعوة إلى الله؟ وأين عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وأين عبودية الحب في الله والبغض في الله.

فما يقدره الله على العباد من الكفر والمعاصي ونحوهما؛ فهذه مرادة لا لذاتها بل لشيء آخر؛ وهو ما يترتب عليها من الحكم؛ فمع أنه تعالى أرادها كونًا وقدرًا، لكنه لم يُرِدْها دينًا وشرعًا، فالله تعالى يكره الكفر والمعاصي.

**ونقرب هذا بمثالٍ وهو**: أن المريض الذي يصرف له الطبيب دواء مرًّا علقماً ويقول له: اشرب هذا الدواء، فإن فيه شفاؤك وعافيتك بإذن الله، فَيُقْدِم المريضُ على شرب الدواء المر طائعًا مختارًا، لكنه هل شرب هذه الدواء المر راغبا فيه على وجه الاستلذاذ به، أم لماذا؟ **الجواب**: أنه شربه وتجرعه ولا يكاد يسيغه؛ لما يترتب عليه من الشفاء، فهو ـ أي: الدواء ـ مراد لا لذاته، بل لشيء غيره، وهو طلب الشفاء، فكذلك الله ﷻ أراد الكفر والمعاصي لا لذاتهما؛ بل الكفر والمعاصي مكروهان لله دينًا وشرعًا، لكنه أوجدهما لما يترتب عليها من الحكم والأسرار، **وبسبب الجهل بهذا التفصيل ضل القدرية.**

المرتبة الرابعة: **الخلق والإيجاد**، وقد أنكر القدرية عموم الخلق والإيجاد، فقالوا: إن الله لم يخلق الكفر والمعاصي، بل العبد هو الذي خلق الكفر والمعاصي.

فالقدرية المتوسطة ـ القدرية الثانية ـ آمنوا بالعلم والكتاب، ولكنهم أنكروا عموم الإرادة والمشيئة وعموم الخلق، فأخرجوا أفعال العباد،

وقالوا: إن الله ما أراد أفعال العباد ولا خلقها من الطاعات والمعاصي؛ فرارًا من القول بأن الله قدر المعاصي ويعذب عليها لئلا يكون ظالمًا في زعمهم.

وهذا باطل؛ لأن الذي يُنسب إلى الله هو الخلق والإيجاد وكون في بعض مخلوقاته شر، فهذا مبني على حكمته تعالى، فيكون خيرًا بالنسبة لله؛ لأنه لمّا خلقه، خلقه لحكمة، لكنه شر بالنسبة للعبد، فالكفر والمعاصي شر بالنسبة للعبد الذي باشر المعاصي وفعلها، فيتضرر ويُعَذَّب عليها، والذي يُنسب إلى الله هو الخلق والإيجاد، وهو مبني على الحكمة ـ كما تقدم ـ.

**۞ وبهذا يتضح أن القدرية النفاة طائفتان:**

**الطائفة الأولى**: الذين أنكروا العلم والكتاب، وهؤلاء كفرة، وقد انقرضوا.

**الطائفة الثانية**: الذين آمنوا بالعلم والكتاب وآمنوا بالإرادة والخلق، ولكن أنكروا عموم الإرادة وعموم الخلق وأخرجوا منها أفعال العباد.

ـ **وهناك طائفة أخرى من القدرية تسمى**: القدرية المجبرة، وهم الجبرية الذين قالوا: إن العباد مجبورون على أفعالهم، وليس لهم اختيار، فالله تعالى أجبرهم على أفعالهم فهم وعاء؛ وعاء للأفعال، وحركاتهم كلها اضطرارية كحركة المرتعش وحركة النائم، فهم وعاء تمر عليهم الأفعال والله تعالى هو الذي يفعلها بهم، هكذا يقولون، فعندهم أن أفعال العباد كالكوز الذي يصب فيه الماء، فالعباد كأنهم كوز والله كصباب الماء فيه، فيقولون: إن الله هو المصلي والصائم وهو الفاعل، فعندهم أن العباد مجبورون على أفعالهم، ولا اختيار لهم،

ولا يمكن أن يفعلوا شيئًا غير ما أراد الله، ويقول قائلهم:

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له:

............................ **إيـاك إيـاك أن تـبـتـل بـالـمـاء**

**فهؤلاء يقال لهم: القدرية الجبرية، وهم طائفتان:**

**الأولى: طائفة مشركية**: الذين يحتجون بالقدر على المعاصي، كالمشركين عندما قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

**والثانية: الطائفة الإبليسية**: الذين ينتسبون إلى إبليس؛ الذين يقولون: إن الله قدر كل شيء وأراد كل شيء لكن الله ظالم، ظلم العباد ـ والعياذ بالله ـ.

فهؤلاء والعياذ بالله هم الطائفة الإبليسية الذين آمنوا بالأوامر والنواهي، وآمنوا بالقدر، والمشركية آمنوا بالقدر ولم يؤمنوا بالأوامر، والطائفة المجوسية آمنوا بالأوامر ولم يؤمنوا بالقدر.

**فتكون القدرية ـ بعد الطائفة القدرية الذين انقرضوا وهم كفار ـ ثلاث طوائف:**

قدرية مجوسية، وقدرية مشركية، وقدرية إبليسية.

**فالقدرية المجوسية**: الذين يقولون: إن الله قدر كل شيء إلا أفعال العباد، وخلق كل شيء إلا أفعال العباد، والعباد هم الذين يخلقون أفعالهم باختيارهم مستقلين، فالخير والشر والطاعات والمعاصي العبد هو الذي يخلقها، وما عداه فالله هو الخالق.

**وسُمّوا مجوسية**: لمشابهتهم المجوس في القول بتعدد الخالق، **فالمجوس يقولون**: العالم له خالقان: خالق للخير وهو النور، وخالق للشر وهو الظلمة. **والقدرية يقولون**: كل عبد يخلق فعل نفسه، فقالوا بتعدد الخالق وشابهوا المجوس.

لكن المجوس قالوا: بخالقين، أما القدرية فيقولون بخالقين كثير بعدد الناس، فكل إنسان يخلق فعل نفسه من الطاعات والمعاصي، لكن لما وافقوهم في التعدد والقول بتعدد الخالق سموا مجوسية.

فالقدرية المجوسية يؤمنون بالأوامر والنواهي ويقولون بالتكاليف، فعندهم أن العباد مأمورون ومنهيون ومجازون ومحاسبون، لكن أنكروا القدر فقالوا: إن أفعال العباد ما أرادها الله ولا خلقها.

وأما **القدرية المشركية**: فهم الذين كذبوا بالشرع، وآمنوا بالقدر؛ وقالوا: إن الإنسان مجبور على أفعاله، وكل شيء مُقَدّر، فعارضوا الشرع بالقدر، وقالوا: ـ مثلاً ـ إذا أمرك الله بالصلاة ولم تصلِّ؛ فأنت مع القدر؛ فكذَّبوا بالأوامر، وعملوا بالقدر؛ وقالوا: الإنسان مجبور على أفعاله؛ ولهذا **سُمُّوا مشركية**؛ لأنهم يحتجون بشركهم وبمعاصيهم على الشرع، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥] فهؤلاء احتجوا بشركهم على الشرع؛ فَسُمُّوا مشركية؛ لأنهم آمنوا بالقدر وكذبوا بالشرع. والمجوسية: آمنوا بالشرع وكذبوا بالقدر.

**فإن قيل: أيهما أشد؛ المشركية أم المجوسية؟**

**فالجواب**: أن القدرية المشركية أشد، لأن القدرية المجوسية يُعظمون الشرعَ، ويعظمون الأوامر والنواهي، ويُلزِمون بها، وَيَلْزمونهما، لكنهم يكذبون بالقدر؛ فيقولون: العبد يخلق فعْل نفسه.

أما القدرية المشركية ـ وهم: الجبرية ـ فهم الذين لم يؤمنوا بالشرع، بل آمنوا بالقدر وكذبوا بالشرع، **ويلزم على هذا:**

أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ضربٌ من العبث، ولا فائدة منهما!!

**والطائفة الثالثة: الإبليسية**: الذين شيخهم إبليس، آمنوا بالأمرين: آمنوا بالشرع، وآمنوا بالقدر، لكن قالوا: الرب متناقض، يأمر بشيء وَيُقَدِّرُ ضده ـ قبحهم الله ـ فهؤلاء هم الطائفة الإبليسية، وشيخهم إبليس هو الذي اعترض على الله، لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؛ رفض، وامتنع، واستكبر، وزعم وادّعى أن عنصره الناري أحسن وأفضل من عنصر آدم الطيني، ولا يمكن أن يخضع الفاضل للمفضول، كما قال تعالى عنه: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢] فأول من اعترض على الله، وأول مَنْ قاس قياساً فاسداً؛ هو إبليس؛ فهؤلاء الطائفة طعنوا في حكمة الرب؛ وقالوا: أمره ينقض قدره، وقدره ينقض أمره ـ قبحهم الله ـ، فهم خصوم الله، الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية: هؤلاء معشر القدرية يساقون إلى النار سوقاً(١).

فالقدرية هم خصوم الله، وهم يدافعون عن إبليس، وكذلك المرجئة يدافعون عن إبليس، ويتهمون الرب، ويطعنون في حكمته، ويقولون: إبليس مسكين مظلوم، أراد أن ينزه جبهته عن ألَّا يسجد لغيره فطُرد ولُعن، فما ذنبه؟! فإبليس مسكين، مظلوم؛ ظلمه الرب!!

فهؤلاء الإبليسية ـ والعياذ بالله ـ هم خصوم الله الإبليسية.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/٢٤٦).

### ۞ الخلاصة:

**يتلخص ممّا سبق: أنَّ القدرية ثلاثة أنواع:**

**المجوسية**: وهم الذين آمنوا بالأوامر، والنواهي، والشرع، وكذّبوا بالقدر، وهم أحسنها وأفضلها.

**المشركية**: وهم الذين كذَّبوا بالشرع وآمنوا بالقدر.

**إبليسية**: وهم الذين آمنوا بالشرع والقدر، لكن جعلوا الرب متناقضاً؛ وقالوا: شرعه ينقض قدره، وقدره ينقض شرعه - قبحهم الله -.

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة، لا يصح الإيمان إلا به، فمن لم يؤمن بالقدر؛ فليس بمؤمن.

● **مسألة: القدرية ينكرون علم الله فهل يلزم من ذلك أنهم ينكرون أن الله خلق أفعال العباد؟**

■ **الجواب**: لا، فالقدرية المتوسطون - وهم: القدرية المجوسية - يقولون: إن الله خلق كل شيء إلا أفعال العباد، فالعباد هم الذين خلقوها، فيقولون: إن الله خلق الإنسان وأعطاه القوة؛ لكن الإنسان هو الذي خلق فعله خيرا أو شرا طاعة أو معصية، فرارًا من القول بأن الله خلق المعاصي وعذب عليها حتى لا يكون ظالما.

فهم يعترفون بأن الله خلق الإنسان وأعطاه القوة، لكن يقولون: هو الذي خلق فعله؛ ولهذا يوجبون على الله أن يثيب المطيع، وأن يعاقب العاصي؛ لأنه هو الذي خلق فعله، فيجب على الله أن يثيب المطيع، كما يستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجرته، ويجب عليه أن ينفذ الوعيد في العاصي وليس له أن يعفو عنه، هكذا هم المعتزلة، لأنه هو الذي خلق فعله، هكذا يوجبون على الله، ويجب أن يعاقب العاصي، وليس له أن يعفو عنه - تعالى الله عما يقولون -.

● مسألة: قول الله ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النِّساء: ٧٩]؟

■ الجواب: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ يعني: فبفضل الله وتوفيقه، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ فبسبب ذنوبك كسبتها، والله تعالى قدَّر الجميع، ولهذا قال بعدها: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨﴾ [النِّساء: ٧٨] وقال في سورة الحديد: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد: ٢٢].

○ قول المؤلف رحمه الله: (والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان به) أي: تصدق بالأحاديث الواردة في القدر وتؤمن بها، وهذا هو مذهب السلف.

○ وقوله: (لا يقال: لم ولا كيف) **معناه:** لا يقال: (لم) في الأفعال، ولا (كيف) في الصفات، **فلا تقل:** لم فعل الله كذا، بل سلم لقضاء الله وقدره، فلا تقل - مثلاً -: لم كان هذا عالماً وهذا جاهلاً؟ لم هذا فقير وهذا غني؟ لم كان هذا يعيش مائة سنة ويموت شيخاً، وهذا يموت شابًّا؟

فمثل هذه الأمور، هي سر الله في القدر، لا تسأل عنها بـ(لم) ولا بـ(كيف)؛ ولهذا يقول الطحاوي[1]: (والقدر سر الله تعالى في خلقه، حجبه عن أنامه - حجبه عن الناس - ونهاهم عن مرامه، فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣]) فلا تسأل؛ فهذا سر الله في خلقه، واعلم أن ربك حكيم، لما جعل هذا طويلاً وهذا قصيراً، وهذا غنياً وهذا فقيراً، وهذا عالماً وهذا جاهلاً؛ فالقدر سر الله، وهو مبني على حكمة الله التي لا نعلمها.

(١) العقيدة الطحاوية ص(٣٢).

وكذلك: فلا تسأل عن الكيفية، فلا تقل: كيف صفاته تعالى، كيف استوى؟ بل تؤمن بالاستواء ولا تسأل عن الكيفية، فالاستواء معناه معلوم، لكن لا تسأل عن الكيفية، فتؤمن بأن الله استوى على العرش لكن لا تسأل عن الاستواء، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ لما سئل عن الاستواء قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)(١).

**ومثل هذا أيضاً**: النزول، معلوم معناه في اللغة العربية، لكن لا تسأل عن كيفيته، فالإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فالصفات معلومة معانيها في اللغة العربية، والإيمان بها واجب ولا يسأل عن الكيفية ولأن السؤال عنها بدعة، فلا تقل: كيف عِلْمُ الله؟ كيف سَمْعُ الله؟ كيف بَصَرُه؟ كيف رُؤيته؟ وذلك لأن الكيفية لا يعلمها إلا الله، فكان السؤال عنها لذلك بدعة، فكما أنك لا تعترض على الله في أفعاله، فلا تسأل عن كيفية صفاته، فلا يقال: (لم ولا يقال كيف إنما هو التصديق والإيمان بها).

فالله تعالى لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، لا كما يقول الجبرية؛ حيث يقولون: إن الله يفعل بالقدرة والمشيئة المحضة، بدون حكمة ولا سبب، ولا علة فأنكروا حكمة اللّٰه وقالوا: إن اللّٰه يفعل بالإرادة المحضة، يفعل وليس له حكمة، وهذا باطل؛ لأنه يلزم منه: أنَّ الإرادة والمشيئة تخبط خبط عشواء، فتجمع بين المختلفات، وتفرق بين المتماثلات، وهذا من أبطل الباطل.

**والأشاعرة والجهمية: جبرية؛ أنكروا حكمة الله**، وقالوا: إن الله يفعل بالإرادة فقط.

---

(١) انظر: الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني (٢/ ٢٧٤)، والعين والأثر، لابن عبدالباقي ص١٠٩، والمختار في أصول السنة، لابن البنا ص(١٤٥).

**أمَّا أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الله يفعل بالحكمة**، فكل شيء بحكمة، فأمره بحكمة، ونهيه بحكمة، وقَدَرُه بحكمة، وخلقه بحكمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [يُوسُف: ٦] **فلا يقال**: لم، لأنه حكيم سبحانه وتعالى، **ولا يقال: كيف** في الصفات؛ لأن الكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، فلا يعلم كيفية صفاته إلا هو كما لا يعلم كيفية ذاته إلا هو سبحانه وتعالى.

ولهذا روى الخلال في السنة[(١)]، والدارقطني في الصفات[(٢)]، والآجري في الشريعة[(٣)] بإسناد صحيح، عن الوليد بن مسلم أنه قال: (سألت سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث ـ أي: أحاديث الصفات ـ فقالوا: **مروها كما جاءت**).

وروى ابن عبدالبر في جامع بيان العلم[(٤)]، من طريق عبد الوهاب بن نجدة، قال: حَدَّثَنا بقية عن الأوزاعي قال، كان مكحول والزهري يقولان: (**أمروا هذه الأحاديث كما جاءت**) وسنده صحيح.

وقال ابن عبدالبر وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي، وسفيان بن سعيد، وسفيان بن عيينة، ومعبد بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت.

وروى عبدالله بن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في السنة[(٥)] بسند صحيح عن وكيع بن الجراح قال: (**نسلم هذه الأحاديث كما جاءت، ولا نقول: كيف كذا، ولا لِمَ كذا**)؛ يعني: مثل حديث ابن مسعود: « **أن الله** ﷻ **يحمل**

---

(١) رقم (٣١٣).

(٢) ص(٤٢).

(٣) ص٢٩٩، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧٧) (٩٥٥).

(٤) (٢/ ٩٦).

(٥) رقم (٤٩٥)، والدارقطني في الصفات ص(٤١).

**السماوات على أصبع والجبال على أصبع»**[١] وحديث النبي ﷺ قال: **«قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»**[٢] ونحوه من الأحاديث.

وروى اللالكائي[٣] بإسناده عن محمد بن الحسن ـ فقيه العراق ـ قال: (**اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ـ يعني: من غير تفسير كتفسير الجهمية ـ فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، ومن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة؛ فإنه وصفه بصفة لا شيء**) يعني: أن الجهم نفى الأسماء والصفات، ووصفه بصفة المعدوم.

وروى الدارقطني في الصفات[٤] بسند صحيح عن العباس بن محمد الدوري: قال: سمعت القاسم ـ أبا عبيد القاسم بن سلام ـ وذكر الباب الذي يروى في الرؤية والكرسي ووضع القدمين، وضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، وأين كان ربنا قبل أن يخلق السماء، وأن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك ﷻ قدمه فيها فتقول قط قط، وأشباه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٦)، عن عبدالله بن مسعود ﷺ، ولفظه: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: **«يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع وسائر الخلائق على أصبع، فيقول أنا الملك؛ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾».**

(٢) حديث صحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، ولفظه: قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء. ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».**
أخرجه مسلم (٢٦٥٤).

(٣) (٣/ ٤٣٠).

(٤) ص(٦٨-٦٩).

هذه الأحاديث فقال: (**هذه الأحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف وضع قدمه وكيف ضحك؟ قلنا: لا يفسر هذا، ولا سمعنا أحدًا يفسره**).

وكلام السلف في هذا كثير، قال أبو بكر الخلال في السنة[١]: (حدثنا أبو بكر المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: سألت أبا عبدالله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء، وقصة العرش وصححها أبو عبد الله وقال: **قد تلقتها العلماء بالقبول نسلم الأخبار كما جاءت**، قال: فقلت له: إن رجلًا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت، فقال: **يُجفى**، وقال: **ما اعتراضه في هذا الموضع؟! يسلِّم الأخبار كما جاءت**) فأقوال العلماء في هذا كثيرة.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومن لم يعرف تفسير الأحاديث ويبلغها عقله، فقد كفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان والتسليم مثل: حديث الصادق المصدوق)؛ **يعني**: عليه أن يسلم إذا بلغه لفظ الحديث وإن لم يفهم معناه وتفسيرَه، فتسلم لله ولرسوله ﷺ لأنك إن لم تكن قد عقلتها وفهمتها، فقد يعلمها غيرك، فأنت مكفي؛ أي: يكفيك في هذا المقام أن تسلم، وتؤمن وتقول: آمنت بالله وبما جاء عن الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله، كما روي عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (**آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ**)[٢].

---

(١) (٢٨٣).

(٢) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة (ص٧)، وجامع المسائل، لابن تيمية (٥/ ٦٢)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٥٤).

ق مقصود المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: بـ(حديث الصادق المصدوق) هو حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[1] يعني: الكتاب الذي كتب عليه وهو في بطن أمه.

**والمعنى**: أن على المسلم أن يسلم للأحاديث، ويؤمن بها، ولا يعترض، ولا يسأل عن الأفعال بـ(لم) ولا عن الصفات بـ(كيف)؟ مثل هذا حديث الصادق المصدوق الوارد في القدر؛ فيسلم المؤمن بأن هذا قدره، وأن الله تعالى كتب الرزق والأجل والعمل، والشقاوة والسعادة، فلا تسأل ولا تعترض؛ فالله عليم بالذوات التي تصلح لغرس الكرامة، فلا تسأل لماذا قدر على هذا الشقاوة؟ ولماذا قدر على هذا السعادة؟ ولماذا قدر الفقر على هذا؟ ولماذا قدر الغنى على هذا؟ فلا تعترض على الله بل **عليك الإيمان والتسليم؛ فإن الله حكيم عليم**.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢)، ومسلم (٢٦٤٣)، واللفظ له.

## الإيمان بما جاء في الأحاديث

**ومثل ما كان مثله في القدر ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.**

### الشَـرح

○ قوله: (ومثل ما كان مثله في القدر) يعني: كذلك كل ما كان في القدر فلا تسأل، بل سلِّم لله؛ فهو تعالى لا يسأل عما يفعل، فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين.

○ وقوله: (ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات) يعني: على الإنسان أن يسلم بأحاديث الرؤية؛ **والمراد بأحاديث الرؤية**: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة يُؤْمَنُ بها؛ وقد عرفنا أن من لم يؤمن بالقدر فهو كافر، كذلك من لم يؤمن برؤية الله يوم القيامة فهو كافر؛ كفره الأئمة كالإمام أحمد وغيره، **قالوا**: ومن لم يؤمن بأن الله يرى في الآخرة فهو كافر، **والمراد بالكفر**: الحكم على العموم. أما فلان بن فلان المعين الذي أنكر الرؤية فلا يكفرّ إلا إذا قامت عليه الحجة؛ يعني: إذا بلغه الدليل ثم عاند فإنه يكفر في هذه الحالة، أما من أنكر الرؤية فيقال: هذا كافر على العموم، ويقال: كل من أنكر رؤية الله فهو

كافر، لكن فلان بن فلان الذي ينكر رؤية الله، لا يكفر إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع.

ورؤية الله تعالى في الآخرة، وردت في نصوص الكتاب العزيز، وفي السنة المطهرة.

*** من أدلة الرؤية من الكتاب العزيز:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

**وجه الدلالة:**

حيث أسند النظر إلى الوجه الذي هو محله، وعداه بأداة ﴿إِلَىٰ﴾ الدالة على النظر بالعين المجردة إلى الرب، وأخلى الكلام عن قرينة تدل على خلاف الموضوع وحقيقته؛ فدل على أن المراد: النظر بالعين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

٢ ـ قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] جاء في صحيح مسلم في حديث صهيب(١) تفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجهه الكريم.

٣ ـ قوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

**وجه الدلالة:**

استدل الإمام الشافعي رحمه الله بهذه الآية على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، قال: لما حجب هؤلاء في السخط دل على أن المؤمنين يرونه في الرضا، ولو كان المؤمنون لا يرون ربهم لاستووا هم والكفار في الحجب، فلما حُجب هؤلاء عن الرؤية دل على أن المؤمنين يرونه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

## * نوع الأحاديث الواردة في رؤية رب العالمين:

الأحاديث في الرؤية صحيحة متواترة، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الروح: متواترة في الصحاح والسنن والمسانيد رواها عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين صحابيًا كلها تثبت رؤية المؤمنين لربهم ﷻ[(١)].

ولهذا روى أبو بكر الخلال في السنة[(٢)] والآجري في الشريعة[(٣)] بسند صحيح عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: (وذكرت عنده هذه الأحاديث في الرؤية هذه عندنا فقال: **حق نقلها الناس بعضهم عن بعض**).

## * من أحاديث الرؤية:

١ ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه البخاري ومسلم، قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**»[(٤)] يعني: العصر والفجر، ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠] وهذا يدل على أن المحافظة على هاتين الصلاتين الفجر والعصر لها مدخل في رؤية الله يوم القيامة.

٢ ـ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ناس يا رسول الله: أنرى ربنا ﷻ يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة**»، قالوا: لا، قال: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة**»، قالوا: لا، قال: «**والذي نفسي بيده لا**

---

(١) حادي الأرواح (ص١٩٥).
(٢) رقم (٣١١).
(٣) ص(٢٤٣).
(٤) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، واللفظ له غير كلمة (فافعلوا)، فهي عند البخاري.

**تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»** متفق عليه[(١)].

٣ ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما**» رواه الشيخان وغيرهما[(٢)].

٤ ـ حديث صهيب رضي الله عنه: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عز وجل» رواه الإمام مسلم[(٣)].

٥ ـ حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الذي رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[(٤)].

وأقوال أهل العلم في وجوب الإيمان والتصديق برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أكثر من أن تحصى، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (مثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع).

اعلم أن الذين يستوحشونها هم أهل البدع، من الجهمية والمعتزلة الذين أنكروا رؤية الله يوم القيامة مع أن الآيات صريحة والنصوص واضحة، وأولوها فقالوا: المراد بالرؤية العلم؛ يقول المعتزلة: «**إنكم ترون ربكم كما ترون القمر**» أي: إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ٢٩٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨١، ٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣).
(٣) أخرجه مسلم (١٨١).
(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٨).

القمر أنه قمر، لا تشكون في العلم به!

وهذا تفسير باطل؛ لأن العلم بذلك يحصل لجميع الناس يوم القيامة، بلا إشكال حتى الكفرة الذين ينكرون وجود الله يؤمنون بذلك يوم القيامة، فيكون قول المعتزلة من باب تحصيل حاصل.

وقد استدل المعتزلة على أن الرؤية معناها العلم، بمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] فقالوا: معناها: ألم تعلم.

لكن الأحاديث صريحة جداً في إثبات الرؤية البصرية، فلا يمكن أن يكون معنى قوله: «**إنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**» العلم، **بل المراد**: الرؤية البصرية. ومع ذلك فإن المعتزلة أنكروا رؤية الله وأنكروا علوه، فأنكروا كونه فوق السماوات وفوق العرش، وأهل السنة آمنوا بالعلو؛ وأن الله فوق العرش، وآمنوا برؤية الله يوم القيامة.

**أما الأشاعرة فهم مذبذبون** لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أرادوا بزعمهم أن يسلكوا المسلك الوسط بين المعتزلة وبين أهل السنة، فراموا أن يكونوا مع أهل السنة في الرؤية، ومع المعتزلة في إنكار العلو، فأثبتوا رؤية الله يوم القيامة؛ كما أثبتها أهل السنة، لكن أنكروا علو الله، وأن يكون فوق العرش، فوافقوا المعتزلة في ذلك، وأتوا بقول عجيب لا تستسيغه العقول، فقالوا: الله يُرى، لا في جهة!!.

فلا يُرى من فوقٍ، ولا من إمام، ولا من خلف، ولا عن يمين، ولا عن شمال!! **ولذلك**: أنكر عليهم أهل السنة وبدعوهم، بل أنكر عليهم الصبيان وضحكوا من قول الأشاعرة: إن الرؤية تكون بلا مقابلة، وهذا مذهب باطل؛ لأن الرؤية لا تكون إلا بمقابلة من المرئي، فالمرئي لابد أن يكون مقابلًا للرائي، مواجهاً له، مباينًا له، أما رؤية بدون

جهة، وبدون مقابلة، فلا يمكن أن تقع؛ **ولهذا سماهم بعض أهل العلم**: **(خناثى)** كالخنثى لا أنثى ولا ذكر.

فالأشاعرة في هذه المسألة، ليسوا من أهل السنة، وليسوا من المعتزلة،وفي هذه المسألة أرادوا أن يكونوا مع المعتزلة في إنكار العلو، ومع أهل السنة في إثبات الرؤية، فعجزوا عن ذلك، **فلجؤوا إلى حجج سوفسطائية** وهي: المموهة؛ التي تشبه الحجة وليست حجة.

**فقالوا**: إن عندنا دليلاً أنه يمكن الرؤية بلا مواجهة.

**ما هو؟**

**قالوا**: رؤية الإنسان وجهه في المرآة يرى بلا جهة.

**نقول لهم**: هذا تلبس؛ لأن الإنسان لا يرى في المرآة إلا خيال صورته المنطبعة في الجسم الصقيل، وهو مع هذا؛ في جهة منها، **فبطل بهذا دليلهم العقلي**.

وبهذا يكون أهل السنة والجماعة آمنوا بعلو الله وأنه فوق العرش وبالرؤية.

والمعتزلة أنكروا الأمرين أنكروا علو الله وأنكروا الرؤية فسروها بالعلم.

والأشاعرة آمنوا بالرؤية وأنكروا العلو، فصاروا مع المعتزلة في إنكار العلو، ومع أهل السنة، في إثبات الرؤية.

○ ولهذا قال المؤلف ﷺ: (يجب الإيمان بها وإن نأت عن الأسماع واستوحش منها المستمع). فالواجب فيها كما قال المؤلف: (وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا) ومن رد حرفاً من القرآن كفر.

○ قوله: (وألا يرد منها حرفًا وغيرها من الأحاديث المأثورات

عن الثقات) يعني: كل الأحاديث التي أثرت ورويت عن الثقات الأثبات يجب الإيمان بها.

• **مسألة: الفرق بين الأشعري والمعتزلي:**

**مذهب المعتزلة** ينكرون جميع الصفات، ولا يثبتون إلا الأسماء فمذهبهم: إثبات أسماء الله لكن بدون معاني، الرحمن بدون رحمة، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

**وأما الأشاعرة**، فهم يثبتون الأسماء ويثبتون سبع صفات: الحياة، والكلام، والبصر، والسمع والعلم والقدرة والإرادة، والباقي يؤولونه، ومنهم من يثبت عشرين صفة، ومنهم من يثبت أربعين لكن المشهور عنهم سبع صفات الحياة والكلام، والبصر، والسمع والعلم والقدرة والإرادة، هذا في الصفات.

- **وفي القدر: الأشعرية جبرية، والمعتزلة قدرية**، فتجد أنه يقال: الأشاعرة ينكرون الأسماء مثل الجهمية، وأما المعتزلة فهم يعتمدون على الأسباب ضد الأشعرية.

• **مسألة: الحكم في الأشاعرة:**

الأشاعرة لم يكفرهم العلماء؛ لأنهم مبتدعة متأولون، **وفرق بين الجاحد والمتأول**، فالذي يجحد كافر، كمن يجحد ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ينكر يقول: الرب لم يستو على العرش: هذا كافر؛ لأنه كذب الله، ومن كذب الله كفر.

أما الذي يتأول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] فيقول: معنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: استولى؛ لأنه لا يليق بالله أن يستوي! فهذه شبهة عند القائل بها؛ فهذا مبتدع لا يكفر.

فالأشاعرة متأولون، ولهم شبهة، والمتأول لا يكفر.

❁ **تنبيه:**

ثبت أن أبا الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ رجع عن معتقد الأشاعرة، وأبو الحسن الأشعري له أطوار، كان على مذهب المعتزلة جالسهم مدة طويلة يقال: ما يقرب من أربعين سنة، ثم أعلن رجوعه، وجلس على منبر الجامع، وقال لهم: إني راجع عن مذهبي، وإني منخلع من الأقوال والآراء التي تذكرونها كما أخلع هذا الثوب، وخلع ثوبا عليه، **ثم صار** على مذهب ابن كلاب، وهو إثبات الصفات الذاتية، وتأويل الصفات الفعلية، **ثم تحول** إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فآخر ما كتب كتاب: "الإبانة في أصول الديانة"، وقال: إنه على معتقد الإمام أحمد بن حنبل، وأثنى على الإمام أحمد فقال عنه: الإمام الكبير المبجل المفخم.

لكن بقيت عليه أشياء يسيرة، بسبب طول مكثه في المذهب الأول، وإلا ففي الجملة هو على معتقد أهل السنة والجماعة.

❁ ❁ ❁

## الجدال في الدين

**وأن لا يخاصم أحدًا ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويسلم ويؤمن بالآثار.**

الشَّرح

بين المؤلف رحمه الله: أنه يجب على المسلم أن يؤمن بالأحاديث، وألا يخاصم أحدا ولا يناظره، ولا يتعلم الجدال؛ فكل هذا مطلوب من المسلم؛ فإن الخصومات، والجدال في الدين منهي عنه، لأنه إذا خاصم الإنسانُ وناظر في النصوص فقد يؤدي به إلى الإنكار والتأويل، فالخصومات والجدال من طريقة أهل البدع.

وفي الحديث: «**إن الله يبغض الألد الخصم**»(١) وقال تعالى في ذمهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨] وروى الآجري في الشريعة(٢) بسند حسن، عن معن بن عيسى قال: (انصرف مالك بن أنس رضي الله عنه يومًا من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الحورية ـ كان يُتهم بالإرجاء ـ فقال: يا أبا عبدالله ـ يخاطب مالك ـ اسمع مني شيئًا أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي، قال: **فإن غلبتني؟**

(١) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ [البَقَرَة: ٢٠٤] رقم: (٢٤٥٧)، ومسلم: كتاب العلم، رقم: (٢٦٦٨).

(٢) ص(٥٥).

قال: إن غلبتك فاتبعني، قال: **فإن جاء رجل آخر فكلّمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه**، فقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: **يا عبدالله، بعث الله ﷺ محمدًا بدين واحد وأراك تنتقل من دين إلى دين**).

قال عمر بن عبدالعزيز: (**من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل**)[١].

وعن سلام بن أبي المطيع (**أن رجلًا من أصحاب الأهواء** - يعني من أهل البدع - **قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة - كلمة من البدع يقول لأيوب أصرفها لي - فولى أيوب وجعل يشير بأصبعه ولا نصف كلمة**) يعني: لا يريد يكلم أهل البدع، ولا يريد الجدال. رواه الآجري في الشريعة[٢].

وروى عن معاوية بن قرة قال: (**الخصومات في الدين تحبط الأعمال**)[٣].

قال الحسن بن علي البربهاري في شرح السنة[٤]: (**والكلام والجدال والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله، ونهى الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر؛ فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان واعتقاد ما قاله رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، واسكت عن ما سوى ذلك**).

○ قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه) يعني: أن كلام الإنسان في القدر،

---

(١) رواه اللالكائي (١/ ١٢٨) (٢١٦)، وعبدالله بن أحمد في السنة (١٠٣).
(٢) ص٥٥، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة رقم (٢٩١).
(٣) الشريعة ص(٥٤). (٤) ص(٢٦).

وسؤاله عنه، واعتراضه على الله؛ وقوله: لم فعل كذا؟ وسؤاله عن كيفية الصفات، وتأويل نصوصها، وإنكارها بحجة التنزيه، كما يفعله المتكلمون، وكذلك الجدال في القرآن، وغيرها من السنن: مكروه، ومنهي عنه. يقول: (لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة) أي: لا يكون صاحبه - حتى ولو أصاب السنة بكلامه -: من أهل السنة (حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار)، **والمقصود بالآثار**: كلام الرسول ﷺ وكذلك آثار الصحابة والتابعين.

قال البغوي رحمه الله في شرح السنة: **(اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه)**[(١)]، وقال الإمام أبو محمد البربهاري في شرح السنة: **(واعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة، ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام والجدال والمراء والخصومة)**[(٢)].

والعجب كيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله يقول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤] فعليك بالتسليم والرضا بالآثار والكف والسكوت.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا سبب ذم السلف لعلم الكلام قال رحمه الله: **(فالسلف والأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة، كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها في هذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ على معان مجملة في النفي والإثبات، كما قال الإمام أحمد رحمه الله في وصفه لأهل**

---

(١) (٢١٦/١).

(٢) ص(٣٨).

البدع فقال: هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس، ثم يلبسون عليهم)(١)، وكلام السلف في هذا طويل.

• مسألة: جاء في حديثٍ حسن أنه ﷺ قال: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»(٢) وهل ترك الجدال في أمور الدين ولو كان الحق معك يدخل في مفهوم هذا الحديث؟

■ الجواب: قوله ﷺ: «أنا زعيم» يعني: كفيل، وضامن ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، «ترك المراء» أي: الجدال في الدين، ولو كان على حق؛ لأن الجدال قد يفضي به إلى ما لا تحمد عقباه، وأقل ما فيه أن تماري صاحبك وتغضبه، ويكون حزازات في النفوس، وإحن وضغائن، فترك المراء والجدال مطلوب، فلا ينبغي للإنسان أن يماري، ومن ذلك قول الله تعالى في الحج: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] والجدال هو المراء.

❁ ❁ ❁

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤١)، وفي الشعب (٨٠١٧)، والطبراني في الكبير (٧٤٨٨)، ومسند الشاميين (١٥٩٤)، من حديث أبي أمامة ﷺ، وجاء من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

## القرآن كلام الله وليس بمخلوق

**والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوق.**

### الشَرح

يقول المؤلف ﷺ: (والقرآن كلام الله، وليس بمخلوق)، يعني: القرآن كلام الله لفظه ومعناه، حروفه ومعانيه؛ كما دلت على ذلك النصوص، وكما أقر بذلك أهل السنة والجماعة بأن **كلام الله يشمل**: اللفظ والمعنى، وأن الله تعالى تكلم بكلام؛ بحرف وصوت يسمع، فيجب على المؤمن أن يعتقد ذلك ويعتقد انه ليس بمخلوق.

❁ **كلام الله نوعان:**

النوع الأول: مسموع من الله بواسطة كما سمع الصحابة كلام الله بواسطة النبي ﷺ، وكما يُسمع كلام الله بواسطة قراءة القارئ.

النوع الثاني: مسموع من الله بلا واسطة كما سمع جبرائيل عليه السلام من الله، وكما سمع موسى كلام الله بدون واسطة، فالله تعالى تكلم بهذا القرآن بحرف وصوت ولفظ، وسمعه منه جبرائيل؛ فنزل به على قلب محمد ﷺ، كما قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله كما يقول الأشاعرة، الذين يزعمون أنَّ القرآن الذي يُتلى عبارة

عن كلام الله، وهذا باطل كما سبق، ولهذا روى البخاري رحمه الله في "خلق أفعال العباد" بسنده عن سفيان بن عيينة، قال: (**أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق**)(١).

وكما سمع نبيُّنا ﷺ ليلة المعراج كلامَ الله بدون واسطة، وكما يكلم اللهُ الناسَ يوم القيامة يسمعون كلامه بلا واسطة، وكما يكلم آدمَ يوم القيامة فيقول الله: «**يا آدم**» يُسمعه الصوت، وفي الحديث: «**ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب**»(٢) وهذا هو الصوت المسموع من كلام الله، يسمعه من بعد كما يسمعه من قَرُب، بخلاف صوت المخلوق فإن القريب يسمعه أكثر من البعيد.

كما في الحديث الذي ذكرنا طرفاً منه، وتمامه: «**يقول الله تعالى: «يا آدم» فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**». ثم قال: «**أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف**»(٣).

فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه، يقول المؤلف رحمه الله: (ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق) أي: لا تضعف وكن قوياً نشيطاً في معتقدك وفي إعلانك وإظهارك معتقد أهل السنة والجماعة فقل: القرآن ليس بمخلوق، ولا تضعف أمام أهل البدع، فلا ينبغي للسني أن يضعف؛ بل عليه أن يقول بصراحة وقوة، ويُعْلِنَ بالحق، ويقول عن اعتقاد

---

(١) ص(٢٩).

(٢) هذا جزء من حديث ذكره الإمام البخاري بصيغة الجزم في كتاب العلم باب (١٩)، وفي كتاب التوحيد باب (٣٢)، بصيغة التمريض، وأخرجه في الأدب المفرد (٩٧٠)، وفي أفعال العباد (ص٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)،واللفظ له ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

جازم: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، ولو كان بين أهل البدع؛ وبعض الناس قد يضعف إذا كان بين أهل البدع، وقد يستحي، فمثل هذا يقول له الإمام أحمد: (لا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق فإن كلام الله ليس ببائن منه)، يعني: لم يفارقه سبحانه الكلام ولم ينتقل منه إلى غيره ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ.

ولهذا قال الإمام الحافظ أبو داود الطيالسي: (**القرآن كلام الله ليس ببائن منه**)، وقال شيخ الإسلام ﷺ: (**إن قول السلف كلام الله منه بدا وإليه يعود، منه بدا: لم يريدوا به أنه فارق ذاته وحل في غيره، فإن كلام المخلوق بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره، فكيف يجوز أن تفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته**)(١).

جاء عند أبي سعيد الدارمي في الرد على الجهمية، قال سفيان بن عيينة، قال عمرو بن دينار: أدركت أصحاب النبي ﷺ فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون: (**الله خالق وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود**)(٢)، وسنده صحيح، (**منه خرج**): يعني تكلم الله، (**وإليه يعود**): في آخر الزمان حينما يُرفع القرآن، وهو شرط من أشراط الساعة الكبار، فإذا ترك الناس العمل بالقرآن، نزع من الصدور ومن المصاحف ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

وروى البيهقي في الأسماء والصفات من طريق ابن راهويه، أنه قال: (**وقد أدرك عمرو بن دينار أجلّة أصحاب رسول الله ﷺ؛ البدريين والمهاجرين والأنصار، مثل جابر بن عبدالله وأبي سعيد الخدري، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم، وأجلة التابعين رحمة الله عليهم، وعلى هذا مضى صدر هذه الأمة لم يختلفوا**

(١) الفتاوى الكبرى (٥/ ١٠)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٢٧٤).

(٢) رقم (٣٤٤).

**في ذلك أن القرآن كلام الله)**[١].

قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن الإمام أحمد[٢] رحمه الله: **(سمعت أبي يقول مرة وسئل عن القرآن كلام الله ﷻ ليس بمخلوق ولا تخاصموا ولا تجادلوا من يخاصم)** إذن فالقرآن كلام الله ليس بمخلوق، وليس ببائن منه، يعني: ليس بمنتقل عنه إلى غيره، (وليس منه شيء مخلوق)؛ أي: ليس من الله شيء مخلوق، كلام الله صفة من صفاته، والله تعالى بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق وغيره مخلوق؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرّعد: ١٦] فالله بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق، وما عداه مخلوق، أما أهل البدع فاختلفوا في كلام الله، كما قال الإمام أحمد رحمه الله قال: **(إنهم مختلفون في الكتاب مخالفون في الكتاب)**، فعقيدة أهل السنة: أنَّ القرآن كلام الله لفظه ومعناه، وأنه حروف وأصوات مسموعة.

**أما المعتزلة فقالوا:** كلام الله مخلوق؛ لفظه ومعناه، وعلى هذا: فالقرآن مع كونه كلام الله، إلا أنه ـ عندهم ـ مخلوق لفظه ومعناه، قالوا: إن الله تعالى لما كلم موسى وناداه قائلاً في الآية: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القَصَص: ٣٠] قالوا: إن الله خلق الكلام في الشجرة، فنادت موسى؛ فالشجرة هي التي قالت: يا موسى إني أنا الله رب العالمين، وهذا من أبطل الباطل أن تقول الشجرة: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾.

فالمعتزلة تقول كلام الله مخلوق؛ لفظه ومعناه، والقرآن مخلوق، ـ تعالى الله عما يقولون ـ وكذلك الجهمية.

---

(١) (١/ ٥٩٨).

(٢) في السنة (١/ ١٣٢)، رقم (٨٠).

**وأما الأشاعرة فقد تذبذبوا في الكلام الإلهي**، وأخذوا نصف مذهب أهل السنة ونصف مذهب المعتزلة، **وقالوا**: كلام الله نصفان: نصف مخلوق، ونصف غير مخلوق، فاللفظ مخلوق والمعنى غير مخلوق، فصار مذهبهم مكوناً من نصف مذهب أهل السنة، ومن نصف مذهب المعتزلة، فالمعنى وافقوا فيه أهل السنة، واللفظ وافقوا فيه المعتزلة، فصاروا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

**فالحاصل أن الأشاعرة يقولون**: الكلام من حيث هو: اسم للمعنى، وأما اللفظ والحروف والأصوات ليست من الكلام بل هي دليل على الكلام، فالكلام ـ عندهم ـ معنى قائم بالنفس لا يُسمع، ليس بحرف ولا صوت، **ويستدلون** ببيت منسوب للأخطل النصراني:

**إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا**

وهو بيت مصنوع لا يدرى من قائله، وإنما هو منسوب للأخطل، ثم أين دليلكم من الكتاب والسنة؟

كيف تعتمدون على كلام مصنوع، منسوب للأخطل؟

والأخطل لو سلَّمنا أنه قاله، **فالمقصود**: "إن الكلام لفي الفؤاد" يعني: الكلام الذي يُعِدُّه الإنسان، ويُهيئه في كلامه قبل أن يتكلم به؛ فيزنه بعقله قبل أن ينطق به، وليس المقصود إن اللفظ ليس من الكلام.

ولو سلمنا جدلا أن مقصوده اللفظ فهذا قولُ نصرانيٍّ لا يحتج به، والنصارى قد ضلوا في معنى الكلام، **فقالوا**: إن عيسى نفس الكلمة ـ أي: جزء من الله ـ، وليس هو الكلمة، والكلام صفة من صفات الله، فجعلوا عيسى جزءاً من الله، **والمسلمون يقولون**: عيسى مخلوق بالكلمة ﴿كُن﴾، وليس هو الكلمة، خلقه الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عِمرَان: ٥٩]فالنصارى غلوا في عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى رفعوه

من مقام العبودية والنبوة إلى مقام الألوهية.

فإذا كان النصارى ضلوا في معنى الكلام فكيف يُستدل بقول نصراني ضل في معنى الكلام على معنى الكلام؟ ويُترك ما يعرف من معنى الكلام من كلام الله وكلام رسوله، وكلام أهل اللغة.

**فالأشاعرة قالوا:** الكلام هو اسم للمعنى، أما اللفظ ليس بكلام بل دليل على الكلام، **ولهذا قالوا:** القرآن معنى قائم بنفس الرب لم يتكلم بحرف ولا صوت، ولم يُسمع منه كلمة، فجعلوا الرب أبكم لا يتكلم ـ نعوذ بالله ـ! **ولهذا قالوا:** الله اضطر جبريل اضطرارا ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر بهذا القرآن، فالقرآن عبارة عبر به جبريل، أي: عبر عن المعنى القائم بالرب! فجعلوا الرب سبحانه كالأبكم الذي يأتي بحركات ليعبر بها عما في نفسه ـ تعالى الله عما يقولون ـ.

**شبهتهم:** قالوا: لأنه لو تكلم بحرف وصوت لصار محلا للحوادث ـ بزعمهم ـ والرب منزه عن الحوادث أي: الحرف حادث، والصوت حادث والرب ليس محلا للحوادث؛ **ففرارا من ذلك قالوا:** الكلام ليس بحرف ولا صوت، بل هو معنى قائم بنفسه، اضطر الله جبريل إلى فهم المعنى القائم فعبر بهذا القرآن، فالقرآن عبارة عبر به جبريل، على قول طائفة منهم.

**وقالت طائفة أخرى من الأشاعرة:** الذي عبر به محمد ﷺ.

**وقالت طائفة ثالثة منهم:** جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، ولم يتكلم الله بكلمة واحدة منه، ولذلك يقولون عند التحقيق والمناقشة: ليس القرآن كلام الله حقيقة، وإنما هو كلام الله مجازا، أي: يسمى ما في المصحف كلام الله مجازا وأنَّ الرب سبحانه وتعالى، لم يتكلم بهذه الألفاظ أصلاً.

**وقد ترتب على اعتقادهم** بأنَّ المصحف ليس فيه كلام الله، لكن تأدى به كلام الله: أن استهان بعضهم بالقرآن، ومنهم من كان يرميه ولا يبالي ـ نعوذ بالله من ذلك ـ!!

□ **وللناس في «مسمى الكلام» و«القول» عند الإطلاق أربعة أقوال:**

القول الأول: وهو الذي عليه السلف والفقهاء والجمهور؛ أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظُ الإنسان: الروحَ والبدنَ جميعاً.

القول الثاني: وقول المعتزلة: مسماه هو اللفظ، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

القول الثالث: أن مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجازٌ، لأنه دال عليه. وهذا قول ابن كُلَّاب.

القول الرابع: أن مسماه مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكُلابية.

القول الخامس: يروى عن أبي الحسن؛ أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين.

قال شيخ الإسلام ﷺ في العقيدة الواسطية: مقرِّراً مذهب السلف في كلام الله تعالى: **(والقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، هذا مجمل من عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن، القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ـ كما يقوله أبو المعالي الجويني ـ، وليس كلام الله المعاني دون الحروف ـ كما يقوله الأشاعرة ـ)**[1].

---

(١) ص(١٦).

ـ والقرآن صفة من صفاته تعالى لفظه ومعناه وليس مخلوقاً كما تقوله المعتزلة، **فالكلام اسم اللفظ والمعنى في اللغة العربية؛**

**فإطلاق الكلام على المعنى**: إطلاقٌ على جزء من المعنى.

**وإطلاقه على اللفظ**: إطلاقٌ على جزء معناه.

**وإطلاقه على اللفظ والمعنى**: إطلاقٌ على جميع مسماه.

**مثل**: الإنسان؛ فمسمى الإنسان: اسم للروح والجسد، فإطلاق الإنسان على الروح: إطلاقٌ على جزء من معناه، وإطلاقه على الجسد: إطلاقٌ على جزء من معناه، وإطلاقه على الروح والجسد: إطلاقٌ على كل معناه، فالإنسان اسم للروح والجسد، والكلام اسم للفظ والمعنى هذا هو الصواب. والله الموفق.

❁ ❁ ❁

## القرآن لفظه ومعناه كلام الله وقول اللفظية والواقفة

**وإياك ومناظرة من أخذل فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله فهذا صاحب بدعة، مثل من قال هو مخلوق، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق.**

### الشرح

القرآن كلام الله؛ وكلام الله صفة من صفاته، وصفات الله ليست بائنة منه، أي: منفصلة عنه، فالله بذاته وأسمائه وصفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق؛ ولهذا قال المؤلف ﷺ: (والقرآن كلام الله)؛ يعني: ألفاظه وحروفه ومعانيه، كل ذلك كلام الله؛ لأن الكلام اسم للحروف والمعاني، وهذا هو الصواب في مسمَّى الكلام من حيث هو اسمٌ للفظ وللحروف وللمعاني، كما أن مسمَّى الإنسان اسم للروح والجسد، وهو الصواب الذي عليه أهل اللغة، وعليه المحققون. وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، كما قرر الإمام أحمد بن حنبل؛ إمام أهل السنة والجماعة.

قال علي بن المديني: **(القرآن كلام الله ومن قال إنه مخلوق فهو كافر لا يصلى خلفه)**[1].

(١) أخرجه البخاري، في خلق أفعال العباد، رقم (٣٢)، ونقص عثمان الدارمي (١/ ١٥١)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢)، وانظر: شرح الأصفهانية (ص١١٢)، اجتماع الجيوش (ص٢١٤)، ومختصر العلو (ص١٨٨).

« قول المؤلف رحمه الله: (وإياك ومناظرة من أخذل فيه)؛ يعني: لا تجادل أهل الباطل؛ لأن الجدال والخصومات قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، فلا تجادل أهل البدع، وأبلغهم أن القرآن كلام الله، قال أبو عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل في السنة: (سمعت أبي - يعني: الإمام أحمد - مرةً أخرى سُئل عن القرآن؟ فقال: كلام الله ليس بمخلوق، ولا تخاصموا، ولا تجالسوا من يخاصم).

« قول المؤلف رحمه الله: (ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله؛ فهذا صاحب بدعة، مثل من قال: هو مخلوق. وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق).

**هنا ذكر طائفتين:**

**الطائفة الأولى:** من تقول باللفظ.

**الطائفة الثانية:** الواقفة.

**وطوائف أهل البدع في هذا كالآتي:**

الطائفة الأولى: **قالوا:** القرآن مخلوق هذا قول المعتزلة، هؤلاء أهل بدعة.

الطائفة الثانية: **قالوا:** المعنى ليس بمخلوق واللفظ مخلوق وهم الأشاعرة.

الطائفة الثالثة: **من تقول باللفظ تقول:** لفظي بالقرآن مخلوق، زهؤلاء مبتدعة.

الطائفة الرابعة: الواقفة؛ وهم الذين **قالوا:** القرآن كلام الله، ولكن وقفوا، **فقالوا:** لا نقول: غير مخلوق، ولا نقول: مخلوق، قال عبدالله ابن الإمام أحمد في كتابه "السنة": (**سمعت أبي سُئل عن**

**الواقفة الذين يقفون يقولون: لا مخلوق ولا غير مخلوق، فقال أبي: من كان يخاصم ويرفض الكلام، فهو جهمي، ومن لا يرفض الكلام يُجَانَب حتى يرجع، ومن لا يكن له علم يسأل)**[١].

وروى الآجري في الشريعة عن أبي داود السجستاني قال: **(سمعت أحمد بن حنبل سئل: هل له رخصة أن يقول الرجل: القرآن كلام الله ثم يسكت؛ يعني: لا يقول مخلوق ولا غير مخلوق؟ فقال: ولما يسكت، ولولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون)**[٢].

فالواقفة مبتدعة، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (ومن وقف فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق وإنما هو كلام الله، فهذا صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق، لا فرق بينهما).

**- بين الواقفة واللفظية:**

قال قتيبة بن سعيد: **(الواقفة شر من اللفظية)**[٣]، واللفظية: طائفة حدثت متأخرة، يقول أحدهم: لفظي بالقرآن مخلوق فهؤلاء مبتدعة؛ لأنهم تكلموا بكلام لم يتكلم به السلف فهذه طريقة مبتدعة ابتدعها بعض أهل البدع ليُرّوجوا بدعتهم فقالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق، وقد عدهم الإمام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء من الجهمية، قال عبدالله بن الإمام أحمد رحمه الله في السنة[٤]: (سألت أبي رحمه الله فقلت: إن قوما يقولون لفظنا بالقرآن مخلوق قال: **هم جهمية وهم أشر ممن يقف، هذا قول جهم، وعظم الأمر عنده في هذا)**، وقد اشتهر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه

(١) رقم (٢٢٣).
(٢) ص(٨٣).
(٣) الشريعة للآجري ص(٨٤).
(٤) (١/ ١٦٤) (١٨٠).

قال: **(من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع)**(١).

**ومقصوده** رحمه الله: سد الباب من الجهتين.

- **وقد قرر الإمام البخاري** في الجامع الصحيح، أن أفعال العباد مخلوقة، ألفاظهم، وحروفهم، وأصواتهم، وأداؤهم، وحركاتهم؛ مخلوقة، وأما كلام الله فليس بمخلوق، **ولهذا بوب في ذلك فقال:** «باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وقراءتهم لا تجاوز حناجرهم»(٢)، واستدل بحديث: **«إن من ضئضئ هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم»**(٣)، وذكر أدلةً في هذا، وسرد أدلةً أخرى في كتاب «خلق أفعال العباد» وبيَّن أنَّ العبادَ مخلوقون.

**فظن بعضُ الناس أن هناك اختلافاً بين الإمامين** - أي: بين الإمام أحمد، والإمام البخاري - **وقالوا**: إن البخاري، يقرر كلام اللفظية، أو مذهب اللفظية، حتى هجر جماعةٌ الإمامَ البخاري، وهجره محمد بن إبراهيم الذهلي، وقال: من جالس محمد بن إسماعيل بعدنا، فهو مبتدع.

**وقد بيَّن العلامةُ ابن القيم** في كتابه «الصواعق المرسلة» سبب هذه الفتنة التي حصلت في صفوف المحدثين، وأن هذه الفتنة حصل فيها لبس، **وسببها أمران**:

الأول: القول المجمل الذي قاله الإمام أحمد.

الثاني: الحسد الذي أصاب بعض الناس؛ لأن الإمام البخاري إمامٌ رفع الله ذكره وأعلى قدره، وله جهود عظيمة في الحديث وفي

---

(١) انظر: السنة، لعبدالله بن الإمام أحمد (١/ ١٦٤-١٦٥) وذكره اللالكائي في السنة (٢/ ٣٥٥) والخلال كما في مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٢٥).

(٢) كتاب التوحيد باب (٥٧).

(٣) حديث صحيح: وهذا جزء منه؛ أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٤).

علومه، ولو لم يكن إلا كتابه العظيم «الصحيح»، الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله لكفاه ذلك فخراً، وقد نشر الله صيته، فحسده بعض الناس، وتعلقوا بالقول المجمل عن الإمام أحمد، حينما قال: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع»، فقالوا: إن البخاري قرر أن الألفاظ مخلوقة؛ فهو مبتدع.

**والواقع أنه لا اختلاف بين الإمامين:** أحمد والبخاري؛ إذْ كُلّ من الإمامين يقرر أن القرآن: لفظه، ومعناه، وحروفه، هو كلام الله، فاللفظ، والمعنى، والحروف، والأصوات: كلها صفة الله.

**وكُلّ من الإمامين يقرر أن العبد مخلوق، ومن ذلك:** أفعاله، وحركاته، وكلامه.

**لكن الإمام أحمد** رحمه الله **أجمل وسدَّ الباب؛** حتى لا يكون هناك طريق للمبتدعة، فقال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي؛ لأنَّ قائل هذا قد خالف قول السلف، فلا حاجة إلى التلفظ بهذه العبارة؛ فأنت مخلوق؛ لفظُكَ وغيرُ لفظِكَ، فلماذا تخصص اللفظ؟ فتخصيصك للفظ بدعة؛ قل: الإنسان مخلوق، بحركاته، وأفعاله، وأصواته، ومن ذلك: قراءتُه.

وأما كونك تخصص، وتقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فهذا بدعة، **كما لو قال شخص:** الفاتحة ليست مخلوقة، أو قال: البقرة ليست مخلوقة، أو السور المطولة ليست مخلوقة، **نقول له:** أنت مبتدع، القرآن ليس بمخلوق؛ فلماذا تخصص الفاتحة، وتخصص البقرة، ولماذا تخالف قول السلف؟ فقولك هذا بدعة. **فكذلك إذا قال:** لفظي بالقرآن مخلوق، نقول له: أنت مبتدع؛ لأنك مخلوق بجميع أفعالك وحركاتك، فلماذا تخصص لفظك بالقرآن، وتخالف السلف.

وكذلك إذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمي، ومن قال

غير مخلوق: فهو مبتدع؛ لأنه خالف أيضاً قول السلف.

**ومن العلماء من فسر كلام الإمام أحمد:** على أن كلمة اللفظ تطلق على الشيء الساقط، وأنه يراد باللفظ: الملفوظ وهو القرآن، فإذا أُريد باللفظ: الملفوظ، وهو القرآن، صار هذا قول الجهمية، وكذلك من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق صار قوله مبتَدعاً؛ لأنه مخالفٌ لقول السلف.

**وأما الإمام البخاري فإنه ميّز وَفَصَلَ** بيْن ما قام بالرب من الكلام؛ الذي هو صفته، وليس بمخلوق، وبين ما قام بالعبد من الكلام، ومن ذلك قراءتُه للقرآن؛ الذي هو مخلوق؛ فلا اختلاف بين الإمامين: إماميْ أهل السنة: أحمد والبخاري ـ رحمهما الله ـ لأنهما متفقان.

### ۞ الخلاصة في هذا الباب:

مذهب أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله؛ مُنزل غير مخلوق، وأن كلامه اسم للفظ والمعنى، والحروف، والأصوات.

وأما الطوائف المبتدعة كالمعتزلة، فقالوا: القرآن لفظه ومعناه مخلوق.

وقالت الأشاعرة: اللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق.

وطائفة كأبي المعالي الجويني، قالوا: الكلام اسم للفظ دون المعنى، وهؤلاء أيضاً مبتدعة.

واللفظية الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، وهم مبتدعة.

والواقفة الذين يقولون: نتوقف لا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق وهم مبتدعة أيضاً.

ومَنْ قال: القرآن مخلوق؛ فهو مبتدع، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو مبتدع، ومن توقف وقال: لا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق؛ فهو مبتدع؛ مثل مَنْ قال: مخلوق.

# الإيمان بالرؤية يوم القيامة

**والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح، وأن النبي ﷺ قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيحاً رواه قتادة، عن عكرمة عن ابن عباس(١) رضي الله عنهما ورواه الحاكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس(٢) رضي الله عنهما ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس(٣) رضي الله عنهما والحديث عندنا على ظاهره كما جاء**

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٥)، وعبدالله بن أحمد في السنة (٥٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٤٠)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨١٧)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٧)، ومن طريق البيهقي في الأسماء والصفات (٤٤٤- ٤٤٥)، كلهم عن أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه الآجوري في الشريعة (ص٤٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٤٤)، من طريقين عن حماد بن سلمة به. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٤٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٥)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٩٠٥)، عن طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٧٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٧)، وابن خزيمة (٢٧٣، ٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١١٦١٩) من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحكم بن أبان قال عنه الحافظ في التقريب (صدوق).

وأخرجه الترمذي (٣٢٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٣٩)، وابن خزيمة (٢٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٥٧)، والطبراني في الكبير (١٠٧٢٧)، والآجري في الشريعة (ص٤٩١) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه بن أبي عاصم في السنة (٤٣٤)، عن سماك بن حرب، عن عكرمة به. ورواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب، وفيه أيضاً أسياط بن نصر وهو كثير الخطأ.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٧٦٧)، وفيه علي بن زيد وهو ابن جدعان؛ ضعيف، وفيه: مبارك بن فضالة، فيه ضعف.

عن النبي ﷺ.

## الشَرح

إنَّ الإيمان برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة هو من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول السنة عندهم.

وقد جاءت الأحاديث أن المؤمنين يرون ربهم، كما يرون القمر ليلة البدر؛ فالمؤمن يرى ربه بعيني رأسه؛ ويراه من فوقه، كما في الحديث المتقدم، قال ﷺ: **«ترون ربكم كما ترون القمر»** ونحن نرى القمر من فوقنا، فكذلك نرى الله من فوقنا. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، وليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي؛ أي: ليس تشبيهاً لله بالقمر؛ لأن الله لا يشبه أحداً من خلقه، **والمعنى: أنكم سَتَرَوْنَ ربكم رؤيةً واضحةً: من فوقكم، كما ترون القمر رؤية واضحة من فوقكم، وليس المراد: أن الله مثل القمر، تعالى الله عن ذلك.**

**ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ثابتة بالنصوص من القرآن، فمن ذلك:**

١ - ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

٢ - ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

٣ - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم. كما ثبت ذلك في حديث صُهيب.

٤ - ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥] فيه دليلٌ على إثبات الرؤية.

**وأمَّا النصوص من السنة، فمتواترة** كما ذكر العلامة ابن القيم في كتاب حادي الأرواح، وأنها مروية في الصحاح، والسنن، والمسانيد، وأنه رواها نحو ثلاثين صحابياً، وفيها: أنهم يرون ربهم كما يرون

القمر، وفيها قوله ﷺ: «**أنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**». ولهذا قال الإمام أحمد وغيره: من أنكر رؤية الله؛ فهو كافر.

**فمن قال**: إن الله لا يُرى في الآخرة؛ فهو كافر؛ لأنه مكذبٌ لله. والآياتُ القرآنيةُ صريحة في هذا؛ ولأنه مكذب للأحاديث المتواترة.

- **والذين أنكروا الرؤية، هم الجهمية والمعتزلة**، وتأوّلوا نصوصَ الرؤية وقالوا: معنى الرؤية؛ العلم، وأنَّ المقصود بقوله: ترون ربكم كما ترون القمر؛ أي: تعلمون ربكم كما تعلمون القمر، فتعلمون أن لكم رباً، كما تعلمون أن القمر قمر، ففسَّروا الرؤية بالعلم! وهذا باطل. ثم إننا نقول لهم: فماذا تقولون في قوله: «**ترون ربكم كما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**»، أهذا علم أم رؤية بالبصر؟! لا شك أن قوله: «**ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب**» صريحٌ في رؤية البصر.

- **وأما الأشاعرة - كما تقدَّم - فإنهم أثبتوا الرؤية، ونفوا الجهة**، وقالوا: يُرى لكن في غير جهة؛ أي: بدون تحديد جهة! وهذا باطل.

**وأهل السنة أثبتوا الرؤية، وأثبتوا العلو**، وقالوا: إن المؤمنين يرون ربهم من فوقهم؛ لأنَّا نرى القمرَ مِن فوقنا.

* **وأما مسألة رؤية النبي ﷺ لربه**، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيحٌ، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي عاصم في السنة، وغيرهم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيتُ ربي**»[١]، ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس[٢] أيضاً؛ أخرجه ابنُ أبي عاصم في السنة، والترمذي، والنسائي، عن ابن عباس قال: (رأى محمد ربه، قلت:

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ـ سأل عكرمة ابن عباس ـ، أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقال ابن عباس: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقال: أريه مرتين)[(١)]. قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس)؛ يعني: رؤية النبي ﷺ لربه مأثوراً[(٢)].

ولهذا قال الإمام رحمه الله: (والنبي ﷺ قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله صحيح، وفي حديث ابن عباس قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ، صحيح، رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس ...) وفي الحديث الآخر: «رأيت ربي في أحسن صورة»[(٣)] **لكن هل هذه الرؤية بالبصر أم بالفؤاد، وهل هي يقظة أم مناماً؟**

أَمَّا ليلة المعراج فإن النَّبِيّ ﷺ لما أُسري به من مكة إلى بيت المقدس[(٤)]،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)، وأحمد في المسند (١/٣٦٨)، من طريق عبدالرزاق أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ابن عباس، عن ابن عباس وقال أبو عيسى: (وقد ذكروا بين أبي قلابة وابن عباس في الحديث رجلاً وقد رواه قتادة، عن أبي قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس رضي الله عنهما).
وقد رواه بهذا الإسناد الترمذي (٣٢٣٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٩)، وأبو يعلى في مسنده (٢٦٠٨)، وخالد بن اللجلاج قال الحافظ في التقريب: (صدوق فقيه)، وفي الباب عن عبدالرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ.
أخرجه أحمد في المسند (٤/٦٦) (٥/٣٧٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٨٨، ٤٦٧، ٤٦٨)، والدارمي في سننه (٢١٤٩)، ففي رواية أحمد (أبو عامر هو عبدالملك بن عمرو القيس) ثقة؛ التقريب (٤٣٢٣)، زهير بن محمد التميمي وهو ضعيف؛ التقريب (٢١١٦).
وفي الباب عن أبي رافع، وعن أبي أمامة، ومعاذ بن جبل، وجابر بن سمرة، وثوبان، وأم الطفيل امرأة أبي بن كعب، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٣١٦٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (٢٦٣)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفي الباب عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

عُرِجَ به إلى السماء، وجاوز السبع الطباق، ورأى في كل سماء أنبياء؛ رأى في السماء الأولى: آدم، وفي الثانية يحيى، وعيسى؛ ابني الخالة، وفي الثالثة: يوسف، وفي الرابعة: إدريس، وفي الخامسة: هارون، وفي السادسة: موسى، وفي السابعة: إبراهيم، ثم جاوز السبع الطباق، حتى وصل إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، فكلمه الله وخاطبه من دون واسطة، وسمع كلامَ الله كما سمعه موسى، وَفَرَضَ ربُّ العزة والجلال عليه خمسين صلاة، في ذلك المقام الأعلى، الذي يُسمع فيه صريف الأقلام، ثم نزل بصحبة جبرائيل. فلمَّا هبط به جبرائيل مَرَّ على موسى في السماء السادسة، فسأله: ماذا فرض عليك ربك؟ قال: «**خمسين صلاة في اليوم والليلة**»، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك؛ فإن أمتك لا تطيق خمسين صلاة في اليوم والليلة، فرجع فاستشار جبريل فأشار إليه، وسأل ربه التخفيف حتى وضع عنه عشراً، ثم رجع مرة أخرى، فأمره موسى أن يرجع، فجعل يتردد بين ربه وبين موسى؛ إذا وصل إلى موسى قال: اسأل ربك التخفيف فإنَّ أمتك لا تطيق أربعين صلاة، ثم صارتْ ثلاثين، فقال: أُمتك لا تطيق ثلاثين صلاة، ثم صارت عشرين فقال: لا تطيق عشرين صلاة، ثم صارت عشر، فقال: لا تطيق عشر، وفي بعض الروايات «**أنه في كل مرة يخفف عنه خمساً**»[(١)]، حتى وصلت إلى خمس، فقال له موسى لما خُففت إلى خمس، ماذا فرض عليك ربك؟ فقال محمد ﷺ: «**فرض خمس صلوات**»، فقال موسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**إني سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأُسَلّم، فنادى مناد من السماء: أني أمضيتُ فريضتي، وخففتُ**

(١) أخرجه مسلم (١٦٢).

**عن عبادي** ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩] **هي خمس في العدد وخمسون في الميزان والأجر، الحسنة بعشر أمثالها»**. فلله الحمد.

وهذا مثال النسخ قبل التكليف؛ حيث نسخ التكليف من خمسين صلاة إلى خمس صلوات.

فالإشكالُ والخلاف في: هل رأى محمدٌ رَبَّهُ ليلة المعراج؟

**وأمَّا سماعه كلام الله؛ فهذا لا إشكال فيه**، فقد سمع كلام الله من دون واسطة، كما سمع موسى كلام الله من دون واسطة، ولهذا سُمِّيَ موسى كليم الله؛ لأنه سمع كلام الله من دون واسطة، وشاركه نبينا في التكليم، فسمع كلام الله من دون واسطة، وإبراهيم خليل الرحمن، وشاركه نبينا في الخُلة، فيسمى أيضاً: خليل الرحمن، فالخليلان: إبراهيم، ومحمد، وكذلك الكليمان: موسى ومحمد.

**ـ هل رأى الرسولُ ﷺ ربَّه بعين رأسه؟**

**اختلف العلماء في ذلك على قولين:**

**القول الأول**: أن النبي ﷺ رأى ربه بعيني رأسه، وقالوا: هذا من خصوصياته، وأما غير النبي ﷺ فلم يره بالاتفاق، لا موسى عليه السلام، ولا غيره؛ ولذا لما سأل موسى الرؤية، منعه الله، وقال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي: لا تستطيع؛ لأنك ما دمتَ في الدنيا، فإنك لا تتحمل ولا تثبت لهذا التجلي. ولهذا لم يثبت الجبل.

**واستدلوا** بما رُوي عن ابن عباس، أنه قال: رأى ربه، وفي رواية أخرى: أنه رآه بفؤاده.

**وكذلك استدلوا** بما روي عن الإمام أحمد أنه قال: رأى ربه، وفي رواية أخرى: أنه رآه بفؤاده.

**واستدلوا** بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسرَاء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ.

**القول الثاني**: أنه لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رآه بعين فؤاده، **وهذا هو الصواب**، وهو قول المحققين، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة، وقول جمع من الصحابة، منهم: عائشة، فقد أنكرتْ على مسروق ـ مسروق التابعي ـ أنكرت عليه لَمَّا سألها، قال: هل رأى محمد ربه بعيني رأسه ليلة المعراج؟ فقالت عائشة: لقد قفَّ شَعْري مما قلتَ، ثم قالت: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ»، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعَام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشّورى: ٥١] قالت: سمع كلامه من وراء حجاب[1].

**ـ وأجابوا عن استدلال من قال بالرؤية بعيني رأسه بما يلي:**

**فقالوا**: أما ما رُوي عن ابن عباس من أنه رآه، فيُحمل على رؤية الفؤاد؛ بدليل الرواية الأخرى؛ قال: «رآه بفؤاده»، فالمطلق يُحمل على المقيد.

**وكذلك** ما روي عن الإمام أحمد أنه قال: «رآه» يُحمل على قوله في الرواية الأخرى المقيدة «رآه بفؤاده». وهذا هو الصواب، أنه لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رآه بفؤاده.

**ومن الأدلة على ذلك**: ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ لما سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أَنَّى أراه**»[2]؛ يعني: كيف أراه والنور حجاب يمنعني من رؤيته؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، واللفظ له، ومسلم (١٧٧) و(٢٨٩) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه مسلم (١٧٨) (٢٩١) من حديث أبي ذر ﵁.

**والدليل الرابع**: حديث أبي موسى الأشعري، عند مسلم أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور**»، وفي رواية أبي بكر: «**لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[1] **يعني**: أن الله تعالى يحتجب عن خلقه بالنور، لو كشف هذا الحجاب؛ لاحترق الخلقُ كلهم، ومنهم محمد ﷺ، أليس هو من خلقه؟ ولأن البشر لا يستطيعون أن يثبتوا لرؤية الله، ولا لتجلّي الله في الدنيا، بدليل أن موسى عليه السلام لما سمع كلام الله في الدنيا؛ طمع في رؤيته، وقال: رب سمعت كلامك: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ قال الله لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فلما تجلى الله للجبل ماذا حصل؟ اندك تدكدك وانساخ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ صعق وغشي عليه ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من غشيته ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] بأنه لا يراك في الدنيا أحد، إلا مات، ولا جبل إلا تدهد.

فلا يستطيع أحد أن يثبت لرؤية الله في الدنيا، **لكن في يوم القيامة ينشأ اللهُ الناسَ تنشئة قوية، يثبتون فيها لرؤية الله، فيراه المؤمنون.**

ولأن رؤية الله نعيم ادخره الله لأهل الجنة، ليس لأهل الدنيا، بل أعظم نعيم يُعطاه أهل الجنة هو: رؤيتهم لربهم ﷻ. فإذا كشف الحجابَ وراَه المؤمنون، نسوا ما هم فيه من النعيم، من عظمته. وهو الزيادة التي قال الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

**فمجموع ما تدل عليه هذه النصوص:** أن النَّبِيّ ﷺ لم ير ربه بعيني رأسه، وإنما رآه بعيني فؤاده.

- **المراد بقول: رأه بعيني فؤاده:**

من العلماء من قال: أعطاه الله زيادة على فؤداه.

ومنهم من قال: جعل الله لفؤاده عينين.

**❁ تنبيه:**

قول بعض العلماء: التكليم لموسى، والخلة لإبراهيم، والرؤية لمحمد، ليس بصحيح، بل التكليم لموسى، ولمحمد، والخلة لإبراهيم ولمحمد، والرؤية ليست لأحدٍ، هذا هو الصواب، والله أعلم.

**❁ رؤية الله في المنام:**

○ قال المؤلف ؒ: (والنبي ﷺ قد رأى ربه فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ). فقول النَّبِيّ ﷺ: «**رأيت ربي في أحسن صورة**»[1] هذا رؤيته في المنام، ورؤية الله في المنام حق - كما قال الإمام - **أثبتها جميع الطوائف، إلا الجهمية**، وهذا من شدة إنكارهم لرؤية الله في الآخرة، أنكروا رؤيته في المنام أيضاً.

**والرؤية في المنام لا يلزم منها المشابهة**، فقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإنسان يرى ربه على حسب معتقده، فإن كان اعتقاده سليماً، رأى ربه في صورة حسنة، وإن كان اعتقاده سيئاً، رأى ربه في صورة تناسب اعتقاده، ولا يلزم من ذلك التشبيه، ولما كان النبي ﷺ أصح الناس اعتقاداً قال: «**رأيت ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد! فقلت: لبيك ربي وسعديك، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا**

(١) سبق تخريجه.

**أدري، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمتُ ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمد، فقلت: لبيك وسعديك قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: في الدرجات والكفارات، وفي نقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكروهات وانتظار الصلاة بعد الصلاة...»**(١). وشرح الحافظُ ابن رجب هذا الحديث في رسالة سماها شرح حديث اختصام الملأ الأعلى.

○ قال المؤلف رحمه الله: (والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النَّبيّ ﷺ)؛ يعني: الأحاديث الواردة في هذا الباب، على ظاهرها في إثبات الرؤية، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ فالحديث يُحمل على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء؛ على ظاهره، ولا نناظر فيه أحداً.

هذا الكلام يؤيد ما قاله شيخ الإسلام، وَما قاله ابن القيم من أن الإمام أحمد لم يقل بأن الرسول قد رأى ربه بعيني رأسه، قال: إنما قال: والنَّبِيّ ﷺ قد رأى ربه ـ رأى ربه مجملاً ـ؛ يعني: رأى ربه بفؤاده، لا بعين رأسه، وقال: وليس قول ابن عباس: أنه رآه، مناقضاً لهذا، ولا قوله: رآه بفؤاده. وقد صح عنه أنه قال: **«رأيت ربي تبارك وتعالى»**(٢). فالأمر فيها، كما قال المؤلف رحمه الله: (الحديث عندنا على ظاهره).

فالأحاديث كلها تُجرى على ظاهرها، ولا يُتكلم فيها، والكلام الذي يخالف قول السلف ويخالف ظاهر الحديث؛ بدعة، نقول: إن الرسول رأى ربه، ونؤمن به كما جاء؛ على ظاهره، ولكن عند التحقيق: نبين أن النبي ﷺ ـ جمعاً بين النصوص ـ: لم ير ربه بعيني رأسه؛ ولهذا قال: **«نور أنى أراه»**. وقال: **«لو كشف ـ أي: الحجاب ـ**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠) (٥/ ٢٠١)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٧٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٩-٥١٠)، زاد المعاد (٣/ ٣٣-٣٤).

**لأحرقتْ سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».**

ولا نناظر فيه أحداً ولا نجادل، كما سبق: أن الجدال والخصومات في الدين منهي عنهما، لهذا قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا تخاصموا، ولا تجالسوا من يخاصم).**

## الإيمان بالميزان يوم القيامة

**والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء، يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به والتصديق به والإعراض عن من رد ذلك وترك مجادلته.**

الشَرح

من أصول السنة التي بيّنها الإمام وقررها الإيمان بالميزان يوم القيامة، والتصديق به والإعراض عمن رد ذلك وترك مجادلته، كما جاء أنه يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر.

**فأهل السنة يؤمنون بالميزان وأنه ميزان حسي توزن فيه أعمال العباد له كفتان** الكفة الواحدة أعظم من أطباق السماوات والأرض، ولهذا جاء في الحديث: «**إن السماوات السبع والأراضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله**»(١).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٤٨)، وأحمد في المسند (٢/١٦٩- ١٧٠، ١٨٦، ١٨٧)، واللفظ له من طريق عبدالله بن عمرو ﷺ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ بسند ضعيف، قال: «**لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهم لا إله إلا الله**» أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٧٠)، والطبراني في الدعاء (١٤٨٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٢١٨)، والحاكم في المستدرك (١/٥٢٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص١٠٢- ١٠٣)، كلهم من حديث دراج أبو السمح، عن أبي الهيثم، ودراج في روايته عن أبي الهيثم ضعف.

- لكن ما الذي يوزن في هذا الميزان؟

**الجواب**: توزن الأعمال، ويوزن الأشخاص، فتوزن الأعمال فتكون الحسنات في كفة والسيئات في كفة، فمن ثقلت موازينه نجا وسعد، ومن خفت ميزان حسناته وثقلت ميزان سيئاته هلك.

*** الأدلة على إثبات الميزان للأعمال:**

١ - قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-١١].

٢ - وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨-٩].

٣ - وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٤].

٤ - حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الميزان بيد الرحمن يرفع قوما ويخفض آخرين**» رواه الإمام أحمد وابن ماجه وابن أبي عاصم في السنة وغيرهم(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، وأحمد في المسند (٤/ ١٨٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٨٠)، والطبراني في الدعاء (١٢٦٢)، والآجري في الشريعة (ص٣١٧)، وابن حبان في صحيحه (٩٤١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٩).
وفي الباب عن سبرة بن قاتل الأسرد عن الطبراني (٦٥٥٧)، وفي الباب عن نعيم بن همار عند البزار وغيره.

٥ - حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: «**يوضع الصراط يوم القيامة وله حد كحد الموسى**»[(١)]، وقال: «**ويوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي، فيقول سبحانك ما عبدناك حق عبادتك**»[(٢)].

٦ - ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[(٣)] وهذا آخر حديث في صحيح البخاري.

**الشاهد:** قوله: «**ثقيلتان في الميزان**» ففيه: إثبات الوزن.

٧ - حديث البطاقة، المشهور الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق الليث بن سعد، وسند الحديث صحيح، **وهو أرجى حديث لأهل المعاصي**، ونص الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله ﷻ يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر سيئات، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب فيقول: ألك عذر؟ أو حسنة؟ فيبهت الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة**

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١٧٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٥٨٦)، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والآجري في الشريعة (٣٨٢)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٩٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

**مع هذه السجلات؟ فتوضع السجلات في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»**[١].

فلما ثقلت البطاقة نجا، قال الله سبحانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾ [الأعراف: ٨].

**فهذه الأدلة كلها تُثبت:**

أ ـ الميزان.

ب ـ أن الأعمال توزن.

ج ـ أن الحسنات تكون في كفة والسيئات في كفة.

د ـ أنه ميزان حسي حقيقي.

ـ **وكذلك يوزن الأشخاص**، ويكون ثقل الأشخاص وخفتهم على حسب العمل، فإذا كان عمله حسنا ثقل ولو كان خفيفا، ولو كان خفيف الوزن في الدنيا.

*** الأدلة على أن صاحب العمل يوزن:**

١ ـ ما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان جالساً وحوله بعض أصحابه وأمامهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فكشفت الريح عن ساقيه، فضحك الصحابة، فقال النبي ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: من دقة ساقيه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أحد**»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد في المسند (٢/ ٢١٣)، وهو عند ابن المبارك في زوائد الزهد (٣٧١)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والبغوي في شرح السنة (٤٣٢١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠- ٤٢١)، والطيالسي في مسنده (٣٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣١٠)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٦٦)، كلهم من طريق زر بن حبيش «**أن عبدالله بن مسعود كان يحتز لرسول الله ﷺ سواكاً...؟**» الحديث. =

ساقا ابن مسعود الدقيقتان قال النَّبِيّ ﷺ: **«لهما في الميزان أثقل من جبل أحد»**(١) ما الذي ثقلهما؟ العمل الصالح.

٢ ـ وقال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في الحديث الصحيح: **«إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرؤا:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]**»**(٢) **أول الآيات:** ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٠-١٠٥].

● **مسألة: كيف نجا هذا الرجل صاحب البطاقة؟ أليس كل مسلم له مثل هذه البطاقة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله)؟ فكل مسلم يشهد ذلك، مع أن كثيراً من العصاة يعذب في النار وله هذه البطاقة، لو لم يُعْط مثل هذه البطاقة ما صار مسلما؟.**

■ **الجواب:** أن هذه البطاقة التي فيها تلك الكلمات، قالها هذا الرجل عن إخلاص وصدق وتوبة، وقد يكون قالها عند الموت، فأحرقت الشبهات والشهوات، وأحرقت هذه السيئات، فامتلأ قلبه بمحبة الله وبحقائق الإيمان فلم يقلها عن غفلة وذهول بخلاف غيره ممن يقولها عن إخلاص ضعيف، فإذا قال الشخص: (لا إله إلا الله)

---

= وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (٢٧٥٠). وفي الباب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند (١/ ١١٤)، وأبو يعلى (١/ ٤٠٩، ٤٤٦).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

عن إخلاص وصدق، قوي الإخلاص والتوحيد فلا يمكن أن يصر الإنسان على معصية، ولذا طاشت السجلات، وثقلت البطاقة، أما إذا قالها عن ضعف إخلاص ضعفت كلمة التوحيد؛ فجاءت الشبهات والشهوات فأصر على المعصية، ومات على الكبيرة من غير توبة، فيعذَّب ويكون تحت مشيئة الله.

• **مسألة: هناك مَنْ ذكر بأن الذي يوزن هو ثلاثة أشياء: الأعمال، وصاحب العمل، وصحائف الأعمال، وهناك من ذكر أنها اثنان: الأعمال وصاحبها فقط، فهل هذا الخلاف لفظي أم معنوي؟**

▪ **الجواب**: الظاهر أنه لفظي؛ لأن الأعمال وصحائفها شيء واحد؛ فالأعمال تُكْتب في الصحائف: فهي إذن شيء واحد؛ فتكون الصحائف تابعة للأعمال.

## ۞ موقف أهل البدع من الإيمان بالميزان:

أهل البدع كالمعتزلة خالفوا أهل السنة والجماعة، وأنكروا الميزان، فقالوا: ليس هناك ميزان حسي له كفتان.

**وسبب إنكار المعتزلة للميزان**؛ أنهمْ يعتمدون على عقولهم، ولا يعتمدون على النصوص، بل يجعلونها وراءهم ظهرياً، فبسبب اعتمادهم على العقل، أنكروا كثيراً من الحقائق الغيبيّة، ومنها: الميزان، **وأصولهم الخمسة هي**: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**فالتوحيد ستروا تحته معنى باطلاً**؛ وهو: القول بنفي الصفات، وخلق القرآن، ونفي رؤية الله في الآخرة.

**والعدل ستروا تحته**: التكذيب بالقدر.

**والمنزلة بين المنزلتين:** قالوا: بأن مرتكب الكبيرة، ليس بمسلم ولا كافر، بل في منزلةٍ بينهما، وحكموا بتخليده في النار.

**وإنفاذ الوعيد:** قالوا: بنفي الشفاعة عن أهل المعاصي.

**والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** أجازوا الخروج على أئمة الجور بالسيف.

**أما العقل فقد قدَّموه على النصوص، وقالوا:** إن العقل كاف في إقامة الحجة، وأما الكتاب والسنة فهما زائدان احتياطيان؛ بمثابة الشهود الزائدين على النِّصَاب، كما لو طلب القاضي شاهديْن، ثم أتيتَ بأربعة شهود، يأخذُ القاضي شاهدين، والباقي يكون احتياطاً. فَذِكْرُهم للكتاب والسّنّة هو على سبيل الاحتياط؛ لأن العقل عندهم كاف، ولهذا يقولون أيضاً: مَثَلُ الكتاب والسنة بالنسبة للعقل، كمثل المدد اللاحق بجيش؛ والجيشُ مستغن عنه!

حتى غلا بعض المعتزلة في العقل، وقالوا في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥] قالوا: الرسول: العقل.

**ومن هذا المبدأ أنكروا الميزان الحسي، وقالوا:** ليس هناك ميزان حسي أبداً، وإنما النصوص التي فيها إثبات الميزان المراد بها: العدل، والله لا يحتاج إلى الميزان!! وقالوا: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال، فالذي يحتاج إلى ميزان هو الذي يزن، أما الرب فلا يحتاج إلى ميزان؛ لأنه يعدل بين عباده بدون ميزان!!

فانظروا سخافة قول هؤلاء؛ كيف قابلوا النصوص بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، وكذبوا النصوص التي فيها إثبات الميزان الحسي؟!

○ وعنى المؤلفُ ﷺ بقوله: (والإعراض عَمّن ردّ ذلك، وترك مجادلته) المعتزلة الذين ردوا النصوص، فَنُعْرُض عنهم ونترك مجادلتهم، وإنما نبيّن لهم النصوص؛ فإن قبلوها؛ فالحمد لله.

❁ ❁ ❁

## الله يكلم العباد يوم القيامة

**وأن الله يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان.**

### الشَّرح

**الترجمان**: الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة.

**والمعنى**: أن الله يكلم عباده بدون واسطة وحجاب، وهذا تصديقاً للحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم أن النَّبِيّ ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»(١).

جاء في الحديث الآخر: «**يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه**» أي: يستره عن الناس، فلا يفتضح ـ وهذا من ستر الله على المؤمن ـ «**فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ألم تفعل كذا، ألم تفعل كذا، ألم تفعل كذا، فيقول: بلى يا رب، فيقول: يا رب ألم تغفرها لي؟ فيقول الرب: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذا**»(٢).

وجاء في الحديث الآخر: ولفظه: عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا. وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول: رب! قد عملت أشياء**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩، ٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، واللفظ له، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

**لا أراها هنا»**، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه[(١)].

**فهذا فيه**: إثبات أن الله تعالى يكلم العباد يوم القيامة، وفيه إثبات البعث والجزاء والحساب، ومن كَذَّب بالبعث أو كذب بيوم القيامة؛ فهو كافر بنص القرآن وبالإجماع، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

ومعلوم أن إثبات البعث، والجزاء، والحساب، من أصول الإيمان الستة، وأن من كَذَّبَ بذلك: كَفَرَ، **وقد أمر اللهُ نبيَّه أن يقسم على البعث والساعة في ثلاثة مواضع**:

١ ـ قال ـ سبحانه ـ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ أقسم على البعث، وَكَفَّر من أَنْكَرَهُ.

٢ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾[يونس: ٥٣] يعني: البعث.

٣ ـ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سبأ: ٣].

فهذه ثلاثة مواضع أمر الله فيها نبيَّه أن يقسم على البعث، والقيامة، والساعة. فهذا أصل من أصول الإيمان، فمن كَذَّبَ بالبعث، أو بالجزاء، أو الحساب يوم القيامة، أو بالجنة أو بالنار: فهو كافر؛ لأنه مُكذِّبٌ لله؛ ومن كَذَّب اللهَ: كَفَرَ.

**فائدة في معنى الترجمان**: فيه لغات:

الوجه الأول: تَرْجَمان؛ بفتح التاء والجيم.

الوجه الثاني: تُرْجُمان بضم التاء والجيم.

الوجه الثالث: تُرْجَمان بضم التاء وفتح الجيم.

**وعلى هذا** فلا يُغَلَّط أحدٌ إذا قال: تَرْجَمان، أو تُرْجُمان، أو تُرْجَمان؛ فهي ثلاث لغات مشهورة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠)، (٣١٥).

## الإيمان بالحوض

**والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضًا يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله، مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار من غير وجه.**

الشَّرْح

من أصول السنة الإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضًا يوم القيامة تَرِدُ عليه أمته، عرضُه مثل طولِه، مسيرة شهر، عرضه مسيرة شهر وطوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء، يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر من الجنة، الحوض في الأرض في موقف القيامة، والجنة فوق، على ما صحت به الأخبار من غير وجه، فالإيمان بالحوض من عقيدة أهل السنة والجماعة ومن أصول السنة؛ هذا الحوض كما ذكر المؤلف رحمه الله **جاءت النصوص بوصفه:**

**أولًا:** هذا الحوض يكون موقف يوم القيامة.

**ثانيًا:** أنه ترد عليه أمته للشرب.

**ثالثًا:** عرضه مثل طوله مسافة شهر، طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر.

**رابعًا:** آنيته ـ يعني: الكيزان الأواني التي يشرب فيها ـ عدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

**خامسًا:** أنه أشد بياضًا من اللبن.

**سادسًا:** وأحلى من العسل.

**سابعًا:** أبرد من الثلج.

**ثامنًا:** وأطيب ريحًا من المسك.

**تاسعًا:** وأن من شرب منه فإنه لا يظمأ حتى يدخل الجنة.

نسأل الله الكريم من فضله.

وروى الشيخان البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمرو، قال: قال النَّبيّ ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبدًا»**(١) وقد جاء وصف الحوض في أحاديث كثيرة، وجاء في بعض الأحاديث بيان المسافة وأن طوله **«ما بين صنعاء إلى المدينة»**(٢)، وفي بعضها: **«ما بين أيلة إلى مكة»**(٣)، وفي بعضها: **«ما بين جرباء وأذرح»**(٤). **وقد اختلف العلماء في هذا:**

**قال بعضهم:** يجمع بينهما بأن المسافة القصيرة للعرض والمسافة الطويلة للطول.

**وقال بعضهم:** إن هذا يختلف باختلاف السير، وأن المسافة الطويلة لقطع المسافة السريعة إذا كان للجاد في السير، والمسافة القليلة لغير الجاد في السير.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وفي الباب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٦٢- ١٦٣، ١٩٩)، من طريق عبدالرزاق، وعبدالرزاق في المنصف (٢٠٨٥٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٤٥، ٣٨٤)، والآجري في الشريعة (٣٥٧)، والطبراني في الأوسط (٧٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٤٩)، وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٤)، وقال رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً، وفي إسناد المرفوع ابن لهيعة، ورجال الموقوف رجال الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

وأنكرت الخوارج والمعتزلة الحوضَ، مع أن الأحاديث فيه متواترة، وهذا من جهلهم وضلالهم، ولهذا قال العلماء، ومنهم الطحاوي في عقيدته: (**حري بمن أنكر الحوض أن يُحرم منه يوم القيامة؛ جزاءً وعقوبة**)؛ أي: أخْلق بمن أنكره أن لا يَرِدَ عليه.

إذن: فقد أنكر طوائف من أهل البدع الحوضَ، كالخوارج والمعتزلة، وأنكروا الميزان، وأنكروا الشفاعة أي: خروج العصاة من النار بالشفاعة، **وقالوا**: إنه يجب تخليدهم في النار ولا يُخْرجون منها!!

وهذا من جهلهم وضلالهم، مع أن النصوص في الحوض متواترة؛ ونصوص الميزان كذلك، ونصوص الشفاعة كذلك، ومع هذا أنكرها هؤلاء: لجهلهم وضلالهم.

فهذا الحوض الذي لنبينا محمد ﷺ ترِدُ عليه أمته يوم القيامة، قال - عليه الصَّلاة والسَّلام -: «**أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا**»[(١)]. الفرط: هو الذي يتقدم القوم، يستقبلهم ويُعد لهم الضيافة، فهو ﷺ: **فرطهم يتقدمهم فينتظر مجيئهم ويستقبلهم**.

وثبت في الأحاديث الصحيحة أنه يرد على الحوض أناس من هذه الأمة قد غيروا وبدلوا فيذادون كما تذاد الإبل العطاش، قال - عليه الصلاة والسلام -: «**ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم**»[(٢)]، وفي لفظ: «**حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي أصحابي**»[(٣)] وفي لفظ: «**فأقول أصحابي أصحابي**»[(٤)]

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠)، واللفظ له، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠)، واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٩)، واللفظ له من حديث عبدالله بن مسعود، وفي مسلم (٢٣٠٤)، من حديث أنس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧)، واللفظ له، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي لفظ: «**فأقول يا رب أصيحابي أصيحابي**»[١] - تصغير أصحابي - فيقال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، وفي لفظ: «**إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم**»[٢]. قال النبي ﷺ: «**فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي**»[٣] يعني: بُعدًا وبُعدًا.

**قال العلماء**: إن هؤلاء الذين يذادون هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ وهم الأعراب، الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم، أما الصحابة رضوان الله عليهم الذين رسخ الإيمان في قلوبهم والذين جاهدوا مع النبي ﷺ ولازموه فَثَبَّتَهُم الله، وإنما هذه الردة حصلت من بعض الأعراب الذين رأوا النبي ﷺ ولم يلازموه ولم يثبت الإيمان في قلوبهم فارتدوا.

- **وفيه من الفوائد**: أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، لأنه قال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» ولو كان يعلم الغيب لعلم بذلك.

- **وفيه**: الرد على الغلاة الذين عبدوا النبي ﷺ وقالوا إنه يعلم الغيب، ومن ذلك طوائف رفعوا النبي ﷺ إلى مقام العبودية، كالبرذوية في الهند فإنهم يقولون إن الرسول يعلم الغيب، وهم طائفة كافرة[٤].

- **وفيه**: دليل على ضعف الحديث الذي ورد أن النبي ﷺ قال: «**تعرض على أعمالكم؛ فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم**»[٥]، فهذا حديث ضعيف. يَرُدُّهُ هذا الحديث الصحيح، لأنه لو كانت تعرض عليه أعمال أمته، لعلم بهؤلاء وبحالهم، ولم يقل له: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤)، واللفظ له من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)، واللفظ له، من حديث بن عباس رضي الله عنهما.
(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٩٩١).
(٤) قد كتب فيهم بعض الإخوة رسالة في كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود، بيَّنَ كفرهم وضلالهم.
(٥) رواه البزار في مسنده، وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧٥).

◉ مسألة: **هل الحوض خاص بنبينا ﷺ أم أن لكل نبي حوض؟!**

▣ الجواب: ورد في الترمذي وغيره: «**أن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر وارده، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة**»(١) جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

## ۞ الأمور التي تكون يوم القيامة:

- **النفخ في الصور**؛ وذلك حين يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور نفخة الصعق والموت فيموت الناس، ثم يمكث الناس وهذا هو ابتداء يوم القيامة.

والصور قرن عظيم يلتقمه إسرافيل فينفخ فيه نفخة طويلة يُطَوِّلها؛ فيفزع الناس - أولها فزع وآخرها صعق وموت - فلا يسمع أحدٌ الصوت إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا، هكذا يتسمع الصوت يميناً وشمالاً، - واللِّيت: صفحة العنق - فلا يزال الصوت يقوى ويقوى حتى يموت الناس، كما قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧] وفي سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

**ثم يمكث الناس أربعين، ويُنزل الله مطرًا** تنبت منه أجساد الناس، وينشئ الله الناس نشأة قوية تُعادُ الذرات التي استحالت تراباً، والإنسان يبلى إلا عَجْب الذنب، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يُركَّب**»(٢) - وعجب الذنب هو: العصعص؛ آخر فقرة من العمود الفقري فهذا الجزء لا يبلى، وأما بقية الجسد فإنه يبلى ويستحيل ترابًا فيعيده الله

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، واللفظ له، والطبراني في الكبير (٦٨٨١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٥)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

خلقًا جديدًا، يعيد الله الذرات التي استحالت؛ لأن الله عالم وقادر: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤] وقال: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القِيَامَة: ٤] فيكون الإنسان هو نفسه، وذاته هي هي.

فإذا تكامل خلقُهم أذن الله لإسرافيل فنفخ في الصور النفخة الثانية، وهي: نفخة الحياة - فالأولى نفخة الموت والصعق - فتعود الأرواح إلى أجسادها؛ لأن الأرواح باقية إما في نعيم أو في عذاب، روح المؤمن إذا خرجت منه تنقل إلى الجنة، تُنَعَّم ولها صلة بالجسد، وروح الكافر تنقل إلى النار ولها صلة بالجسد، كما سبق في الحديث: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة**»(١) أي: تأخذ شكل طائر.

فإذا أذن الله لإسرافيل بالنفخ في الصور، فنفَخ في الصور: تطايرت الأرواح إلى أجسادها، فدخلت كل روح في جسدها، فيقوم الناس ينفضون التراب عن رؤوسهم حفاةً لا نعال عليهم، عراةً لا ثياب عليهم، غرلًا غير مختونين، **وأول من يُكْسى إبراهيم** عليه السلام بثياب من الجنة.

ثم النفخة الثانية نفخة البعث.

**قال بعض العلماء: هي ثلاث نفخات:** نفخة الفزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة الموت، لكن هذا جاء في حديث ضعيف في سنده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف.

**والصواب: أنها نفختان**، لكن النفخة الأولى طويلة يُطوِّلها إسرافيل، أولها فزع وآخرها موت صعق وموت، ثم النفخة الثانية.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٢)، واللفظ له ابن ماجه (١٤٤٩، ٤٢٧١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وهو من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

وقال الجهم بن صفوان: إن الذي يعاد يبعثه الله شخص آخر، جسد آخر وهذا **باطل؛ لأنه يلزم على قوله: أن الله يعذب جسدًا لم يعصه.**

ولما قال الجهم بن صفوان: إن الذي يعاد جسد آخر، أنكر ابن سينا البعث. فقال: لا يعاد الجسد إنما التي تعاد الروح، وهذا كفر قرره في رسالته الأضحوية، **فكفر بذلك نعوذ بالله، لأن التكذيب بالبعث كُفْرٌ** بنص القرآن وإجماع المسلمين، كما سبقت الآيات، فمن أنكر بعث الأجساد، فهو كافر، والفلاسفة يقولون: بعث الأرواح لا الأجساد فكفروا بذلك، من أنكر بعث الأجساد فهو كافر، فإن البعث للأجساد أما الأرواح فهي باقية إما في نعيم أو في عذاب.

فأول أمر من أمور الآخرة النفخ في الصور؛ نفخة الصعق، ثم نفخة البعث.

- ثم **بعث الأجساد.**

- ثم **الوقوف بين يدي الله للحساب**، فيقف الناس وتدنو الشمس من رؤوسهم ويزاد في حرارتها، حتى يلجمهم العرق على حسب الأعمال، **فمنهم** من يلجمه العرق إلى ركبتيه، **ومنهم** إلى حقويه، **ومنهم** من يلجمه العرق إلجامًا، **ومنهم** من يذهب عرقه مسافات في الأرض.

- ثم **الشفاعة**؛ تكون بعدما يفزع الناس إلى الأنبياء، ويتأخر عنها أولو العزم: آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى - عليهم الصلاة والسلام - فيشفع النبي ﷺ للناس.

هذه الشفاعة العظمى في موقف القيامة هي: المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون، وهذه الشفاعة للمؤمن والكافر، لجميع الأمم، هي راحة الناس من الموقف، فيحاسبهم الله كلهم في وقت

واحد، لا يلهيه شأن عن شأن؛ لأنه الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ، أما المخلوق الضعيف فلا يستطيع أن يكلم اثنين في وقت واحد، أو ثلاثة، لكن الخالق يحاسبهم في وقت واحد، كما أنه يخلقهم ويرزقهم في وقت واحد، ويفرغ منهم في قدر منتصف النهار، فإذا كان منتصف النهار انتهى الحساب، حتى يصل أهل الجنة إلى الجنة ويصلونها في وقت القيلولة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤].

ـ ثم **تتطاير الصحف**، فآخذٌ صحيفته بيده اليمنى مستبشرًا، كل من لقيه يريه إياها؛ يقول الله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠] ومعنى: ﴿ظَنَنتُ﴾: تيقنت؛ فالظن يعني: اليقين هنا. ثم قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١-٢٤] نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وأما الصنف الثاني وهم أصحاب الشمال، فيعطى كل واحد منهم صحيفته بيده الشمال ملوية وراء ظهره: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ يندم أشد الندم ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ قال الله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ ثم ذكر تعالى أعماله الخبيثة التي استحق بها دخول النار، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ أي: ينكر البعث ولا يؤمن به: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ قال الله: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٧] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢] فيعطى كتابه بشماله ملوية وراء ظهره، نعوذ بالله.

- ثم **الحوض** على الصحيح، فيرد الناس على الحوض، وهذا المعنى يقتضي أن الحوض قبل الميزان.

**وقال بعض العلماء**: وزن الأعمال، قبل الورود على الحوض.

**والصواب**: **أن الحوض قبل الميزان، لأمرين**:

الأمر الأول: أن الناس يردون عطشى فيناسب ورودهم على الحوض أولًا.

الأمر الثاني: أنه ثبت في الحديث الصحيح - كما تقدم - أنه يطَّرد قوم ويذادون عن الحوض، ولو كان الورود على الحوض بعد الوزن لعرف الذين خف ميزانهم أنهم لا يردون على الحوض، فلما وردوا على الحوض وطردوا دل على أنه قبل الميزان.

- ثم بعد الحوض ووزن الأعمال: **المرور على الصراط الذي ينصب على متن جهنم**.

- ثم **الجنة أو النار**.

## الخلاصة:

**هذا الترتيب الصحيح**: نفخة الصعق، ثم نفخة البعث، ثم البعث - وهو نشر العباد - ثم الحشر، ثم الشفاعة - الشفاعة العظمى - ثم أخذ الكتاب بالأيمان أو بالشمائل، ثم الورود على الحوض، ثم وزن الأعمال، ثم المرور على الصراط ثم الجنة أو النار، **عشرة أشياء**.

**وقال آخرون من أهل العلم**: الورود على الصراط قبل الحوض؛ **واستدلوا ببعض النصوص منها**: عن أنس قال سألت نبي الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة قال قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**أطلبني أول ما تطلبني على الصراط**» قال قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض، فأني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**»[١].

**والصواب**: أن الورود على الحوض قبل الصراط؛ لأنه لو كان الورود على الحوض بعد الصراط لكان الحوض بعد الصراط، والصراط منصوب على متن جهنم، والحوض يصب فيه ميزابان من نهر الجنة، فتكون النار تحول بين الميزابين اللذين يصبان في الحوض.

فلو كان بعد المرور على الصراط، الصراط منصوب على متن جهنم، والحوض بعد ذلك، لصارت النار تحول بين الحوض وبين الميزابين اللذين يصبان فيه.

**وقال بعض العلماء**: أن الحوض طويل، فالناس يمرون على الصراط ثم إذا انتهوا من الصراط، ظهر لهم طرف الحوض.

**وقال آخرون**: أنهم يردون على حوض بعد الصراط وقبل الصراط[٢]، وكل هذه أقوال ضعيفة، لأن الحوض في موقف القيامة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ١٧٨).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٨٨).

والصراط منصوب على متن جهنم، ومن تجاوزه وصل إلى الجنة، ولا يرجع مرة أخرى إلى الموقف.

**وهناك قنطرة يحاسب فيها المؤمنون ثم يدخلون الجنة** فلا يرجعون مرة أخرى إلى الحوض؛ لأن الحوض في الموقف، فدل على أن الحوض قبل الصراط، هذا هو الصواب في الترتيب. والله أعلم(١).

**٭ ذكر الأمور العشرة في مراحل يوم القيامة بالترتيب على وجه الاختصار:**

أولاً: النفخ في الصور نفخة الصعق والموت، النفخة أولها فزع ثم الصعق والموت.

ثانياً: نفخة البعث.

ثالثاً: البعث الأجساد؛ يبعث الله الأجساد.

رابعاً: الحشر؛ حشر الناس والوقوف بين يدي الله للحساب.

خامساً: الشفاعة العظمى.

سادساً: تطاير الصحف بالأيمان وبالشمائل.

سابعاً: الورود على الحوض.

ثامناً: وزن الأعمال.

تاسعاً: المرور على الصراط.

عاشراً: الجنة أو النار.

❊ ❊ ❊

(١) ينظر للاستزادة في هذه المسائل: الهداية الربانية شرح العقيدة الطحاوية(١/ ٣١٠-٣١٦).

## الإيمان بعذاب القبر

**والإيمان بعذاب القبر وأن هذه الأمة تفتتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه ومن نبيه ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله ﷻ وكيف أراد والإيمان به والتصديق به.**

الشَّرح

دلت النصوص من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ على إثبات عذاب القبر ونعيمه.

*** من أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه من الكتاب:**

١ - قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣] فهذا اليوم الذي يكون فيه العذاب، عند خروج الروح، وهذا فيه إثبات عذاب القبر.

٢ - قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ أي: يضربون وجوههم وأدبارهم بعد خروج الروح، وهذا عذاب من عذاب القبر﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠].

٣ ـ قوله سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السَّجدَة: ٢١].

**قيل في المراد من العذاب الأدنى:** عذاب القبر، دون العذاب الأكبر وهو عذاب يوم القيامة.

**وقيل:** ما أصاب الكفار من القتل والأسر يوم بدر.

٤ ـ ومن الأدلة على عذاب القبر ـ وهو من الأدلة الصريحة الواضحة ـ قول الله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ثم قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦] إذن العرض هذا قبل قيام الساعة ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ بعدما ذكر الله قصة المؤمن من آل فرعون: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ [غافر: ٤٥] ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ يعني: الرجل المؤمن من آل فرعون ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ متى يكون هذا العرض؟ في القبر، والدليل أنه قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥-٤٦] فهذا صريح في إثبات عذاب القبر، وأنهم يعذبون غدوًّا وعشيًّا.

٥ ـ ومن الأدلة أيضًا على نعيم القبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٠-٣٢] **فالمؤمن يُبَشَّر بثلاث بشارات:**

**البشارة الأولى:** عند خروج الروح، تبشرهم الملائكة وتتنزل عليهم، وتقول: لا تخافوا من أهوال يوم القيامة، ولا تخافوا من عذاب القبر، ولا تخافوا من عذاب النار، تُؤَمِّن رَوْعَهم الملائكةُ،

فتُؤَمِّن روع من قال: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يعني قالوا: ربنا إلهنا ومعبودنا بالحق هو الله ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ بالعمل.

**البشارة الثانية**: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ أي: على ما خلفتم من أموال وأولاد فنحن نخلفكم في ذلك كله.

**البشارة الثالثة**: في قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

فهذا الآية وغيرها؛ من أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه في القرآن.

*** من أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه من السنة:**

١ - الحديث المشهور الذي رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما - ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا - ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: «**صدقتا، إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم**»، ثم قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[١].

٢ - ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[٢] وهذا حديث ثابت في الصحيحين وغيرهما، فالنبي ﷺ أمر أن يُتعوذ في التشهد الأخير من أربع، إذا تشهد أحدكم وصلى على النبي ﷺ قال: فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، وهذا عند جمهور العلماء، سنة مستحبة مؤكدة، والواجب هو التشهد: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله اللهم صل على محمد...). وأما الدعاء فهو مستحب.

**وذهب بعض العلماء** ـ كطاوس بن كيسان اليماني من التابعين ـ إلى وجوب التعوذ بالله من هذه الأربع؛ فثبت عنه أنه قال لابنه مرة لما صلى: (هل استعذت بالله من أربع؟) قال: لا، قال: (أعد صلاتك) فأمره أن يعيد الصلاة، فدل على أنه يرى وجوب التعوذ بالله من هذه الأربع.

ولكن جمهور العلماء على أنه ليس بواجب وإنما مستحب.

**والشاهد** قوله: «**اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم**»، هذا فيه إثبات عذاب جهنم «**ومن عذاب القبر**»، هذا فيه إثبات عذاب القبر.

٢ ـ حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المشهور الطويل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول ﷺ وجلسنا حوله، كأنما على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**»، مرتين أو ثلاثًا، هذا دليل على ثبوت عذاب القبر. ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجليسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**».

«**قال: فتخرج**» ـ يعني الروح ـ «**تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء**» ـ القطرة من فم القربة، السقاء ـ «**فيأخذها**» يعني: ملك الموت، «**فإذا أخذها لم يدعوها**» ـ يعني الملائكة الذين يعاونونه ـ «**في**

يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط»، «ويخرج منها» - يعني من الروح - «كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها» - يعني: إلى السماء - «فلا يمرون» - يعني: «بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعها من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى».

قال: «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟» - يعني: وما علمك بذلك - «فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي».

فهذا الحديث الطويل فيه: إثبات نعيم القبر، وفيه: إثبات السؤال، فهذه الأمة تفتن في قبورها، يسأل عن ربه وعن دينه، وعن نبيه، «قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من

الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح» - أي: كفن أسود - «فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده فينتزعها» - يعني: ملك الموت - «كما ينتزع السفود من الصوف المبلول» - أي: الشوك من الصوف المبلول من يستطيع يستخرجه - «فيأخذها فإذا أخذها» - يعني ملك الموت - «لم يدعوها في يده طرفة عين» - يعني: الملائكة الذين معه - «حتى يجعلوها في تلك المسوح» الكفن، «ويخرج منها» - من هذه الروح - «كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض» - رائحة خبيثة - «فيصعدون بها» - يعني: هذه الروح - «فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له».

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: «اكتبوا كتابه في سجين» - في الأرض السفلى - «فتطرح روحه طرحًا» ثم قرأ رسول الله: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ها ها لا أدري، فقولان: له ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت

**توعد فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة».**

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند(١) وابنه عبدالله في السنة(٢)، وأبو داود(٣)، وسنده حسن(٤).

**وفيه**: إثبات عذاب القبر ونعيمه، **وفيه**: إثبات الفتنة في القبر، سؤال منكر ونكير، وهما ملكان، يقال لأحدهما: منكر والثاني: نكير، كما جاء في حديث آخر. فيجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، تفتن يعني تسأل، الفتنة هي السؤال، تختبر وتمتحن، ويسأل عن الإسلام وعن الإيمان، يقال له: ما دينك، ومن ربك ومن نبيك، فيثبت الله المؤمن ويضل الله الكافر والفاجر.

وقد جاء في حديث قال ﷺ: **«أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير»**(٥).

○ وقول المؤلف ﵀ قال: (ويأتيه منكر ونكير كيف شاء وكيف أراد)، يعني: لا نسأل عن الكيفية، كيف شاء، يعني: كيف شاء الله، وكيف أراد يعني على أي طريقة أراد الله سبحانه وتعالى، فلابد من الإيمان بذلك، يجب اعتقاد ذلك والإيمان به، ولهذا قال الطحاوي ﵀ في عقيدته، وشارح الطحاوية ابن أبي العز: **(وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال**

---

(١) المسند (٤/٢٨٧-٢٨٨) واللفظ له.

(٢) السنة رقم (١٤٣٨).

(٣) في سننه (٤٧٥٣).

(٤) وأخرجه النسائي في الكبرى (٣٩٥)، وهَنّاد في الزهد (٣٣٩)، والمروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢١٩)، والحاكم في المستدرك (١/٣٧- ٣٨)، وصححه.

(٥) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، واللفظ له، وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤)، والآجري في الشريعة (٣٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٧).

**الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته).**

فإذن قد تواترت الأخبار بذلك، ومن أنكر المتواتر والمعلوم من الدين بالضرورة، بغير شبهة، كفر، فيجب اعتقاد ثبوت ما جاء في تلك الأخبار والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيتها، إذ ليس للعقل وقوفٌ على كيفيتها، لكونه لا عهد له به في هذه الدار.

يقول شارح الطحاوية: والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكن يأتي بما تحار فيه العقول، يعني: الشريعة لا تأتي بشيء تنكره العقول وتحيله، لكن تأتي بشيء تتحير فيه العقول ولا تدركه على انفراده، وهذا هو معنى قول العلماء: الشريعة تأتي بمحارات العقول، لا بمحالاتها، فالعقل الصحيح الصريح يوافق النقل الصحيح.

ولهذا ألف أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابا عظيما سماه: "درء تعارض العقل والنقل" أي: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، وبين أن العقل لا يخالف النقل، سماه بعض العلماء كتاب العقل والنقل، ما قال ابن القيم في نونيته:

**واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... ما في الوجود له نظير ثان**

يعني: أنه لا يمكن أن يتعارض نقلٌ صحيح وعقلٌ صريح أبداً، **وإذا وُجد أنَّ العقلَ يخالف النص؛ فهذا لأحد أمرين:**

إما أنَّ النقل غير صحيح.

أو أنَّ العقل غير صريح.

أي: فيه شبهة وشهوة، والعقل الصريح هو السالم من الشبهات والشهوات.

### ❁ ما يلحق بالإيمان بعذاب القبر ونعيمه:

كما أنه لابد من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه. فكذلك الإيمان بضمة القبر، فقد ثبت أن للقبر ضمة، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ**»(١) قال النبي ﷺ ذلك لما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه الذي: «**اهتز عرش الرحمن**»(٢) ومع ذلك ما سلم من الضمة، ضمه القبر، فالقبور تضمّ الميت، ثم يفرج الله عنه.

- **ومما يدخل في الإيمان بعذاب القبر ونعيمه: اعتقاد أن العذاب يكون للروح والجسد**، فالروح تُعذَّب وتُنعَّم مفردة ومتصلة بالجسد، فروح المؤمن تنعم في الجنة وحدها، وهي طائر في الجنة، ولا صلة لها بالجسد، لأن الروح سريعة الطيران، تذهب وتأتي تطير، ولهذا فإنَّ النائم روحه قد خرجت لكن بمجرد أن رجله بجيء روحه من بعيد، وكذلك الكافر تعذب روحه في النار ولا صلة بالجسد، والجسد يبلى والروح باقية في نعيم أو في عذاب.

### ❁ مذهب المعتزلة في عذاب القبر ونعيمه:

ذهب المعتزلة إلى أن العذاب والنعيم يكون للروح، **قالوا**: أما الجسد فلا يعذب ولا يُنعم، وهذا باطل؛ لأنهم أنكروا عذاب القبر ونعيمه الواقع على الجسد، وأنكروا السؤال، وأنكروا تضييق القبر وتوسيعه، وقد ثبت في الأحاديث أن المؤمن يُوَسَّع له في قبره مد

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٥٥، ٩٨)، واللفظ له، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٣، ٢٧٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١١٢)، كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي الباب عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) (١٢٤)، من حديث جابر به عبدالله رضي الله عنهما، وفي الباب عن أسيد بن حضير رضي الله عنه.

بصره، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها، والكافر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى النار فيأتيه من حَرِّها وسمومها ـ كما سبق ـ.

ـ **وحُجتهم من العقل والحس أنهم قالوا:** لو فتحنا القبر ما وجدنا فيه نارًا تشتعل، ولا وجدنا الميت يأكل ولا يشرب، ولا يأتيه نعيم ولا شيء، من ثمر الجنة، **وقالوا:** كيف يعذب من صُلِبَ على خشبة، وكيف يعذب وينعم من أكلته الطيور، أو أكلته السباع ومن أكلته الحيتان، والمقبرة التي زرعت فصارت حبوبا وثمارا كيف يعذب وكيف ينعم أهلها؟!

ـ **نقول لهم:** هذه أمور الآخرة لا تعلمون أنتم ولا نحن كيفيتها، لا تدركون كنهها، والواجب على المسلم أن يُسَلِّم بهذه الأمور الغيبية، وكونك لا تراها ولا تحس بها، فليس جهلك وعدم إحساسك بها؛ حجة على الشرع؛ فالميت ينعم ويعذب وهو يجد ذلك، ويحس به؛ لأنه في البرزخ، لكن أنت لست في البرزخ، فلا تحسّ بذلك، بل أنت لو كشفت عن قبر ما، ووضعت يدك ما أحسست بذلك؛ لأنك في الدنيا، لكن هو يحس، فأمور الآخرة لا نعلم كيفيتها، **والواجب على المؤمن أن يسلم لله ولرسوله،** ويؤمن بعذاب القبر ونعيمه، فإن الميت يناله عذاب القبر ونعيمه، حتى ولو كان مصلوباً على خشبة، ولو غرق في البحار، ولو أكلته السباع والحيتان، فإن سيناله ما قُدّر له، ويناله سؤالُ منكر ونكير، ويناله العذاب والنعيم، وتناله ضمة القبر، لكن **الله أعلم بكيفية ذلك، فعليك التسليم، ودع الاعتراض على الشريعة.**

هذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**لولا ألا تدافنوا لدعوت الله**

**أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»**[١] لكن من رحمة الله أن الإنسان لا يسمع أصوات أولئك المعذبين، وإلا لما قرّ له قرار، ولَمَا عاش الناسُ، وجاء في الحديث: «**ثم يضرب، بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها كل شيء من يليه إلا الثقلين**»[٢] يعني: إلا الجن والإنس، ولو سمعها الإنسان لصعق، ولما عاش بعدها، ولو كنا نسمع بكاء المعذبين في قبورهم وصياحَهم وصراخَهم، فهل يقر للناس قرار،؟!

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول للجيش من الجيوش التي تربي الخيول وتهيؤها وتُعدها للجهاد: إذا أصاب ـ يعني: الخيول ـ ألم في بطونها: ائتوا بها إلى قبور الرافضة أو قبور اليهود، فيأتون بها إلى تلك القبور، فتسمع أصوات المعذبين فتستطلق فيخرج منها إسهال، فيكون هذا علاج دائها[٣].

**ـ والمعتزلة بسبب أصولهم العقلية الفاسدة عارضوا النصوص،** فأوجبوا على الله أموراً باطلة؛ كإيجابهم على الله أن يثيب المطيع؛ وأن يعاقب العاصي؛ لأن العاصي ـ بزعمهم ـ هو الذي خلق فعله؛ **فعلى هذا:** يجب على الله ـ عندهم ـ:

١ ـ أن يثيب المطيع؛ لأنه يستحق الثواب على الله؛ كما يستحق الأجير أجرته.

٢ ـ أن ينفذ الوعيد في العاصي، وليس له أن يعفو عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٨٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨،١٣٧٤)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٥٢٦) والرد على الشاذلي (ص١٩)، وشرح حديث النزول (ص١٥٠).

◉ **مسألة: في الحديث: «رأيت قوماً لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم»، هل هذا دليل على أن الجنة والنار يسكنها أحدٌ الآن؟**

▣ الجواب: هذا دليلٌ على العذاب في البرزخ، وأن هؤلاء الذين رآهم ﷺ يعذبون، رآهم في البرزخ؛ والله أعلم.

## الإيمان بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم

والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبقوم يُخرَجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر كيف شاء الله وكما شاء، إنما هو الإيمان به والتصديق به.

### الشَّرح

من أصول السنة عند أهل السنة الإيمان بشفاعة النبي ﷺ وشفاعة النبي ﷺ كما سبق أنواع له ثلاث شفاعات اختص بها، وثلاث شفاعات شاركه فيها غيره.

**فالشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ:**

أولها: الشفاعة العظمى التي تكون في موقف القيامة، والتي يتأخر عنها أولو العزم، والتي يموج الناس فيها بعضهم ببعض، وهي عامة للمؤمن والكافر لإراحة أهل الموقف، حتى يحاسبهم الله، هذه هي الشفاعة العظمى خاصة بنبينا ﷺ وهي المقام المحمود التي يغبطه فيها الأولون والآخرون، وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ۝٨٠﴾ [الإسراء: ٧٩-٨٠].

هذا هو المقام المحمود، وذلك أن الناس يقفون بين يدي الله للحساب حفاة، عراة، غرلًا وتدنو الشمس من الرؤوس، ويزاد في حرارتها، ويبلغ الناس من الكرب والهم والغم ما الله به عليم، فيموج الناس بعضهم في بعض ويفزعون إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة.

وهذه الشفاعة التي يطلبها الناس من الأنبياء شفاعة جائزة؛ لأنهم يطلبون منهم أن يدعوا الله، وأن يسألوا الله، أن يحاسبهم، لكن يتأخر عنها أولو العزم، كما هو مذكور في حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين وغيرهما، وأن الناس يأتون أولًا آدم فيقولون: «**يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا، فيقول آدم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح عليه السلام؛ فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسمّاك الله عبداً شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام؛ فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؛ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؛ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غير إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلّك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؛ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى عليه السلام، فيأتون عيسى؛ فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمّت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه؛ فاشفع لنا إلى ربك؛ ألا**

ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم عيسى عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ؛ فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال: يا محمد أدخل الجنة م أمتك من لا حسبا عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصري»(١).

● مسألة: قصد الأنبياء بقولهم: (إنَّ الله غضب اليوم غضباً لم يغضب فيه مثله)؟

■ الجواب: المعنى: أنهم يخشون آثار غضب الله، الذي هو انتقامه؛ لأن من آثار الغضب الانتقام. وفي الحديث دليلٌ على أن الصفة تتفاوت؛ فالغضب يتفاوت كما ان الكلام يتفاوت؛ فسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وكذلك رضاهُ يتفاوت، ومن آثار الرضى: الإثابة والإنعام.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، واللفظ له، والترمذي (٢٤٣٤)، وابن ماجه مختصراً (٣٣٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣٥، ٤٣٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٨١١)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٢٤٢- ٢٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٤٦٥)، كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

**فالحاصل**: أن الأنبياء في ذلك الموقف العَصيب يخافون من آثار ذلك الغضب.

وقول الله سبحانه لنبيه ﷺ: «**اشفع تشفع**»، هذا الإذن داخل في قول الله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] فلا أحد يستطيع أن يشفع عند الله إلا بإذنه.

أما ملوك الدنيا والرؤساء والأغنياء والوجهاء، كل واحد يشفع بدون إذن، وقد يرغمه إرغاما، قد يرغمه لأنه يحاذره، وقد يشفع ابنه أو زوجته بشيء هو مكره عليه، لكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا مكره له.

• **مسألة: الشفاعة من الحي الحاضر القادر لا بأس بها، بخلاف الشفاعة من الميت أو الغائب فلا يطلب من الميت شفاعة، فتقول: يا فلان اشفع لي، وهو غائب لا يستطيع، هذا شرك.**

قوله سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ يشفع الله نبيه ﷺ فيقضي الله بين الخلائق، ويحاسبهم جميعًا، **فينصرف الناس فريقين**: فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير. هذه الشفاعة الأولى، الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا ﷺ.

ثانيها: الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها، أهل الجنة لا يدخلونها إلا بشفاعة نبينا ﷺ يشفع عند ربه فيأذن لهم في دخول الجنة.

ثالثها: الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، لأنه خف كفره بدفاعه عن النبي ﷺ فصار أخف أهل النار عذابًا فيخففه، فيشفع له شفاعة تخفيف فيخرج، فيشفع نبينا ﷺ في عمه أبي طالب فيخرجه الله من غمرات من نار إلى ضحضاح يغلي منها دماغه، شفاعة تخفيف فقط كما جاء في الحديث الصحيح: عن العباس بن عبدالمطلب، أنه

قال: يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(١)؛ هذه الثلاث الخاصة بنبينا ﷺ.

أما الشفاعات الأخرى فيشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، والأولاد والشهداء وغيرهم.

فالشفاعة الرابعة: الشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة وزيادة ثوابهم، يشفع في قوم من أهل الجنة حتى يرفع الشفاعة في زيادة درجات قوم من أهل الجنة وزيادة ثوابهم.

والشفاعة الخامسة: الشفاعة في قوم استحقوا دخول النار بمعاصيهم فيشفع فيهم ألا يدخلوها.

والشفاعة السادسة: الشفاعة في قوم دخلوا النار بذنوبهم فيخرجون منها.

والشفاعة السابعة: ذكر بعضهم الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يشفع لهم في دخول الجنة.

**والشفاعات الثلاث الأولى متفق عليها حتى عند الخوارج والمعتزلة**، مع أنهم ينكرون الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، فمن دخلها أن لا يخرج منها؛ لأن الخوارج والمعتزلة يرون أن العاصي كافر، وأنه يخلد في النار فلا يُشفع فيه، ولهذا أنكروا النصوص التي فيها إخراج العصاة من النار مع أنها متواترة، فأنكر عليهم أهل السنة وبدَّعوهم وضللوهم وصاحوا بهم، كيف ينكرون أحاديث متواترة بلغت حد التواتر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩)، واللفظ له.

- **وقد ثبت أن النبي ﷺ يشفع أربع شفاعات في أهل النار العصاة،** وفي كل مرة يحد الله له حدًا، ويخرجهم بالعلامة، «**فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان**»، ثم «**مثقال برة من إيمان**»، ثم «**مثقال ذرة من إيمان**»، «**مثقال حبة خردل من إيمان**»، «**مثقال حبة خردل من إيمان**»، حتى يقال له في المرة الرابعة «**أخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان**»(١).

وذلك أن **المعاصي وإن كثرت وعظمت لا تقضي على الإيمان لكن تضعفُه**، حتى لا يبقى منه إلا أدنى مثقال حبة من خردل، لأن **الذي يقضي على الإيمان هو**: الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الظلم الأكبر، أو الفسق الأكبر؛ المخرج من الملة، هذا هو الذي يقضي على الإيمان لا يبقى منه شيء.

◌ يقول الإمام رحمه الله: (والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا) هؤلاء هم العصاة الموحدون يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً، وفي الحديث: «**فجيء بهم، ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحِبَّة تكون في حميل السيل**»(٢).

◌ وقوله رحمه الله: (كما جاء في الأثر...) يشير بهذا إلى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، يدخل من يشاء برحمته، ويدخل أهل النار النار ثم يقول انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون حمماً منها قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا، فينبتون فيه كما تنبت الحِبة في جانب السيل - أو في حميل السيل - ألم تروها كيف**

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥)، بهذ اللفظ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

**تخرج صفراء ملتوية»**[1] رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، **«ينبتون كما تنبت الحِبَّة»** يعني: البذرة، في حميل السيل.

**فإذا هُذِّبوا ونُقوا**، أذن لهم في دخول الجنة.

**فإذا تكامل خروج العصاة، ولم يبق أحد**، تطبق النار على الكفرة بجميع أصنافهم اليهود والنصارى، والوثنيين والشيوعيين والملاحدة.

وأما المنافقون فهم في الدرك الأسفل منها، فلا يخرج صنف من هذه الأصناف منها أبد الآباد؛ **كما قال تعالى**:

١ - ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ [الهُمَزة: ٨] يعني مطبقة مغلقة.

٢ - ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾ [المَائدة: ٣٧].

٣ - ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البَقَرَة: ١٦٧].

٤ - ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾ [النَبإ: ٢٣].

٥ - ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسرَاء: ٩٧].

نسأل الله السلامة والعافية.

○ وقوله رحمه الله: (كيف شاء الله وكما شاء الله، إنما هو الإيمان به والتصديق به)، يشير إلى وجوب الإيمان بالنصوص، والتصديق لها وعدم الاعتراض عليها.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤).

## الإيمان أن المسيح الدجال خارج وأنه مكتوب بين عينيه: كافر

والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ينزل فيقتله بباب لُد.

### الشَرح

من عقيدة أهل السنة والجماعة ومن أصول السنة، الإيمان بأن المسيح الدجال خارج، وأنه خروجه في آخر الزمان، فلابد من الإيمان بذلك، وبأنه «**مكتوب بين عينيه كافر**»، وفي اللفظ الآخر: «**مكتوب بين عينيه كفر**»(١) يقرأها كلُّ مسلم، كاتب وغير كاتب، فالإيمان بأن ذلك كائن؛ مما يجب اعتقادُه.

وخروج المسيح الدجال هو الشرط الثاني من شروط الساعة الكبرى.

**وأشراط الساعة هي**: علاماتها ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محَمَّد: ١٨] أي: علاماتها.

**وقد قسمها العلماء إلى قسمين**: أشراط صغرى، وأشراط كبرى.

**ومنهم من جعلها ثلاثة**: صغرى، ووسطى، وكبرى.

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في الأحاديث في الدجال.

## ۞ أشراط الساعة الصغرى:

ـ **أولها:** بعثة نبينا محمد ﷺ فإنه نبي الساعة، قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»(١) وقرن ﷺ بين أصبعه السبابة والوسطى، فهو نبي الساعة.

ـ **ومنها:** موته عليه الصلاة والسلام.

ـ **ومنها:** فتح بيت المقدس.

ـ **ومنها:** الحروب والفتن التي حصلت بين الصحابة.

ـ **ومنها:** إمارة الصبيان والأحداث.

ـ **ومنها:** إضاعة الأمانة.

ـ **ومنها:** إسناد الأمور إلى غير أهلها.

ـ **ومنها:** إماتة الصلاة.

ـ **ومنها:** كثرة شرب الخمور.

ـ **ومنها:** ظهور القَيْنات والمعازف.

ـ **ومنها:** فشو الربا والزنا.

ـ **ومنها:** أن يُتعلم ويُتفقه لغير الدين.

ـ **ومنها:** كثرة العقوق.

ـ **ومنها:** كثرة الشُّرَط.

ـ **ومنها:** كثرة النساء، وقلة الرجال.

ـ **ومنها:** كثرة الجهل، وقلة العلم، ولهذا جاء في الصحيحين: «**إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا، وتكثر**

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

**النساء، ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»**[١].

- **ومنها**: تقارب الأسواق، وظهور المخترعات الحديثة.

- **ومنها**: الخسوف، **«ثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب»**[٢].

- **ومنها**: كثرة الزلازل، وهي كثيرة لا تزال تكثر وتزيد في زماننا هذا.

### ۞ أشراط الساعة الكبرى:

أشراط الساعة الكبرى **عشرة**، لم يخرج منها شيء حتى الآن، وهي التي تليها الساعة، وهي متقاربة، إذا خرجت واحدة منها تتابعت كالسلك الذي نُظم فيه الخرز، فإذا انقطع تتابعت الخرزات.

- **أول أشراط الساعة الكبرى**: خروج المهدي: محمد بن عبدالله المهدي، رجلٌ من آل بيت النبي ﷺ من سلالة فاطمة، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، واسمه محمد بن عبد الله المهدي، وخلافته: خلافة نبوة.

وقد جاءت في المهدي أحاديث؛ منها: أحاديث صحيحة، ومنها: حسنة، وفيها: ضعيفة.

وقد ثبت أنه يخرج في وقت ليس للناس فيه إمام فيبايع، وفي آخر الزمان تكثر الحروب والفتن، ففي زمان المهدي تكون حروب طاحنة بين المسلمين وبين النصارى، وتحصل للناس الفتن في الشام.

جاء في هذا أحاديث عند مسلم[٣]، فيها: الحروب التي تقع،

---

(١) أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠١)، من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

(٣) انظر: صحيح مسلم من الحديث (٢٩٠٨ إلى ٢٩٢٣).

والقتل الذي يكون، ومن آخرها: فتح القسطنطينية، فإذا فتحت القسطنطينية، وعلَّق الناسُ سيوفهم بالزيتون صاح الشيطان للمرة الثانية: «**إن الدجال قد خلفكم في أهليكم**» لأن المرة الأولى تكون خطأ، فيخرج الدجال في زمن المهدي بعد فتح القسطنطينية.

- **ثاني أشراط الساعة الكبرى**: الدجال، وهو رجل من بني آدم، أولًا يدعي أنه رجل صالح، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيقول للناس: أنا ربكم، فهو كافر.

**وسمي المسيح**؛ لأن عينه اليمنى ممسوحة.

**وسمي الدجال**؛ لكثرة دجله وكذبه ومخرقته، ومن أعظم كذبه دعواه الربوبية.

والدجاجلة كثيرون، وكلُّ السحرة دجاجلة، لكن الدجال الأكبر هو الذي يخرج في آخر الزمان، وهو آخرهم وأكبرهم.

فيخرج هذا الرجل - المسيح الدجال - ولا يترك بلدًا إلا دخلها إلا مكة والمدينة؛ لأنه ممنوع من دخولها، فما من نقب من أنقابها إلا وعليه ملائكة، بيدهم السيوف فلا يستطيع دخولهما، لكنه يأتي إلى المدينة، وينزل بالسبخة فترجف ثلاث رجفات، فيخرج إلى الدجال كلُّ كافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل منافق ومنافقة، وحينئذ تنفي المدينة خبثَها، وينصع طيبُها، ولا يبقى في المدينة في ذلك الزمان إلا الطيبون.

- ثم يدعي الربوبية، ويقول للناس أنا ربكم.

**وتكون معه خوارقُ عادات؛ وهي فتن، وابتلاء، وامتحان، ابتلى الله العباد به.**

- **فمن فتنته**: أن معه صورة الجنة، وصورة النار، فالنار خضراء تجري، والجنة سوداء تدخن، فالذي يوافقه يلقيه فيما يرى الناس الجنة

وهي النار، والذي يعصيه يلقيه فيما يرى الناس النار وهي الجنة، ومكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن.

- **ومن فتنته**: أنه يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ابتلاء وامتحان.

- **ومن فتنته**: أنه يأتي إلى الخربة فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.

- **ومن فتنته**: أنه يسلط على رجل فيدعوه إلى الإيمان به فيكذبه فيقطعه نصفين، بالسيف، ويمشي بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيحييه الله فيستوي قائمًا، فيقول: أتعرفني الآن، فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ويقول لمن معه: أرأيتم إن قتلته ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ قالوا لا، فيقتله ثم يحييه الله، ابتلاء وامتحان، قال النبي ﷺ: «**هذا الرجل أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**»(١) ثم يرى أن يقتله مرة أخرى فلا يستطيع.

- **وفتنته عظيمة، حيث يتبعه أناس يعلمون أنه كاذب، لكن يخشون من الفقر**؛ لأنه يأتي إلى القوم وإلى البادية فيدعوهم، فإذا استجابوا له:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٨)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قِبلة رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج - قال - فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه - قال - فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ قال فيأمر الدجال به فيُشبَّح فيقول خذوه وشُجوه. فيوسع ظهره وبطنه ضرباً - قال - فيقول أو ما تؤمن بي قال فيقول: أنت المسيح الكذاب - قال - فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يُفرق بين رجليه - قال - ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم. فيستوي قائماً - قال - ثم يقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك إلا بصيرة - قال - ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس - قال - فيأخذه الدجال ليذبحه فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نُحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً - قال - فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما أُلقي في الجنة**». فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»، وروى البخاري بعضه.

أخصبت أرضُهم، وجاءتهم الأمطار، وسمنت مواشيهم، وامتلأت ضروعها باللبن، ويأتي القوم فيردون عليه فيصبحون مُمْحِلين وتهلك أنعامهم، ابتلاءً وامتحانًا، حتى يتبعه أناس يقولون: نعلم أنه كاذب لكن نريد عيشة رغيدة، آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ـ والعياذ بالله ـ ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**من سمع بالدجال فَلْيَنْأَ منه**»(١)، لأن له فتنة عظيمة، فأمر ﷺ بالابتعاد عنه، وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أمر أكبر من الدجال**»(٢).

ـ **وأما لبثه في الأرض**؛ فقد سئل النبي ﷺ: كم يلبث في الأرض ـ مكثه ـ قال: «**أربعون يوماً**»(٣)، فاليوم الأول طوله: سنة، واليوم الثاني طوله: شهر، واليوم الثالث طوله: أسبوع، ففي اليوم الأول تطلع الشمس ولا تغرب ثلاثمائة وستة وخمسين يوماً، وفي اليوم الثاني تطلع الشمس ولا تغرب إلى شهر، ـ أي: إلا بعد ثلاثين يوما ـ وفي اليوم الثالث تطلع الشمس ولا تغرب سبعة أيام، والباقي سبعة وثلاثين يوما كأيامنا.

قيل لرسول الله ﷺ ـ في اليوم الأول والثاني والثالث ـ كيف تصلي؟ قال: «**اقدروا له**» أي: في كل أربعة وعشرين ساعة خمس صلوات والشمس طالعة، حتى ينتهي هذا اليوم الطويل، وكذلك اليوم الثاني.

وقد ثبت أيضاً: أنه مربوط في جزر من جزر البحر، كما في حديث تميم الداري أنه لعب بهم الموج شهرًا وأنهم خرجوا إلى جزيرة

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٤٣١، ٤٤١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣١)، من حديث عمران بن حصين ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٦)، من حديث عمران بن حصين ﷺ.
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

من جزر البحر، فوجدوا الدجال، ووجدوا الدابة، فرأوا رجلًا عظيم الخِلْقة، مربوطة يداه إلى عنقه بالحديد، وأنهم سألوه فأخبرهم أنه يوشك أن يخرج، إلى آخر القصة(١).

ـ **نص حديث الجساسة:**

**الحديث الأول:** عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم**». قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شابٌ قططٌ عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلّةً بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فأثبتوا**». قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال: «**أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**». قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال: «**لا اقْدُرُوا له قدره**». قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُراً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيُصحبون مُمحلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم ويمر بالخَرِبة فيقول لها أخْرِجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل، ثم يدعو رجلاً مُمتلئاً شباباً فيضربه**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ فلا يحل لكافرٍ يجدُ ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدٍّ فيقتُله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيَمسح عن وجوههم ويُحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى إنّي قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرِّزْ عبادي إلى الطور. ويبعثُ الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بُحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرةً ماءٌ، ويُحصرُ نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيُرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيُصبحون فرسَى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البُختِ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يُقال للأرض انبتي ثمرتك ورُدِّي بركتك.

فيومئذ تأكلُ العصابةُ من الرمانة ويستظلون بقحفها ويُبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذْ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شِرارُ الناس يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُرِ فعليهم تقوم الساعة»ً.

**الحديث الثاني**: عن فاطمة بنت قيس، وهذا لفظه: قالت: نَكَحْتُ ابنَ المغيرة وهو من خِيار شباب قريش يومئذ فأصيب في أول الجهاد مع

رسول الله ﷺ فلما تأيَّمت خطبني عبدالرحمن بن عوف في نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وخَطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حُدِّثتُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحبني فليُحب أسامة**». فلمّا كلّمني رسول الله ﷺ قلتُ أمري بيدك فأنكحي مَن شئتَ فقال: «**انتقلي إلى أم شريك**». وأم شَريك امرأةٌ غنيةٌ من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان فقلتُ سأفعل فقال: «**لا تفعلي إن أم شريك امرأةٌ كثيرة الضيفان فإني أكرهُ أن يَسقُط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ولكن انتقلي إلى ابن عمك عبدالله بن عمروٍ ابن أم مكتوم**». وهو رجلٌ من بني فهرٍ فهرِ قريشٍ وهو من البطن الذي هي منه ـ فانتقلت إليه فلما انقضت عدَّتي سمعتُ نداءَ المنادي منادى رسول الله ﷺ يُنادي الصلاة جامعة. فخرجتُ إلى المسجد فصلّيت مع رسول الله ﷺ فكنتُ في صف النساء التي تَلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «**ليلزمْ كلُّ إنسان مُصلّاه**». ثم قال: «**أتدرون لِمَ جمعتكم**». قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الدَّاري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدَّثني حديثاً وافق الذي كنت أحدِّثكم عن مسيح الدجال؛ حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينة بحريةٍ مع ثلاثين رجلاً من لَخْمٍ وجُذامَ فَلَعِبَ بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحْر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرُبِ السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابةٌ أَهْلَبُ كثيرُ الشعر لا يدرون ما قُبُلُهُ من دُبره من كثرة الشعر فقالوا: ويلك ما أنت. فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّيْرِ فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمَّتْ لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة ـ قال ـ فانطلقنا سِراعاً حتى**

دخلنا الدَّيْرَ فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناه قط خَلْقاً وأشده وثاقاً مجموعةٌ يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قَدَرْتُمْ على خبري فأخبروني ما أنتم. قالوا: نحن أناسٌ من العَرَبِ رَكِبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فَلَعِبَ بن الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقرُبِها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابةٌ أهلب كثير الشعر لا يُدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أن الجساسة.

قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعْمِدُوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخلِ بيسان. قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يُوشِكُ أن لا تُثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يُوشِك أن يَذهب. قال: أخبروني عن عينِ زُغَرَ. قالوا: عن أني شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماءٌ؟ وهل يزرَعُ أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبيِّ الأُمِّيِّينَ ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أَقَاتَلَهُ العربُ. قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؛ فأخبرناه أنه قد ظهرَ على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إنَّ ذاك خيرٌ لهم أن يُطيعُوه وإنيِّ مُخْبِرُكُمْ عنيِّ إني أنا المسيح، وإني أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لي في الخروج فأخرُج فأسيرَ في الأرضِ فلا أَدَعَ قريةً إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة؛ فهما مُحَرَّمتان عليَّ كِلْتَاهُما إذا أَرَدْتُ أن أدخُلَ واحدةً أو واحداً منهما استقبلني مَلَكٌ بيده السيفُ صَلْتا يَصُدُّني عنها وإن عَلَى كل نقبٍ منها ملائكة يحرُسونها. قالت قال رسول الله ﷺ وطَعنَ بمخْصَرته في المنبر «هذه طيبةُ هذه طيبةُ هذه طيبةُ». يعني: المدينة «ألا هل كُنْتُ حدَّثْتُكم ذلك» فقال الناس: نعم.

**«فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدِّثُكم عن وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشَّام أو بحر اليمن لا بل مِنْ قِبَلِ المشرق ما هو مِنْ قِبَلِ المشرق ما هو من قِبل المشرق ما هو».** وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحَفِظْتُ هذا من رسول الله ﷺ.

● **مسألة: هناك من ينكر وجود الدجال الآن استدلالًا بالحديث الذي في الصحيحين أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض ممن هو على ظهرها اليوم أحد»؟**

■ **الجواب:** الحديثان ثابتة، **فالجمع بينهما:**

أن حديث: **«مائة سنة»** عام، وحديث الدجال خاص، فيكون مستثنى من النص العام، وبذلك يزول الإشكال.

ـ **من الأحاديث التي وردت في وصف الدجال:**

حديث أنس رضي الله عنه أن النَّبِيّ ﷺ قال: **«ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوبا بين عينيه ك ف ر»**[(١)]، وفي رواية: **«الدجال مكتوب بين عينيه كافر»**[(٢)].

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال، فقال: **«إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنته»** يعني: تجيركم من فتنته، قلنا: يا رسول الله وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: **«أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»**، فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال لا: **«اقدروا له قدره،**

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١، ٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٠، ٧١٣٠)، ومسلم (٢٩٣٤/١٠٥)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

**إذ بعث عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق حتى يدركه عند باب لد فيقتله»** رواه مسلم(١) والأحاديث في هذا كثيرة.

ـ **ثالث الأشراط الكبرى:** بعد مكث الدجال هذه المدة ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء واضعًا كفيه على جناح ملكين؛ عند المنارة البيضاء من دمشق، في وقت صلاة الفجر، وقد أقيمت صلاة الفجر، فَيُقَدِّمه بعضُ المسلمين، فيمتنع ويقول: إنما أقيمت لك، فإذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام صار فردًا من أفراد الأمة المحمدية، فيحكم بشريعة نبينا محمدٍ ﷺ؛ لأن كل نبي أخذ الله عليه الميثاق لئن بعث محمدٌ وهو حي ليتبعنَّه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨١]، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»**(٢).

ـ فعيسى عليه السلام إذا نزل قتل المسيحَ الدجال بحربته بباب لُدّ ـ قرية من فلسطين ـ وفي الحديث: **«فإذا رآه»** إذا رأى مسيحُ الضلالة مسيحَ الهدى **«ذاب كما يذوب الملح في الماء»**(٣) ولو تركه لمات لكن يقتله ـ يقتل مسيحُ الهدى مسيحَ الضلالة ـ وحينئذ يكون الحكم لعيسى عليه السلام، فتكون الولاية له، ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٣٨٧)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، والبيهقي في السنن (٢/ ١٠-١١)، وفي الشعب (١٧٩)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٤٢)، وغيرهم كلهم من طريق مجالد بن سعيد، عن الشعبي، ومجالد ليس بالقوي، وللحديث شواهد أخرى كثيرة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

- **رابع الأشراط الكبرى**: خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى ﷺ، ويأجوج ومأجوج أمتان كافرتان من بني آدم، الأولى تسمى: يأجوج والثانية: مأجوج، وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله، وقد ثبت في الحديث: «**ينادي الله تعالى يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث النار، فقال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**» فشق ذلك على الصحابة ثم قال «**أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف**»(١)، كما قال العلامة ابن القيم:

**يا سلعة الرحمن لست رخيصةً    بل أنت غالية على الكسلان**
**يا سلعة الرحمن ليس ينالها    في الألف إلا واحد لا اثنان**

- وقوم يأجوج ومأجوج هؤلاء قوم كفار يفسدون في الأرض، فيمر أولهم بأول بحيرة فيشربون ماءها، ثم يمر من بعدهم فيقول: كان بهذه مَرّةً ماء!!

فيأمر اللهُ نبيَّه عيسى أن يتحصّن في جبال الطور؛ هو ومن معه من المؤمنين، ثم يدعو عيسى ﷺ عليهم، هو ومن معه من المؤمنين فيُهلِكَهم الله - أي: يهلك قوم يأجوج ومأجوج - في ليلة واحدة، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، فإذا ماتوا صاروا كالجبال من كثرتهم، فيرسل الله طيرًا كأعناق الإبل، تأخذهم وتلقيهم في البحر، ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض، وهذا من رحمة الله؛ لأنهم لو بقوا لأوخمت الأرض من رائحتهم ومات الناس.

**فهذه أربع علامات متوالية**: المهدي، ثم الدجال، ثم عيسى، ثم يأجوج ومأجوج.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، واللفظ له ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

ـ ثم تتوالى بقية أشراط الساعة:

**فالخامس:** نزع القرآن من الصدور ومن المصاحف إذا ترك الناس العمل به.

**والسادس:** الدخان الذي يملأ الأرض.

**والسابع:** هدم الكعبة ـ والعياذ بالله ـ.

**والثامن:** طلوع الشمس من مغربها.

**والتاسع:** طلوع الدابة.

**والعاشر:** وهو آخرها: نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا:

هذا باختصار ما يتعلق بأشراط الساعة، وتفصيله يطولُ.

## ۞ الخلاصة:

لابد من الإيمان بأن الدجال خارج، وأنه شرط من أشراط الساعة الكبار، والإيمان بأن عيسى عليه السلام ينزل فيقتله بباب لُد، لأن الإيمان بهذا من أصول أهل السنة والجماعة، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] يعني: عيسى، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] أي: عيسى، وفي قراءة ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ﴾ بفتح العين واللام[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٣٤).

❁ تنبيه:

**خص المصنف الدجال وعيسى عليه السلام بالذكر من بين أشراط الساعة الكبرى** لأن أدلتهما في الصحيحين، والعلماء يختلفون في عقائدهمُ فبعضهم يذكر المهدي، والدجال، ونزول عيسى، وبعضهم لا يذكر المهدي، فالمهدي ليست أحاديثه في الصحاح لكنها ثابتة؛ أما الدجال وعيسى عليه السلام فهي في الصحيحين وفي غيرهما.

ومن الأدلة على المسيح الدجال: ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أمر بالاستعاذة من أربع في آخر الصلاة، قال: في آخر الصلاة: **«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»**[١] ففتنة عظيمة كما في صحيح مسلم: **«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أو أمرٌ أكبر من الدجال»**[٢].

❁ ❁ ❁

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٦).

## الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

**والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقا»(١).**

### الشَّرح

عقيدة أهل السنة والجماعة في **الإيمان أنه**: قول وعمل؛ يزيد وينقص، كما جاء في الخبر عن النبي ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا».**

**وقال بعضهم**: الإيمان قول وعمل ونية واتباع سُنَّة.

**وأصل الإيمان هو**: التصديق في القلب.

**والقول نوعان**: قول القلب وهو: التصديق والإقرار والاعتراف، وقول اللسان: وهو النطق.

**والعمل نوعان**: عملُ القلب وهو النية والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء، وعمل الجوارح.

*** المرويات عن الإمام أحمد وجماعة من السلف في إثبات زيادة الإيمان ونقصانه:**

روى عبدالله بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن أبيه أنه لما سئل

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) وقال هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٢/ ٤٧٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٥١٥)، وغيرهم كلهم من طريق أبي هريرة ﷺ، وفي الباب عن عائشة ﷺ أخرجه الترمذي (٢٦١٢)، وأحمد في المسند (٦/ ٤٧، ٩٩).

عن الإرجاء قال: (**نحن نقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه**)[(١)].

وروى إسحاق بن هانئ في مسائله عن الإمام أحمد أنه قال: (**أدركنا الناس وهم يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونية صادقة**)[(٢)].

وكذلك روى الخلال في السنة، عن الإمام أحمد أنه قال: (**حسَّن يحيى بن سعيد الزيادة والنقصان ورآه**)[(٣)].

وروى أيضا عن الإمام أحمد أن سمع سفيان بن عينية يقول: (**الإيمان يزيد**).

وقال الإمام أحمد: (**سمعت سفيان يقول: لا يعنِّف من قال الإيمان ينقص**).

وكذلك يحيى بن معين روى الخلال عنه أنه قال: (**الإيمان قول وعمل يزيد وينقص**)[(٤)].

وكذلك أيضا روى عبدالله بن الإمام أحمد عن ابن إدريس وجرير، ووكيع قالوا: (**الإيمان يزيد وينقص**)[(٥)].

وعن عبدالرزاق الصنعاني قال: سمعت مالكا والأوزاعي، وابن جريج، والثوري وبعض أهل العلم يقولون الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وجاء عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[(٦)].

---

(١) (١/٥٩٩).

(٢) (٢/١٦٢٠).

(٣) (١٠١٥).

(٤) (١٠١٢).

(٥) في السنة (٧٠٠) بإسناد صحيح.

(٦) السنة لعبدالله بن أحمد (٦٣٦، ٦٣٨، ٧٠٢)

وترجم البخاري في صحيحه باب زيادة الإيمان ونقصانه، وقول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثّر: ٣١]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣].

وكذلك أيضا روى ابن أبي حاتم أنه قال: سألت أبي وأبا زرعة، عن مذاهب أهل السنة، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا، ومصرا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص(١).

وكذلك قال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول: **(الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)**(٢).

وكذلك أيضا أبو عبيد القاسم بن سلّام سمّى من يقول الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، من أهل الأمصار في الإبانة، وهذا قول أهل السنة قاطبة كلهم يقول: قول وعمل يزيد وينقص.

فكل هذه النصوص عنهم تدل على أن الإيمان يزيد وينقص.

هذا هو مذهب السلف رضوان الله عليهم، كما قرر هذا العلماء في أصول السنة كالآجري في الشريعة(٣).

**فالإيمان يزيد وينقص، كما أن الكفر يزيد وينقص،** فإذا أطاع الإنسان ربه زاد، وإذا عصى نقص، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المَائدة: ٣] وهذا دليل أيضاً على أن الإيمان يزيد وينقص.

---

(١) روى ذلك ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (ص١٩٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ١١٥)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٥/ ٩٦٢ح١٧٥١)، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٣٨٧).

(٢) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، لابن القيم (٢/ ٣٤٥).

(٣) (١/ ١٢٥، ١٢٦).

وكذلك الكفر يزيد وينقص؛ كما قال تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وقد ساق المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا**» دليلاً على أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا الحديث صحيح رواه الإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وغيرهم[(١)].

## ۞ مذهب المرجئة في الإيمان:

المرجئة خالفوا أهل السنة والجماعة، **فقالوا: إن الإيمان ليس قولا ولا عملا ولا يزيد ولا ينقص، قالوا: الإيمان هو في القلب فقط، ومنهم من قال: الإيمان في اللسان فقط.**

**فالمرجئة طوائف:**

**الطائفة الأولى:** الجهمية، **ومذهبهم:** أن الإيمان مجرد المعرفة، يعني: معرفة الرب بالقلب، والكفر هو: جهل الرب بالقلب، فالمؤمن عند الجهم: هو الذي عرف ربه بقلبه، والكافر: هو الذي جهل ربه بقلبه.

**وعلى ذلك ألزمه العلماء:**

١ ـ القول بإيمان إبليس؛ لأنه عرف ربه بقلبه كما دَلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤].

٢ ـ أن يكون فرعون مؤمناً؛ لأنه كان مرقناً بالرب، وإن تظاهر بإنكاره، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وذكر الله عن موسى أنه قال لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] والعلمُ: معرفة القلب.

ـ **فأفسدُ ما قيل في تعريف الإيمان هو قول الجهم**، فهو أفسد تعريف على وجه الأرض، **فطَرْدُ مذهبه يقتضي**: الحكم بالإيمان لكل

---

(١) سبق تخريجه.

أحد، ولو كان كافراً؛ لأنه ما من أحدٍ إلا وهو يعرف ربه بقلبه؛ فيكون مِنْ لازم مذهبه الباطل: تصحيح إيمان من فعل جميعَ أنواع الكفر، ونواقضَ الإيمان، حتى ولو قتل الأنبياء، وسب الله ورسوله، وهدم المساجد، فهؤلاء جميعاً مؤمنون على مذهب الجهم؛ لأنهم يعرفون ربهم بقلوبهم. وهو ـ كما تقدم ـ لا يُكَفِّرُ إلا من جهل ربه بقلبه!! فهذا من أشنع ما قيل في تعريف الإيمان.

**الطائفة الثانية:** الكُرَّامية أتباع محمد بن كرام، **ومذهبهم**: أن الإيمان هو النطق باللسان، فإذا نطق باللسان وقال: آمنتُ، أو قال: لا إله إلا الله، نطق بلسانه فهو مؤمن، كامل الإيمان عند الكرامية، وإن كان مكذباً بقلبه، فإنه يخلد بالنار، ولو كان مؤمناً!!، فيجمعون بين المتناقضين فيقولون: هو مؤمن كامل الإيمان؛ وهو مخلد في النار؛ هو مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه آمن بلسانه، وهو مخلد في النار؛ لأنه مكذب بقلبه. هذا مذهب الكرامية؛ الذين هم الطائفة الثانية من المرجئة.

**الطائفة الثالثة:** الماتريدية والأشاعرة. **ومذهبهم**: أنَّ الإيمان هو مجرد التصديق، ولو لم ينطق بلسانه، فبمجرد التصديق منه في القلب يحصل له الإيمان، ويثبت له.

وهذا القول هو إحدى روايتين عن الإمام أبي حنيفة.

والتصديق المجرد هذا يقول عنه شيخ الإسلام يعسر التفريق بينه وبين المعرفة، وبينه وبين مذهب الجهم، ويقول: إن أبا الحسن الأشعري، نصر مذهب الجهم.

فالأعمالُ ليست داخلة في الإيمان، عند هذه الطوائف كلها.

**الطائفة الرابعة:** مرجئة الفقهاء، وهم أهل الكوفة، **ومذهبهم**: أن الإيمان شيئان: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وأما الأعمال فليست

داخلة في مسمى الإيمان، هذا مذهب مرجئة الفقهاء، وهي الرواية الثانية عن الإمام أبي حنيفة، وعليها أكثر أصحابه.

**وأول من قال بالإرجاء:** حماد بن أبي سليمان، شيخ الإمام أبي حنيفة.

**ـ هذه طوائف المرجئة الأربع، وكلهم يقولون:**

١ ـ الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان.

٢ ـ الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص.

**وشبهتهم:** أنَّ الإيمان حقيقة مركبة، والحقيقة المركبة تزول بزوال بعض أجزائها!!

**وهذا قولٌ باطل؛** لأن الإنسان حقيقة مركبة، وهو مُركَّب من أجزاء، فهل إذا قُطع نصفه؛ تزول حقيقته الإنسانية! لا تنقص ولا تزول.

### ۞ تقرير مذهب جماهير أهل السنة في مسمى الإيمان:

مذهب جماهير أهل السنة ـ الأئمة الثلاثة؛ الشافعي، ومالك، وأحمد، والجماهير ـ **يقولون:** إن الإيمان قول وعمل، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، ويزيد وينقص ويقوى ويضعف.

**والأدلة في هذا كثيرة من ذلك:**

١ ـ قول الله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف: ١٣].

٣ ـ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]؛ فأدخل عمل القلب، الذي في قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وكذلك ما ذكره في الآية من زيادة الإيمان، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق، كلها

دخلت في مسمى الإيمان.

٤ ـ قوله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

٦ ـ قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥].

٧ ـ قال الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

٨ ـ قوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**» وفي رواية البخاري «**بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)].

فهذه النصوص دليل واضح على أن الإيمان يتبعَّض. والبضع: من ثلاثة إلى تسعة.

وقد تتبع البيهقي كَلَلهُ هذه الشُّعب من الكتاب والسنة، وأوصلها إلى أعلى البضع، وهي تسع وسبعون؛ فألَّف كتاباً سَمَّاه: «شُعب الإيمان».

فالإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وهي قول باللسان، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، وهذا عمل بدن، والحياء شعبة من الإيمان، وهذا عمل قلبي، وبين تلك الشُّعب: الأعلى والأدنى، شُعَبٌ أخرى، فالصلاة شعبة، والصيام شعبة، والزكاة

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، وهكذا. فكل هذه شُعب داخلة في مسمى الإيمان.

وفي الحديث الذي رواه الشيخان: لما قدم وفد عبدالقيس على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إن هذا الحي من ربيعة قد حالت بيننا وبينك كُفّار مُضر، ولسنا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام، فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه مَنْ وراءنا. قال: «**آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله، وشهادة أن لا إله إلا الله، وعقد يده هكذا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء، والحنتم، والنقير، والمزفت. وقال سليمان وأبو النعمان عن حماد: الإيمان بالله شهادة أن لا إلا إله الله**»[(١)].

فَفَسَّرَ الإيمانَ في هذا الحديث، بالعمل؛ فأدخل في الإيمان بالله: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الخمس من المغنم، فكيف يقال بعد هذا: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان؟!.

## ۞ مذهب الخوارج والمعتزلة في مسمى الإيمان:

ـ **الخوارج والمعتزلة مذهبهم**: في مسمى الإيمان، هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ **لا يفترق، وذلك أنهم يقولون**: الإيمان قول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح.

**لكن الفرق بينهم وبين أهل السنة والجماعة**، أنَّ أهل السنة والجماعة يقولون: إذا فعل الإنسان المعصية، نقص الإيمان وضعف.

وأما الخوارج والمعتزلة فيقولون: إذا فعل الإنسان الكبيرة انتقض إيمانه وخرج من الإيمان؛ يعني: يخرج من الإيمان بالكبيرة؛ لأن

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٨)، واللفظ له، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

الإيمان - عندهم - شيء واحد، **إذا زال**: زالَ جميعُه، **وإذا ثبتَ**: ثبت جميعُه؛ لأنه لا يتبعض؛ ولأنه حقيقة مركبة، والحقيقة المركبة تزول بزوال أجزائها.

**إذن فهم مع قولهم**: إنَّ الإيمان قول، وعمل، وتصديق، **يقول الخوارج**: إذا فعل المرءُ الكبيرةَ؛ زال عنه الإيمان بالكلية؛ أي: خرج من الإيمان ودخل في الكفر، ويُخلّدونه في النار.

**والمعتزلة يقولون**: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر؛ فيكون في منزلة بين المنزلتين، ويسمونه فاسقاً؛ لا هو مؤمن ولا هو كافر، ويخلدونه في النار؛ كالخوارج، وهذا من أبطل الباطل.

**وأمّا مرجئة الفقهاء فيقولون**: الإيمان شيئان: إقرار اللسان، وتصديق بالقلب. ويقولون: الأعمال ليست من الإيمان لكنها مطلوبة، فعندهم: أن الواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، لكن لا نسميها إيماناً، وإلا فهي مطلوبة، مثل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

وكذلك تَرْكُ المحرمات، فقالوا: المسلم مطلوب منه أن يترك المحرمات، مثل: شرب الخمر، والتعامل بالربا، وترك الرشوة، لكن لا نسمي هذه إيماناً، بل نقول: الإنسان عليه فعل الواجبات، وترك المحرمات، لكنها ليست من الإيمان، وجمهور أهل السنة يقولون: الأعمال واجبة، وهي من الإيمان.

### ۞ نوع الخلاف مع مرجئة الفقهاء:

**قد قيل**: إن الخلاف بين مرجئة الفقهاء وبين الجمهور خلاف لفظي؛ **لأن كلاًّ من الطائفتين اتفقوا على** أن الواجبات واجبات، **واتفقوا على** أن المحرمات محرمات، **واتفقوا على** أن الواجب يجب فعله، وأن من فَعَلَهُ يثاب، وأن مَنْ تركه فإنه يعاقب، وكذلك المحرم

يجب تركه، وأن من فعله يعاقب. هذا ما اتفقوا عليه.

لكن اختلفوا في التسمية، فجمهور أهل السنة قالوا: نسمي الأعمال إيماناً، والأحناف قالوا: لا نُسميها إيماناً.

**ـ لكن التحقيق أن الخلاف ليس لفظياً، ويتبيّن ذلك من وجوه:**

أولاً: أنَّ جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، ومرجئة الفقهاء وافقوا الكتاب والسنة في المعنى وخالفوهما في اللفظ، **والواجب على المسلم أن يتأدب مع النصوص**، وأن يوافق الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، ولا يجوز له أن يخالفهما لا في اللفظ، ولا في المعنى.

ثانياً: أن مرجئة الفقهاء في اختلافهم مع جمهور أهل السنة، فتحوا البابَ للمرجئة المحضة، لما قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وإن كانت واجبة؛ فدخلتْ المرجئةُ المحضةُ الجهميةُ، وقالوا: ليست واجبة.

ثالثاً: أنهم فتحوا الباب للفُسَّاق، فيأتي الفاسق السّكير العربيد فيقول: أنا مؤمن كامل الإيمان؛ إيماني كإيمان أبي بكر، وعمر، وكإيمان جبريل، وميكائيل، **فإذا قيل**: كيف يكون إيمانك كإيمان أبي بكر، وعمر، وأبو بكر، وعمر، لهما أعمال عظيمة؟! **قال**: لأن الإيمان هو: التصديق فقط، ولا علاقة للعمل بالإيمان، **وعلى هذا**: فأنا مصدّق وأبو بكر مُصدّق، فأنا وَهُمْ في هذا الأمر سواء!!

رابعاً: من ثمرات الخلاف بين مرجئة الفقهاء وجمهور أهل السنة: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول المُسلم: أنا مؤمن إن شاء الله، فمرجئة الفقهاء يمنعون أن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، يقولون: لأنك بهذا: تشك في إيمانك؛ والإيمان شيء واحد وهو:

التصديق، وأنت تعرف من نفسك أنك مصدق، كما تعلم من نفسك أنك تحب الرسول، وتبغض اليهود، فكيف تقول: أنا مؤمن إن شاء الله؟! ولهذا يقولون: من قال: أنا مؤمن إن شاء الله، فقد شكَّ في إيمانه، ويسمونهم: الشكّاكة. فيمنعون بناءً على أصلهم هذا الفاسد في الاستثناءَ في الإيمان.

**وأما جمهور أهل السنة فيفصّلون**؛ فيقولون: يجوز الاستثناء باعتبار، ولا يجوز باعتبار؛ فإذا قصد الإنسانُ الشكَّ في أصل إيمانه، فلا يجوز له الاستثناء، أما إذا لم يرد الشك في أصل إيمانه، وأراد: أن الإيمان متعدد، وأنه شُعب، وأن الإنسان لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه أدّى ما عليه؛ فإنه يستثني، ويجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، ويكون الاستثناء راجعاً إلى شرائع الإيمان؛ لأنها متعددة، والإنسان لا يجزم بأنه أدى ما عليه، ولا يزكي نفسه، بل يزري على نفسه، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ يعني: إن شاء الله أني قد أديتُ ما عليَّ.

وكذلك إذا أراد بالاستثناء، التبرك بذكر اسم الله، فله أن يستثني فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وكذلك إذا أراد عدم علمه بالعاقبة، أما إذا أراد الشك في أصل الإيمان فلا.

فهذه كلها من ثمرات الخلاف بين مرجئة الفقهاء؛ وبين جمهور أهل السنة.

❁ ❁ ❁

# كفر تارك الصلاة

**ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله.**

## الشَّرح

من أصول السنة ـ كما قال الإمام أحمد ـ: أن مَنْ ترك الصلاة: فقد كفر؛ إذْ ليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة؛ فمن تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله.

وهذا دليلٌ على أن الإمام أحمد يُكَفِّرُ تاركَ الصلاة؛ لأنه ـ كما هاهنا ـ، يقول: (من ترك الصلاة فقد كفر)؛ يعني: كفراً أكبر مخرجاً من الملة. هذا معنى قوله: (وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة)؛ لأن هناك من الأعمال ما فِعْله كفر، لكنه لا يُخرج من الملة، مثل قول النبي ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»[1]، سَمَّاهما النَّبِيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: كفراً، ولكنهما لا يُخرجان مَنْ فعلهما من الملة.

○ وقوله: (وقد أحل الله قتله) واضحٌ معناهُ، وأنَّ من صلى فلا يُقتل كما يفيدُه مفهومُ المخالفَة؛ ولهذا قال النَّبِيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**نُهيتُ عن قتل المصلي**»[2]؛ فدل على أن الذي لا يصلي لم يُنْهَ عن قتله، بل يُقتل.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٣٠)، انظر: السلسلة الصحيحة (٢٣٧٩).

• **مسألة: ترك الصلاة فيها تفصيل للعلماء، وهي على حالتين:**

**الحالة الأولى:** أن يتركها جحداً لوجوبها؛ فإذا تركها جاحداً لوجوبها، فهذا كافر بإجماع المسلمين، من غير خلاف؛ لأنه أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، وهو: وجوب الصلاة، وهذه **قاعدة عند أهل العلم: أنَّ مَنْ أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورةِ وُجُوبه: كفر،** مثل لو أنكر وجوب الزكاة، واعتقد أنها غير واجبة؛ فإنه يكفر، وكذا لو أنكر وجوب الصوم، أو وجوب الحج: فهو كافرٌ؛ لأن هذه أمور معلوم من الدين بالضرورة وجوبُها؛ إذْ لَمْ يخالف أحدٌ في وجوب الصلاة، أو في وجوب الزكاة، أو في وجوب الصوم، أو في وجوب الحج.

- **لكن لو أنكر إنسان وجوبَ الوضوء من أكل لحم الإبل[١]، هل يكفر؟**

■ **الجواب:** لا يكفر؛ لأن انتقاض الوضوء بأكل لحم الجزور فيه خلاف بين أهل العلم؛ **فبعضُ العلماء:** يرى الوضوء منه، **وبعضهم:** لا يرى ذلك، فهذه مسألة خلافية، وليستْ وفاقيّة، لكن لم يقل أحد: إن الصلاة غير واجبة، فإنهم أجمعوا على وجوبها، كما أجمعوا على وجوب الزكاة، والصوم، والحج، وأجمعوا على تحريم الخمر، والزنا، والربا، وعقوق الوالديْن، وقطيعة الرحم والغيبة، والنميمة، فكل هذه الأمور معلوم من الدين بالضرورة إمَّا إيجابها، أو تحريمها؛ فَمُنْكِرُ ذلك: كافرٌ بإجماع أهل الإسلام.

- **كذلك لو أنكر تحريم الدخان،** فقال: الدخان ليس بحرام، فلا يكفر.

(١) وذلك لحديث النبي ﷺ الذي أخرجه مسلم (٣٦٠)، وغيره في الوضوء من لحوم الإبل.

● **مسألة: لماذا إذا أنكر تحريم الخمر يكفر، وإذا أنكر تحريم الدخان لا يكفر؟**

■ **الجواب**: لأن الخمر مجمع على تحريمها، وأما الدخان ففيه شبهة؛ لأن هناك من يُفتي بإباحته، فتحصل له الشبهة بذلك، وإلا فالصواب أن الدخان حرام، وأنه لا شك في تحريمه ـ لمن تأمل ـ؛ لأنه ضار بالصحة، والمال، والبدن، ولأنه مُنتن الرائحة، ولأن فيه من تضييع المال ما فيه، ومن الناس من يرى أنه يُسكر؛ وذلك أنه إذا تأخر عَنْ شُرْبِهِ ثم شَرِبَهُ فإنه يحصل له غيبوبة، وهذا نوعٌ من السكر، لكن متعاطيه له شبهة، فلا يكفر.

**فالحاصل**: أنه إذا أنكر أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وجوبه أو تحريمه: فإنه يكفر.

**الحالة الثانية**: أن يترك الصلاة مع الإقرار بوجوبها، فيعتقد أن الصلاة واجبة، ومفروضة، ويرى أنه مستحق للعقوبة بِتَرْكِها، لكنه تركها كسلاً وتهاوناً، فهل يكفر أو لا يكفر؟

هذا محل خلاف بين الأئمة، فالإمام أحمد يرى أنه يكفر ولو لم يجحد وجوبها، ولهذا قال: (ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله).

القول الأول: الذي ذهب إليه الإمام أحمد بتكفير تارك الصلاة كسلاً؛ هو الذي أجمع عليه الصحابة، وأشار الإمام أحمد إلى الإجماع الذي نقله عبدالله بن شقيق العقيلي التابعي الجليل الذي يقول: «**ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/٧)، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ونقل الإجماع أيضاً إسحاق بن راهويه(١)، والإمام أبو محمد بن حزم(٢)، فقالوا: إجماع العلماء على أن ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً يكون كفراً مخرجاً من الملة. **فإذن**: قد أجمع الصحابة على هذا.

وكذلك روى الحاكم في مستدركه أن ترك الصلاة كفر، عن بعض الصحابة(٣).

**فمن أدلة من يقول بكفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً:**

١ - قول عبدالله بن شقيق المتقدم.

٢ - حديث بريدة بن حصين ﷺ الذي رواه الإمام البخاري أن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»(٤) والذي يَحْبط عملُه هو الكافر. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥].

٣ - ما رواه الإمام مسلم أيضا من حديث جابر بن عبدالله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة**»(٥)، فجعل ترك الصلاة حدًا فاصلًا بين الإسلام وبين الكفر، والبينة التي تفصل ما بين الشيء والشيء.

٤ - استدلوا بالحديث الذي رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن بسند جيد، أن النبي ﷺ قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٦)، فجعل الصلاة حدًا فاصلًا بين أهل الإيمان والكفر.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٢٩٢). (٢) المحلى (٢/ ٢٤٢).

(٣) مثل أبي هريرة، وبريدة ﷺ، وسيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في الأحاديث القادمة.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه مسلم (٨٢)، من حديث جابر بن عبدالله ﷺ.

(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٦، ٣٥٥)، وابن حبان (١٤٥٤)، =

٥ ـ استدلوا أيضاً بحديث: **«من ترك صلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله»**(١).

٦ ـ استدلوا أيضا بحديث: النهي عن الخروج على الأمراء، قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ نهى عن الخروج على الأمراء، وفيه **«إلا أن تروا كفرا بواحاً عندكم من الله فيه برهان»**(٢)؛ يعني: واضحاً لا لبس فيه.

ثم قال في الحديث الآخر الذي رواه الإمام مسلم، من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنه ﷺ قال: **«خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم»** ـ يعني: تدعون لهم ويدعون لكم ـ **«وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»**، قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: **«لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»** قال: **«لا ما أقاموا فيكم الصلاة»**(٣) فنهى عن الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة، فدل على أنهم إذا لم يقيموا الصلاة فيجوز الخروج عليهم.

**فإذا ضممت** هذا الحديث: **«لا ما أقاموا فيكم الصلاة»** وفي لفظ: **«لا ما صلوا»**(٤) مع أحاديث النهي عن الخروج على الأمراء **«إلا أن تروا كفرا بواحا»**: دل على أن ترك الصلاة كفرٌ بواح.

---

= والحاكم في المستدرك (١/ ٦، ٧)، وصححه، ووافقه الذهبي، والدراقطني (٢/ ٥٢)، والبيهقي (٣/ ٣٦٦)، من طرق عن الحسين بن واقد به.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٣٨)، وفيه انقطاع فعبدالرحمن بن جبير بن نفير لم يدرك معاذاً، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ١٥٦)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وفيه عمر بن واقد متروك الحديث وله شاهد عن أبي الدرداء رضي الله عنه أخرجه بنحوه البخاري في الأدب المفرد (١٨)، وابن ماجه (٣٣٧١)، (٤٠٣٤)، وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف، وأخرجه أحمد في المسند (٦/ ٤٢١)، وعبده بن حميد (١٥٩٤)، والبيهقي في السنة (٧/ ٣٠٤)، وفي الشعب (٧٨٦٥)، وفيه مكحول وهو لم يسمع من أم أيمن، انظر: الإرواء (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٤).

٧ ـ إجماع الصحابة، فيما نقله إسحاق بن راهويه وابن حزم.

٨ ـ المرويات من نصوص بعض الصحابة في أن ترك الصلاة كفر، كما عند الحاكم في مستدركه.

القول الثاني: ذهب بعض الفقهاء المتأخرين إلى أن ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً لا يكون كفراً أكبر، وإنما يكون كفراً أصغر، **واستدلوا** بأن معه شعبة من شعب الإيمان، وهي التصديق، وقالوا: كيف نجعله مثل المكذب، فالمكذب هذا جاحد كافر، وهذا مؤمن يصدق بالصلاة ويشهد أنها واجبة، لكنه تركها كسلاً، فَمِثْلُ هذا لا يكفر؛ لأن معه شعبة من شعب التصديق، ولأن الصلاة عمل، فلا يكون كفره كفراً مخرجاً من الملة، بل كفراً أصغر ـ وهذا حُكمه أن يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل حداً، وإذا قُتِلَ فإنه يُصلى عليه؛ لأنه قُتل حداً.

هذا ما ذهب إليه كثير من الفقهاء المتأخرين من الشافعية، والحنفية، والمالكية، والحنابلة، يرون أن ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً؛ لا يُخرج من الملة.

**لكن أي القولين أصوب؟**

□ **الترجيح**: نجد الله تعالى يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، ونحن إذا رددنا هذه المسألة إلى النصوص، وجدنا أن النصوص تؤيد القول الأول، وهو القول بكفر تارك الصلاة كَسَلاً وتهاوناً.

- وحكم الحاكم عند أهل العلم يرفع الخلاف، فإذا رُفِعَ إلى القاضي رجل لا يصلي، فنقول:

إن حكم عليه بالكفر الأكبر وقتله على أنه مرتد؛ فإنه يكون مرتداً.

وإن حكم عليه بأنه يقتل حداً يكون كفره كفرا أصغر؛ لأن القاعدة عند أهل العلم أن حكم الحاكم، يرفع الخلاف.

• **مسألة: إذا قلنا بأنَّ تارك الصلاة يكفر، فهل يكفر بترك الصلوات كلها، أو بترك بعضها؟**

■ **الجواب: في هذه المسألة قولان:**

**القول الأول:** أنه لا يكفر حتى يترك الصلوات كلها، أما إذا كان يصلي ويترك فلا يكفر.

**القول الثاني:** أنه يكفر ولو ترك فرضاً واحداً عامداً متعمداً؛ فإذا ترك فرضاً واحداً متعمداً حتى خرج الوقت، وليس له عذر في ذلك؛ أي: ليس متأولاً، ولا ناسياً ولا نائماً نوماً يُعذر فيه، قالوا: بكُفْرِه.

**وعلى هذا:** فالذي يؤخر صلاة الفجر ولا يصليها إلا بعد شروق الشمس متعمداً، فإنه يكفر على هذا القول؛ لأن بعض الناس يضبط الساعة على وقت العمل، ولا يستيقظ إلا بعد شروق الشمس، ويستمر على هذا الأمر ويعتاده، حتى إنه إذا نُبِّهَ وَحُذِّر، لم يلْتفتْ ولم يكترث. فمثل هذا كَفَّرَهُ جمع من أهل العلم، منهم سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز؛ أفتى بأن الذي يؤخر الصلاة عن وقتها باستمرار، بحيث يكون ذلك ديدنه وعادته؛ فإنه يكفر ـ والعياذ بالله ـ.

فالأمر في هذا جدٌّ خطير. فالواجب على المسلم أن تشتد عنايته بالصلاة، وأن يحافظ عليها، وأن يؤديها في وقتها، ويؤديها في الجماعة، ويحرص على الخشوع، وحضور القلب، والطمأنينة، ومتابعة الإمام؛ لأن الصلاة هي آخر ما يُفقد من الدين، ولأن **حظ المسلم من الإسلام على قدر حظه من الصلاة**، ولأن من حافظ على الصلاة، فإنه لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وليس بعد ذهابها إسلام ولا دين، ولأن المسلم إذا أقام الصلاة وأداها وأقامها كما أمر الله، نهته عن الفحشاء والمنكر، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العَنكبوت: ٤٥].

### العمل مع تارك الصلاة:

من ترك الصلاة فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل كفراً، وحينئذ لا يُغسّل، ولا يصلى عليه، ولا يُدفن مع المسلمين في مقابرهم، بل تُرمى جيفته كجيفة الحمار أو الكلب ـ والعياذ بالله ـ، ويحفر له حفرة حتى لا يؤذي الناس بنتنه.

### صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة واجبة لا يجوز للمسلم أن يتخلف عن الجماعة إلا من عذر، ومن تخلف عنها من غير عذر فقد تشبه بالمنافقين.

**ـ الأدلة:**

١ ـ قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**من سمع النداء ثم لم يجب فلا صلاة له إلا من عذر**»(١).

٢ ـ ثبت أن رجلا أعمى سأل النبي ﷺ ـ وهو عبدالله بن أم مكتوم ـ فقال: يا رسول الله إني رجل ضرير البصر، ولي قائد شاسع الدار يلائمني، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «**هل تسمع النداء قال: نعم، قال: لا أجد لك رخصة**»(٢)، وفي الصحيح: أنه رخص له أولًا ثم رده ثانيًا. فقال: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم: قال: «**فأجب**»(٣).

**وجه الدلالة:**

إذا كان النَّبِيُّ ﷺ لا يجد رخصة لهذا الأعمى الضرير، الذي ليس له

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٦٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٥٢)، وابن ماجه (٧٩٢)، وأحمد (٣/ ٤٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٨٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٧، ٣/ ٦٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٦٥٣).

قائد يلائمه، فكيف يجد الإنسانُ لنفسه رخصةً وهو صحيح ليس به علة؟!

٣ ـ في السنن أنه ﷺ قال: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان**»(١).

٤ ـ همَّ النبي ﷺ أن يحرق بالنار بيوت قوم لا يشهدون الجماعة، فقال: «**لقد هممتُ أن آمُرَ بحطب ليحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم**»(٢) يعني: بيوتهم.

٥ ـ ثبت عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «**من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»(٣)، ثم قال: «**ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف**».

**وجه الدلالة:**

أ ـ في قوله: «**لو تركتم سنة نبيكم لضللتم**»، فهذا دليل على أن من ترك الجماعة يقال له: ضال، وفي رواية: «**لكفرتم**». لكنَّ فيها ضعفاً(٤).

ب ـ فيه: دليل على أن الصحابة كانوا يحرصون على الجماعة، حتى إن المريض يُهَادَى بين اثنين حتى يقام في الصف.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، واللفظ له، والنسائي (٢/١٠٦- ١٠٧)، وأحمد في المسند (٥/١٩٦، ٦/٤٤٦)، وابن خزيمة في صحيحه (١٤٧٦)، وابن حبان (٢١٠١)، والحاكم في المستدرك (١/٢١١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤)، واللفظ له، ومسلم (٦٥١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٦٥٤/٢٥٧).

(٤) أخرجها أبو داود (٥٥٠)، وفي سندها المسعودي، وهو ضعيف؛ لاختلاطه، ومحمد بن وضاح مجهول الحال.

ج ـ فيه: أن التخلف عن الجماعة من علامات النفاق، ولهذا قال ﷺ: «**ولقد رأيتُنا ـ** يعني: معشر الصحابة ـ **وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق**»، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا**»(١).

فالجماعة والاجتماع في الصلاة شأنه عظيم؛ لأن فيه إظهار لهذه الشعيرة العظيمة.

وفيه اجتماع المسلمين وتآلفهم، وترابطهم، وتعاونهم، والتراحم بين المسلمين.

والائتلاف والاجتماع مَظْهَرُ قوةٍ أمام الأعداء، فهذه من محاسن الشريعة.

ـ ومِنْ أَسَفٍ أن هذه الصلاة أضاعها كثيرٌ من الناس، وتهاونوا بها، وجعلوها من آخر أمورهم اهتماماً؛ بحيث يصلونها في أوقات فراغهم!!.

فالصحابة والسلف ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يعتنون بها عناية عظيمة، وكان كثير من السلف يحرص على تكبيرة الإحرام ألا تفوته، فكانت تمضي عليه مدة لم تفته تكبيرة الإحرام.

لكن ابتلي الناسُ في هذا الزمن بالعوائق والصوارف التي تصرف الناس عن الصلاة، وخصوصاً صلاة الفجر، فلا تكاد تجد المحافظين على صلاة الفجر إلّا قلة؛ بسبب ما ابتلي الناسُ به من السهر على آلات اللهو، ومشاهدة القنوات الفضائية، والشبكة المعلوماتية، وما يُنشر فيها من الشرور، والبلاء، والفتن، والتشكيك في دين الإسلام، والتفسخ، والعُري، وتعليم الإجرام، والزندقة. فهذه الأمور كلها سبب

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١/ ٢٥٢)، واللفظ له من طريق أبي هريرة ﷺ.

في تضييع صلاة الفجر وتأخيرها عن وقتها، وسبب في انتشار الفساد الخُلقي، وحلول الشرور والفتن، التي تنذر بخطر وشر كثير، إن لم يتدارك الناس أنفسهم، وإن لم يتدارك ذلك العقلاء ويأخذوا على أيدي السفهاء؛ فأعداء الإسلام والمفسدون، باتت بأيديهم مفاتيح الشرور، والتي منها هذه القنوات الفضائية التي يُشاهدها الناس، وفيها مواقع للتشكيك في دين الإسلام، ومواقع تدعو إلى النصرانية، ومواقع تدعو إلى الرذيلة، والتفسخ والعري، ومواقع تُفسد العقيدة، وتؤثر على عقائد الناس وتصوراتهم، حتى يعتقدوا الباطل ويعتنقوه، ويعتقدوا ما يخالف الحق، إلى غير ذلك من الشرور والفتن، فنسأل الله أن يعصمنا وإياكم جميعاً من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

* **والواجب على المسلم في وقت الفتن**؛ أن يُقبل على العلم الشرعي، وعلى العبادة، فذلك ممّا يعصمه من الفتن، **فالعصمة من الفتن إنما تكون بـ:**

١ ـ لزوم الكتاب والسنة، والاعتصام بهما.

٢ ـ لزوم العبادة.

٣ ـ لزوم أهل الخير، والبُعد عن الأشرار.

٤ ـ البعد عن مَواطن الشر والفتن وأسبابهما؛ وذلك بتطهير البيت من هذه الآلات والأجهزة الخبيثة، والبعدُ عن مواقع البث السيئة.

٥ ـ تواصي الناس بالحق، وحث الناس بعضهم بعضاً على الخير، وتحذيرهم من الذنوب والآثام، حتى يسلموا من هذه الإِحن والفتن؛ **لأن من آثار الاستمرار على الشرور والفتن:**

حصول العقوبات والمصائب، والنكبات، وحلول المَثُلات؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أَوْشَكَ اللهُ أن يعمهم**

**بعقابه»**[١].

فنسأل الله أن يكفينا الشرور والفتن، وأن يعصمنا منها، فإنّ العقوبات والمصائب والنكبات كلها من آثار الذنوب والمعاصي، وإلّا فما الذي أخرج الأبوين من الجنة؛ دار اللّذة والسرور؛ إلّا الذنوب والمعاصي.

وما الذي أغرق أهل الأرض في زمن نوح، حتى علا الماء على رؤوس الجبالِ؛ إلا الكفر والذنوب والمعاصي.

وما الذي أهلك عاداً بالريح العقيم؛ إلّا الذنوب والمعاصي: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات: ٤٢].

وما الذي أهلك ثمود بالصيحة، حتى تَقَطَّعَتْ أمعاؤهم في أجوافهم؛ إلّا الذنوب والمعاصي.

وما الذي أغرق فرعون وقومه، إلا الذنوب والمعاصي.

وما الذي أرسل على بني إسرائيل قوماً تسلطوا عليهم، فجاسوا خلال الديار، وخرَّبوها، ونهبوا الأموال؛ إلا الذنوب والمعاصي.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها مرفوعاً: **«لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»**، وحلّق بأصبعيْه: الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: **«نعم إذا كثر الخبث»**[٢].

وَالخَبَثُ: المعاصي. فنسأل الله لنا جميعاً الثبات على دينه والاستقامة عليه حتى الممات؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٩)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٤)، من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٨٠).

## أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم

**وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة، علي بن أبي طالب، وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام، ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون، أبو بكر وعمر وعثمان، ثم نسكت)[1]، ثم من بعد أصحاب الشورى أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة، أولا فأول.**

### الشَرح

**المقرر والمعتمد عند أهل السنة والجماعة:** أنَّ خير هذه الأمة بعد نبيها؛ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، وأنَّ هؤلاء الثلاثة مقدمون على سائر الصحابة، كما قدمهم رسول الله ﷺ، لم يختلفوا في ذلك.

لكن عيسى - عليه الصلاة والسلام - إذا نزل في آخر الزمان يكون أيضا من أفراد هذه الأمة ولذلك يقال: **خير الأمة بعد نبيها؛ نبي الله عيسى، ثم يليه الصديق فهو خير الأمة بعد الأنبياء.**

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥).

ثم بعد هؤلاء الثلاثة، علي بن أبي طالب وهو الرابع، كانوا يُرَبِّعُونَ بعلي بن أبي طالب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (**يُثَلِّثُون بعثمان ويربعون بعلي**)[١]، فهؤلاء الأربعة هم أفضل الناس.

**وترتيبهم في الفضيلة، كترتيبهم في الخلافة**: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

- وقد كان هناك خلاف بين السلف في تقديم عثمان على عليٍّ، من جهة الفضل، وروي عن الإمام أبي حنيفة[٢] تقديم علي على عثمان في الفضيلة لا في الخلافة، وروي عنه: أنه رجع ووافق الجمهور، **فكان ذلك إجماعا على تقديم عثمان على عليٍّ** رضي الله عنهما، وهذا الخلاف المشار إليه، إنما هو في الفضيلة، ولكن جماهير الصحابة على تقديم عثمان على عليٍّ أيضا في الفضيلة، أما الخلافة فلا يقدم أحدٌ علياً على عثمان أبداً.

- من قَدَّم عليًا على عثمان رضي الله عنهما في الخلافة فهو ضال عند أهل السنة والجماعة، ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: (**من قَدَّم علياً على عثمان فهو أضل من حمار أهله**)[٣]؛ يعني: الذي يُقدِّم علياً على عثمان في الخلافة، وقال رحمه الله: (**من قدم عليًّا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين**)[٤]، يعني: احتقر رأيهم، لأن المهاجرين والأنصار أجمعوا على تقديم عثمان في الخلافة، ولهذا لما تشاور الستة الذين جعل عمر رضي الله عنه فيهم الخلافة، وجُعل الأمر لعبدالرحمن بن عوف، وصار يشاور الناس ثلاث ليال، ولما حضر الناس والمهاجرون والأنصار ووجهاء

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣) ومواضعُ أخر.
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٢، ٣٥٧) ومواضعُ أخر.
(٤) العقيدة الواسطية.

الناس، تَشهَّد عبدالرحمن بن عوف، وحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: يا علي إني رأيت وجوه الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن لنا لنفسك عليك سبيلاً، ثم قام وبايعه، وبايعه المهاجرون، والأنصار، والأمراء، والأجناد، وتمت له البيعة.

فهذا إجماع على تقديم عثمان على علي في الخلافة، ولم يخالف في هذا أحد، ما عدا الرافضة، لكنهم أهل بدعة، فلا يأخذ بقولهم، ولا يلتفت إلى خلافهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة) وهم الخمسة الذين سيذكرهم المؤلف، ومعهم عثمان، فيكونون ستة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

فهؤلاء جعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأمر شورى بينهم، لما طُعن، وقال: كلهم يصلحُ للخلافة وكلهم إمام.

وذهب الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في التثليث بعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتربيع بِعَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (**كنا نعد ورسول الله ﷺ حي، وأصحابه متوافرون، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت**)[1]، قال عبدالله بن الإمام أحمد في السُنة: سألتُ أبي عن التفضيل بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي؟ فقال أبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أبو بكر وعمر وعثمان، وعلي الرابع من الخلفاء**)، قال: قلت لأبي: (إن قوما يقولون إنه ليس بخليفة؛ يعني: علياً، قال: (**هذا قول سوء رديء**)، وقال: (**أصحاب رسول الله ﷺ يقولون له: «يا أمير المؤمنين» أفنكذبهم وقد حج بالناس عليٌّ، وَقَطَعَ وَرَجَمَ، وأقام الحدود، وقطع يد السارق ورجم الزاني؟! فلا**

(١) كما روى ذلك عن الإمام أحمد: الخلال في السنة (٥٠٧) وخبر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سيأتي.

يكون هذا إلا خليفة)، قلت لأبي: من احتج بحديث عبيدة أنه قال لعلي: رأيك في الجماعة أحب إلي من رأيك في الفرقة، فقال أبي: (**إنما أراد أمير المؤمنين بذلك أن يضع نفسه بتواضع**)[١]، فعليٌّ بايعه أكثر أهل الحل العقد، فثبتت له البيعة.

وامتنع معاوية وأهل الشام؛ لأنهم طالبوا بدم عثمان، بل لأنه ليس أهلاً للخلافة، فكانوا مُقرّين بالخلافة لعليّ، لكن كانوا يطالبون بدم عثمان أولاً، وبعد الاقتصاص من القتلة، يبايعون علياً.

ـ قال أبو حاتم، وأبو زرعة في ذكر الاعتقاد الذي أجمع عليه أهل الأمصار: (**وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب ﷺ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون**).

ـ وقال البربهاري في شرح السنة: (**قال طعمة بن عمرو، وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي، من وقف عند علي وعثمان فهو شيعي لا يعدل ولا يكلم ولا يجالس، ومن قدم عليا على عثمان فهو رافضي، قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ ومن قدم الأربعة على جميعهم، وترحم على الباقين،وكف عن زللهم فهو طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب**)[٢].

○ قال المصنف ﷺ: (ثم بعد أصحاب الشورى أهل بدر من المهاجرين ثم أهل بدر من الأنصار): يكون الباقي من أهل الشورى ـ دون عثمان، وعلي بن أبي طالب ـ أربعة، فيكون أفضل الناس بعد الأنبياء: الخلفاء الأربعة، مع من بقي من أهل الشورى، وهم أربعة، فيكون مجموعهم ثمانية.

---

(١) السنة (٢/ ٥٧٤) رقم (١٣٤٩، ١٤٠١).
(٢) السنة البربهاري (١/ ٥٨).

ويضاف إليهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، فيكون أفضل الأمة بعد نبيها، العشرة المبشرين بالجنة، أفضلهم: الخلفاء الراشدون الأربعة، وهم أفضل الصحابة على الإطلاق. ولما ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنّ خير هذه الأمة بعد نبيها هؤلاء الثلاثة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ـ لم يذكر علياً، لأن فيه خلافاً في مذهب أبي حنيفة، يعني: في المفاضلة بين علي وعثمان ـ، واستدلَّ بحديث ابن عمر: (كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم نسكت)(١)، وهذا حديث صحيح.

وثبت أن النبي ﷺ بشر هؤلاء قال: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة عامر بن الجراح في الجنة**»(٢) فهؤلاء هم العشرة المشهود لهم بالجنة.

- **ثم يليهم: الذين شهدوا بدراً وهم قسمان:**

١ ـ مهاجرون.

٢ ـ أنصار.

فالمهاجرون أفضل، ثم يليهم الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على قدر الهجرة والسابقة أولاً، وهم متفاوتون، الذين حضروا بدراً مِمَّنْ تقدم إسلامه، ومنهم من تأخر، وإن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وأبو داود (٤٦٢٧)، والترمذي (٣٧٠٧)، وأحمد في المسند (٢/ ١٤) وغيرهم.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال: حسن، والنسائي (١٠٠)، وابن ماجه (١٣٣)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وفي الباب عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

كان شهودهم لها جميعاً في السنة الثانية من الهجرة، لكن بعضهم تقدّم إسلامه، مثل الصديق، وعمر، وعثمان، وبعضهم أسلم متأخرا.

فمن سبق للإسلام: كان أفضل، ومن تقدمت هجرته: كان أفضل.

والأنصار الذين حضروا بدراً يتفاوتون في السابقة، فمن سبق إسلامه: فهو أفضل.

## فصل

**ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم، وكل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه نظرة.**

**فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل لصحبته من التابعين، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة، ولو عملوا كل أعمال الخير.**

### الشَّرح

- **ثم يلي أصحاب بدر**: أهلُ بيعة الرضوان، لم يذكرهم المؤلف وهم الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، وكانوا: ألفا وأربعمائة، وفي بعض الروايات ألف وخمسمائة، **والصواب**: أنهم ألف وأربعمائة وكسر، ومن قال: ألف وأربعمائة حذف الكسر، ومن قال: ألف وخمسمائة جبر الكسر.

● **مسألة: هل أهل بدر يلون العشرة المبشرين بالجنة، أو أهل بيعة الرضوان؟**

■ **الجواب**: **قيل**: أهل بدر أولا، ثم أهل بيعة الرضوان.

وقيل: أهل بيعة الرضوان ثم أهل بدر، ثم بعد ذلك بقية الصحابة؛ ولهذا قال الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم، وهم الصحابة).

**ومن المشهود لهم بالجنة**: الحسن والحسين، شهد لهم النبي ﷺ قال: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(١).

كذلك ابن عمر رضي الله عنهما، قال له ﷺ: «**لن تراع**» لما رأى الرؤيا وأنه يذهب به إلى النار(٢).

وكذلك ثابت بن قيس رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] جلس في بيته وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد ابن معاذ رضي الله عنه فقال: «**يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى؟**» قال سعد: إنه لَجَاري وما علمت له بشكوى قال: فأتاه سعد، فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**بل هو من أهل الجنة**»(٣).

كذلك عكاشة بن محصن رضي الله عنه شهد له النبي ﷺ بالجنة(٤).

بلال رضي الله عنه مشهود له بالجنة(٥).

عبدالله بن سلام رضي الله عنه مشهود له بالجنة(٦).

الرميصاء أم أنس رضي الله عنها مشهود لها بالجنة(٧).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) وقال هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٣/ ٣)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٩٦)، وأبو يعلى في مسنده (١١٦٩)، والطبراني في الكبير (٢٦١١، ٢٦١٢، ٢٦١٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٥٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٦-١٦٧)، وقال هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة)، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي الباب عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) (٣٦٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٥٧).

(٦) أخرجه البخاري (٣٨١٢، ٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٣، ٢٤٨٤).

(٧) أخرجه مسلم (٢٤٥٦).

‹ قال الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: (وكل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه نظرة).

لاشك أنَّ الصحابة يتفاوتون في الصحبة، فالذي صحب النبي ﷺ عشر سنين؛ أفضل من الذي صحبه تسع سنين، والذي صحبه ثمان سنين؛ أفضل من الذي صحبه سبع سنين، والذي صحبه سنة؛ أفضل من الذي صحبه شهراً، والذي صحبه شهراً؛ أفضل من الذي صحبه يوماً أو يومين، **وعلى كل حال**: فإن الصحبة تحصل لمن لقي النبي ﷺ؛ مؤمنا به، ومات على ذلك، ولو لحظة.

**فالصواب في تعريف الصحابي** ـ كما ذكر ذلك الحافظ بن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أنه: من لقي النبي ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام ولو تخللته ردة[(١)].

فالقول بأنه: من لقي النَّبِيّ ﷺ مؤمناً، هذا أولى من التعريف بأنه: «**من رآه**»؛ حتى يشمل ذلك: العميانَ، الذين لم ير النَّبِيّ ﷺ لكن لقيه، فالتعبير بـ (لقي) أشمل.

وتشمل الصحبةُ، أطفال الصحابة الذين حَنَّكَهُم النبي ﷺ ورأوه، فالأطفال الذين رأوا النَّبِيّ ﷺ صحابةٌ، كمحمود بن الربيع قال: (عقلت من النبي ﷺ مجةً مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلوٍ)[(٢)] كذلك عبدالله بن طلحة؛ حَنَّكُه النَّبِيّ ﷺ[(٣)]؛ فهو صحابي صغير.

---

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (١/ ١٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (٧٧)، ومسلم (٣٣/ ٢٦٥)، وأحمد (٥/ ٤٢٧)، وغيرهم.
(٣) أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤)، وأبو داود (٤٩٥١).

## مذهب أهل البدع في الصحابة:

وأما أهل البدع، فإنهم على خلاف معتقد أهل السنة والجماعة، أهل البدع طائفتان:

الطائفة الأولى: **الروافض**؛ الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما سألوه عن أبي بكر وعمر فقال: هما وزيرا جدي رسول الله ﷺ فرفضوه، فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا الرافضة، وكانوا قبل ذلك يسمون الخشبية، لأنهم يقاتلون بالخشب، ولا يقاتلون بالسيف حتى يخرج المهدي.

والروافض قد غلوا في أهل البيت، وعبدوهم من دون الله، وكَفَّروا الصحابة، وسبوهم وعادوهم، وتكفيرُ الصحابة ومعاداتهم تكذيب لله؛ **لأن الله زكاهم وعدلهم ووعدهم الجنة**:

١ - قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] وهي الجنة.

٢ - وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وصحه الدليل التالي:

٣ - وقال ﷺ: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(١).

٤ - وقال ﷻ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

٥ - وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] ثم قال في آخر الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٥٠)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أم مبشر أخرجه مسلم (٢٤٩٦) وغيره.

﴿مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]

- فمن كفرهم فقد كذب الله، ومن كذب الله كفر.

**فعلى هذا** يكون الروافض كذبوا الله في تعديل الصحابة ووعدهم بالجنة فيكونون كفارا.

- ويزعمون أن الصحابة كفروا وارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ وأن النبي ﷺ نص على الخلافة وأنهم أخفوا النصوص، فيزعمون أن النبي ﷺ نص على أن الخليفة بعده علي أبي طالب، ثم الخليفة الثاني الحسن، ابنه الحسن بن علي، ثم الخليفة الثالث الحسين بن علي ثم الباقي من نسل الحسين، ثم علي بن الحسين زين العابدين الرابع، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الثاني عشر محمد بن الحسن الخلف الحجة المهدي المنتظر الذي دخل سرداب سامراء في العراق سنة ستين ومائتين، ولم يخرج إلى الآن.

هؤلاء يقولون: أئمة منصوصون معصومون، نص عليهم النبي ﷺ ولهم العصمة، لئلا يخلى الله العالم من لطفه ورحمته، قالوا إن النبي ﷺ نص على أن هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر، ولكن الصحابة كفروا وارتدوا وأخفوا النصوص وولوا أبا بكر وعمر زورا وبهتانا، ثم ولوا عثمان زورا وبهتانا، ثم وصلت النوبة إلى الخليفة الأول علي، وهذا تكذيب لله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم ووعدهم الجنة. وهذا كفر وردة.

والعجيب أن محمد بن الحسن الذي يسمونه المهدي مات أبوه عقيما ولم يولد له، وأبوه الحسن مات عقيما، ثم اختلقوا له ولد وأدخلوه السرداب سنة ستون ومائتين وما خرج إلى الآن، وقالوا إن أمر الأمة موقوف على خروجه، وأنه ليس هناك طريق للسعادة ولا دخول الجنة إلا عن طريق هذا الإمام الذي دخل السرداب.

**وعلى هذا يكون أول الأشقياء المعذبين هم: الرافضة**؛ لأنهم ما عرفوا حاله، ولا عرفوا ما يأمر به ولا ما ينهى عنه، فيكونون هم الأشقياء، وكيف يعلق الله أمر الأمة على شخص موهوم، والمرأة إذا تأخر عنها زوجها وغاب عنها زوجها، ورفعت أمرها إلى الحاكم تفسخ، لرفع الضرر عن المرأة، وكيف تجعل الأمة كلها مربوطة بشخص موهوم، لا حقيقة له، ويقال: لا طريق ولا جهاد حتى يخرج المهدي.

وهم يقولون: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي من السرداب وينادي مناد من السماء أن اتبعوه، فالمهدي عند الشيعة خرافة لا حقيقة له؛ لأنه لا وجود له، ومات أبوه عقيما ولم يولد له، ولو قدر أنه موجود كيف يعيش هذه المدة في السرداب وقد مضى عليه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في زمانه أربعمائة سنة[1]، ونحن نقول: مضى عليه ألف ومائتي سنة ولم يخرج إلى الآن، فهو شخص خرافة لا حقيقة له - نسأل الله السلامة والعافية -.

وكذلك هم كذبوا الله في أن القرآن محفوظ؛ فزعموا أن القرآن لم يبق منه إلا الثلث، وأنه ضاع ثلثاه، وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

وهم أيضا يعبدون آل البيت، فيغلون بهم ويعبدونهم من دون الله.

وأما بقية فرق الشيعة كالزيدية وغيرها، فيفضِّلون عليًّا على عثمان رضي الله عنهما وهؤلاء مبتدعة، وعلي رضي الله عنه طلب الذين يسبون أبا بكر وعمر - طلبهم - ليقتلهم، وطلب الذين فَضَّلوه على عثمان ليجلدهم ثمانين جلدة حد المفتري، فمن فضل عليا على عثمان جلده علي رضي الله عنه ثمانين، ومن سب أبا بكر وعمر طلبه للقتل.

(١) الفتاوى (٢٨/ ٤٠١).

ويروى عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أن من سب الشيخين أبي بكر وعمر كفر، وروي عن الإمام أحمد أيضا أنه يكفر من كفر الشيخين أو سبهما(١).

والتكفير للصحابة كُفْر؛ لأنه تكذيب لله.

لكن تكذيب الواحد والاثنين، **أما السب فيه تفصيل**:

أ - إن سبهم لدينهم كفر.

ب - إن سبهم للغيظ الذي في قلبه، فإنه يَفْسُق.

الطائفة الثانية: **النواصب**؛ وهم عكس الروافض، نصبوا العداوة لأهل البيت، وعادوهم، وهم الخوارج.

**فهم على طرفي نقيض**؛ فالروافض عبدوا أهل البيت من دون الله حتى جعلوهم آلهة، والنواصب عادوهم وأبغضوهم وكفروهم.

**ومذهب السلف وسط بين الروافض والنواصب**؛ يحبون أهل البيت ويوالونهم، ولكن لا يعبدونهم من دون الله، ويحبون الصحابة ويوالونهم وينزلونهم منزلتهم اللائقة بهم التي أنزلهم الله إياها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب.

### الخلاصة:

عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الصحابة رضوان الله عليهم خير الناس، وأفضل الناس بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، **أولهم**: الخلفاء الراشدون، **ثم** بقية العشرة المبشرين بالجنة، **ثم** أهل بدر، **ثم** يليهم المهاجرون والأنصار، **ثم** أهل بيعة الرضوان؛ الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفا وأربعمائة.

---

(١) انظر المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ٣٦٣). والإعانة على تقريب الشرح والإبانة (ص٣٩٤).

○ قال المؤلف رحمه الله: (فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال) **المعنى**: أن التابعين الذين لم يروا النبي ﷺ، يكون أدنى الصحابة صحبةً أفضلْ من التابعي الذي لقي الله بجميع الأعمال؛ ولهذا قال: (ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل؛ لصحبته من التابعين) يعني: ولو عمل التابعي كل أعمال الخير؛ فواحد من الصحابة أفضل منه؛ لأن مزية الصحبة خاصة بالصحابة، لا يلحقهم من بعدهم.

قد يفوق بعضُ التابعين بعضَ الصحابة في العمل، والعبادة، كنوافل الصلوات، والتهجد، والصدقات، لكن لا يستطيع أن يصل إلى مزية الصحبة؛ لأن الصحبة خاصة بالصحابة، الذين صحبوا النبي ﷺ وجاهدوا معه، وسمعوا منه، ورأوه، فهؤلاء لهم فضل عظيم؛ لا يناله غيرهم.

فالصحابة أفضل الناس، لا كان ولا يكون بعدهم مثلهم، وهم خير الناس بعد الأنبياء، فلا يمكن أن يلحقهم من بعدهم؛ لأنهم صحبوا النبي ﷺ، وجاهدوا معه، وشهدوا التنزيل، فهم أعلم بمعاني النصوص ممن بعدهم، وبمعاني كتاب الله؛ لأنهم شهدوا نزول القرآن، والنبي ﷺ بين أظهرهم، يفسر لهم القرآن، ويسألونه عما أشكل عليهم، فهذه المزايا لا يلحقهم فيها من بعدهم، ولا يَشْرَكُونَهُمْ فيها، وإن كان الصحابة أنفسهم يتفاوتون فيها.

- **ثم يلي الصحابة في الفضيلة**: القرن الثاني، وهم التابعون، **ثم يليهم في الفضيلة**: القرن الثالث وهم: أتباع التابعين، **والدليل على ذلك**: ما رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١) قال عمران رضي الله عنه: لا أدري أذكر بعد قرنه قرنين

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١) واللفظ له، ومسلم (٢٥٣٥)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

أو ثلاثة.

**والصواب**: قرنان، وأن القرون المفضلة ثلاثة.

وجاء في الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يأتي زمان يغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صحب النبي ﷺ؟ فيقال نعم؛ فيفتح عليه، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال نعم، ثم يأتي زمان فيقال فيكم من صحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال نعم فيفتح**»[1] وهم القرن الثالث.

فهذه القرون تسمى عند أهل العلم: القرون المفضلة، وأفضلها القرن الأول الذي بُعث فيهم النبي ﷺ، وهم الصحابة كما نقدم في حديث: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن**».

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (٢٥٣٢).

## السمع والطاعة للأئمة

والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين والغزو ماضٍ مع الأميرِ إلى يوم القيامة البرِ والفاجرِ لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحدٍ أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا.

الشَّرح

هذا البحث خاص بالأئمة وولاة الأمور، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أصول الدين والسنة عندهم: السمع والطاعة للأئمة، وولاة الأمور.

فمن اجتمع الناس عليه ورَضُوا به، أو من غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، وسُمّي أمير المؤمنين؛ فقد وَلِيَ الأمر وصار خليفة للمسلمين، ووجب له السمع والطاعة؛ براً كان أو فاجراً.

❁ وتثبتُ الولايةُ بواحدة من ثلاثة أمور:

الأول: الانتخاب من أهل الحل والعقد، أو الاختيار.

فإذا انتخبه أو اختاره أهلُ الحل والعقد؛ ثبتت له الخلافة والإمامة.

الثاني: أن يَعْهَدَ إليه الخليفةُ السابقُ بولاية العهد، فتنتقل الخلافة إليه بذلك.

الثالث: أن يغلبهم بسيفه، وقوّته، وسلطانه، حتى يستتب له الأمر، وتثبت له الخلافة بالقوة والغلبة، فهذا أيضا: خليفة للمسلمين.

- **وقد وقع له الخلاف في الطريقة التي ثبتت بها الخلافة لأبي بكر ﷺ:**

**فقال قوم:** ثبتت له الخلافة بالنص الجلي.

**وقال قوم:** بالنص الخفي.

**والصواب:** أنه ثبتت له الخلافةُ بالاختيار والانتخاب، وذلك لما اجتمع الأصحاب في سقيفة بني ساعد، وجاءهم عمر، وعثمان، وأبو عبيدة، فتكلَّم عمرُ، وتكلَّم أبو بكر، وقال: اختاروا عمر، وأبا عبيدة، فقال عمر: (**رضيك الرسول ﷺ لدينه أفلا نرضاك لدنيانا**)[١]، فبايعه وبايعه الناس)، ولو كان هناك نص ما حصل خلاف بين الصحابة، ولا اجتمعوا، ولذكر عمر النص وأبو عبيدة رضي الله عنهما.

- وأما ما ذُكر من أن النبي ﷺ قال للمرأة التي قالت إن لم أجدك؟ قال: «**إن لم تجديني فأتى أبا بكر**»[٢]، وكون النبي ﷺ قدمه يصلي بالناس، قال ﷺ: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**»[٣]، وأنه ﷺ: قال: «**لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا**»[٤]:

**فهذه ليست نصوصاً صريحة** في أنه الخليفة من بعده، وإنما هي إرشاد من النبي ﷺ لاختياره وانتخابه، فالخلافة ثبتت للصديق بالاختيار والانتخاب من أهل الحل والعقد.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٣)، وابن شاهين في شرح مذهب أهل السنة من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٦٠)، ومسلم (٢٣٨٦)، من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٨٣)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، وغيره.

ولا يشترط أن يُبَايعَ كُلٌّ أحد، بل يكفي عنهم العلماء والأعيان والوجهاء ورؤساء القبائل، والباقي تبعٌ لهم.

- الانتخابات - وهي: التي تكون عن طريق الأصوات والمرشحين؛ فتختلط فيها أصوات العقلاء، والمجانين، والنساء، والصبيان - ليست طريقة شرعية.

فالاختيار والانتخاب، إنما هو من أهل الحل والعقد، والعقلاء، والوجهاء، ورؤساء القبائل، والعلماء؛ هؤلاء هم أهل الحل والعقد، وهم الذين يُبَايِعُونَ، والباقي تبعٌ لهم.

## ۞ بم ثبتت خلافة الخلفاء الراشدين؟

١ - ثبتت الخلافة بالاختيار والانتخاب للصديق رضي الله عنه.

٢ - ثبتت أيضاً بالاختيار والانتخاب لعثمان رضي الله عنه.

٣ - ثبتت الخلافة لعلي رضي الله عنه لمَاَّ بايعه أكثر أهل الحل والعقد، وامتنع معاوية رضي الله عنه وأهل الشام؛ لا طلباً للخلافة، وإنما مطالبة بدم عثمان رضي الله عنه، وإلا فإن معاوية لا يقول: إنه أولى بالخلافة من علي رضي الله عنه.

٤ - أما عمر فقد ثبت له الخلافة بولاية العهد من الصديق رضي الله عنهما.

**- ولم تثبت الخلافة بعد ذلك من عهد الخلفاء الراشدين إلى اليوم إلا بأحد أمرين:**

**إما**: بولاية العهد، **وإما**: بالقوة والغلبة.

## ۞ شروط الخليفة الذي يُختار:

لابد أن تتوفر شروطٌ في الخليفة الذي يختار، فمن الشروط:

الشرط الأول: أن يكون مسلمًا.

الشرط الثاني: أن يكون قرشيًا، لقول النَّبِيّ ﷺ: «**الأئمة من**

**قريش»**(١) ولقوله ﷺ ـ كما ثبت في الصحيحين ـ: **«لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»**(٢) ثم قيدها فقال: **«ما أقاموا الدين»**(٣)، فشرط أن يقيموا الدين، وهذا هو الشرط الثالث.

ـ أما إذا لم يوجد من قريش من يقيم الدين، فإنه يُختار من غيرهم.

الشرط الرابع: أن تكون فيه الصفات التي تؤهله للخلافة.

هذا إذا كان الاختيار هو اختيار المسلمين، ولذلك كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ، كلهم من قريش، وكذلك معاوية ﷺ، والدولة الأموية والعباسية.

● **مسألة: من غلب بسيفه.**

■ **الجواب**: من غلب الناس بقوته وسيفه وسلطانه، فقد ثبتت له الخلافة، ولو لم يكن من قريش، **والدليل على هذا**: حديث أبي ذر، قال: **«إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف»**(٤) وفي لفظ: **«ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»**(٥). فالحبشي ليس من قريش، ومع ذلك: وجبتْ طاعته لمَّا تغلَّب.

فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

**وحينئذ**: إذا ثبتت له الخلافة وجب له السمع والطاعة، في طاعة الله وطاعة رسوله؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩] قال العلماء: أعاد الفعلَ في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١١٢)، معلقاً، والنسائي في الكبرى (٥٩٤٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٨٣، ١٢٩)، وغيرهم كلهم من حديث أنس بن مالك ﷺ، وفي الباب عن علي ﷺ عند الحاكم والبيهقي، وعن أبي برزة ﷺ عن أحمد وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٠)، ومسلم (١٨٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٠٠،٧١٣٩).

(٤) أخرجه مسلم (٦٤٨).

(٥) أخرجه البخاري (٦٩٦).

﴿ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يُعِدْهُ مع أولي الأمر؛ لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وهو لا يأمر إلا بطاعة الله.

أما وَلِي الأمر فليست طاعته كذلك، فلم يُعِدْ معه الفعل، فدل على أن طاعة أولي الأمر إنما تكون في طاعة الله ورسوله، ويطاع ولي الأمر في الأمور المباحة، أما المعصية فلا يطاع أحدٌ فيها؛ فقول النبي ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه: «**اسمع وأطع، وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف**» يقيَّد بالنصوص الأخرى، التي فيها تقييد الطاعة بالمعروف، كما في قول النبي ﷺ: «**لا طاعة في المعصية إنما الطاعة في المعروف**»[1].

**فولاة الأمور إنما يُطاعون في طاعة الله ورسوله، وفي الأمور المباحة.**

وليس معنى ألا يطاع ولي الأمر في المعاصي أن الإنسان يتمرد على ولي الأمر، ويخرج عليه، **إنما**: لا يطيعه في خصوص المعصية، لأن فخصوص المعصية لا يطاع فيها أحد، لا ولي الأمر، ولا غيره؛ فإذا أمرك ولي الأمر بشرب الخمر أو الربا، أو قتل نفس بغير حق؛ فلا تطعه في ذلك، لكن ليس معنى ذلك أن تتمرد عليه، وتخرج، وتنقض بيعته، وتؤلب الناس عليه.

وكذلك أمير الجيش، وأمير السرية، لا يطاع في المعصية.

والأب إذا أمر ابنه بالمعصية لا يطيعه، فإذا قال له مثلاً: اشتر دخانًا أو خمرًا، فلا يطيعه.

وكذلك الزوجة لا تطيع زوجَها في المعصية إذا أمرها بها.

وكذلك العبد إذا أمره سيده بالمعصية لا يطيعه، لكن ليس معنى ذلك أن العبد يتمرد على سيده، ولكن لا يطيعه بخصوص المعصية.

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، واللفظ له، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وكذا الحكم بالنسبة للزوجة، والأبناء، والرعية، ليس لهم جميعاً أن يتمردوا على من تجب عليهم طاعتهم، إذا أمروهم بالمعصية، ومع ذلك فلا بد من التلطف والخطاب اللين؛ يعني: يخاطب الأمير بما يليق به، وبما يناسبه، بالرفق واللين، والمناصحة سِرّاً، ويقوم بها أهل العلم، وأهل الحلّ والعقد.

وكذلك يتلطف الأب مع ابنه، والابن مع أبيه في المناصحة، وكذا الزوجة مع زوجها، والعبد مع سيِّده.

ثبت في صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية، وأمر عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوا، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: قد عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطباً فأوقدوا ناراً فلما هموا بالدخول فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض فقال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فراراً من النار، أفندخلها؟ فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً؛ إنما الطاعة في المعروف**»(١)، فهذا وعيد شديد، لو دخلوها؛ لاستمر عذاب الآخرة مع عذاب الدنيا، ولو دخلوها ما خرجوا منها؛ إنما الطاعة في المعروف، هذا أمير الجيش لا يطاع في المعصية.

○ وقول المؤلف رحمه الله: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر) يعني: أن الطاعة واجبة للأمير سواء أكان براً أو فاجراً، فلو كان فاجراً، ولو كان يعمل بعض الكبائر، أو يعمل بعض المعاصي؛ فإنه تثبت له الولاية، ويَجِبُ له السمع والطاعة، ويسمّى: أمير المؤمنين.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠/ ٤٠).

### ۞ الخلاصة:

كل مَنْ ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، بالاختيار والانتخاب، أو بولاية العهد من الخليفة السابق، أو غلبهم بالسيف، حتى صار خليفة، وجب السمع له والطاعة.

- **وكذلك**: فإن الغزو ماضٍ مع الخليفة والأميرِ، وولي الأمر، سواء أكان ملكاً، أو رئيساً لدولة، أو رئيساً لجمهورية، فالغزو معهم للكفار ماض، ولو كانوا فجَّاراً أو عندهم بعض المعاصي، فإنها لا تقدح في ولايتهم، ووجوب طاعتهم.

- **وكذلك**: أمير الجيش يُغْزَى معه، ولو كان عنده بعض المعاصي؛ لأن هذه المعاصي تخصه، والغزو فيه مصلحة للإسلام والمسلمين؛ فنجاهد معه ونقاتل؛ ونقيم الجهاد مع الأمير، ولو كان فاجراً.

- **وكذلك**: وقسمة الفيء يتولَّاها الأمير، **والفيء**: المال الذي يتركه الكفار من دون حرب، **والغنيمة**: المال الذي يأخذونه بعد الحرب؛ كل هذا يقسمه ولي الأمر.

- **وكذلك**: إقامة الحدود إلى الأئمة، ليس لأحدٍ أن يطعن فيهم، ولا ينازعهم، كحد الزاني، وحد السارق، وشارب الخمر، والمبدل لدينه، فهذه الحدود يقيمها وليّ الأمر، ويُعيِّن القضاة، والمحتسبين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليس ذلك إلا إليهم، وليس لأحد أن يطعن فيهم، ولا ينازعهم فيه.

○ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة) **المراد بالصدقات**: صدقات الفريضة، فإذا طلب ولي الأمر الزكاة؛ تدفعها إليه، وحينئذ تبرأ ذمتك، ولهذا قال المؤلف: (نافذة) يعني: صحيحة، من دفعها إليهم أجزأت عنه، براً كان ولي الأمر أو فاجراً.

## الصلاة خلف الأئمة برهم وفاجرهم

**وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّاه جائزة باقية تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم، فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة، لا يكن في صدرك من ذلك شك.**

### الشَّرح

من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن صلاة الجمعة خلف الأمير، وولي الأمر، والملك، ورئيس الدولة: جائزة، تامة: ركعتين؛ من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار؛ مخالف للسنة.

فإذا تولى الإمام وصار يصلي بالناس الجمعة، فإن الناس يصلون خلفه، ولو كان فاجراً، والصلاة خلفه صحيحة، ومن أعادها، فهو مبتدع.

**والحكمة في ذلك**: أن عدم الصلاة خلفه؛ يفضي إلى النزاع والشقاق، وانقسام المسلمين، واختلاف الكلمة، والإسلام متشوف إلى جمع الكلمة، وإلى الائتلاف، فلو كان بعض الناس لا يصلي خلفه ويقول: إنه فاسق أو عاص، فإن هذا مدعاة إلى التفرق، وحصول النزاع، والانقسام؛ مِمَّا قد يُطمِّع أعداءهم فيهم.

وكان الخلفاء والأمراء في زمن الدولة الأموية، والعباسية، هم الذين يتولون الإمامة، ويصلون بالناس، وكان بعضهم مع هذا عاصياً، فكان الصحابة وكذلك التابعون، يصلون خلفهم.

وكذلك إذا صَلَّى الأميرُ الذي ولَّاه الخليفة أو الإمام، فإنه يُصَلَّى خَلْفَهُ، مثل ما وَلَّى عبدُ الملك بن مروان: الحجاجَ على العراق، وصار الحجاج يصلي بالناس الجمعة، والجماعة، والعيدين، والصحابة يصلون خلفه.

وكما صلى الصحابةُ خلف الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه - وأخوه من أمه - وكان فاسقاً يشرب الخمر، ويصلي بهم وكان الصحابة يصلون خلفه، وكان أميرَ الكوفة، فصلى بهم مرة الفجر وهو سكران، ولم يعلموا أنه سكران، فلما صلى ركعتين التفتَ فقال: هل تريدون أن أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة، ثم أعادوا الصلاة، ثم جلده أمير المؤمنين؛ جَلَدَه الحَدَّ: ثمانين[1].

فالصحابة رضي الله عنهم، كانوا يصلون خلف الولاة والأمراء، ولو كانوا فسقة.

○ قال المؤلف رحمه الله: (وصلاة الجمعة خلفه جائزة، وخلف من وَلَّاهُ جائزة، باقية تامة، ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة) وإنما كان مبتدعاً؛ لأنه خالف الجماعة، وتسبب في الفرقة، وخالف الأحاديث والسنة التي دلت على مشروعية الصلاة خلفهم.

فمثل هذا ليس له من فضل الجمعة والجماعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة: برهم وفاجرهم.

○ قال رحمه الله: (فالسنة أن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة)؛ أي: يعتقد ديناً أنها صحيحة، وأن هذا دين، ولهذا قال: (لا يكن في

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود (١٧٠٧) والقصة في الاستيعاب لابن عبدالبر وأن الذي من قول ابن مسعود هو: «ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم»، انظر (٤/ ١٥٥٤-١٥٥٥).

صدرك من ذلك شيء) **وعلى هذا:** فمن أعاد الصلاة أو من لم يصل خلفهم، فهو مبتدع عند أهل السنة والجماعة.

● مسألة: **هل تصح الصلاة أو صلاة الجمعة، خلف الفاسق؛ غير الإمام؟**

■ **الجواب:** هذا فيه تفصيل، **فالمسألة على حالتين:**

الحالة الأولى: إذا لم تُوجَد إلا هذه الجمعة في البلد، أو هذا الجامع أو المسجد الذي إمامه فاسق؛ فإنه يصلي خلفه عند عامة أهل السنة، ومن تركه ولم يصل خلفه، وصلّى وحده: فهو مبتدع.

الحالة الثانية: إذا وجد إمامَ مسجدٍ آخر؛ جمعةً أو جماعة، وهو عدل، وصلى خلف الفاسق مع وجود العدل، **فهل تصح صلاته أو لا تصح؟**

أ ـ إن كان يترتب على ترك الصلاة خلف الفاسق مفسدة؛ صَلَّى خلف الفاسق، كأن يترتَّب على ترك الصلاة خلفه تَحَزُّب الناس حزبين: حزب مع الإمام، وحزب مع الذي لم يُصل خلفه، فتحصل فُرقة واختلاف، فهذا يُصلّى خلفه.

ب ـ أمَّا إذا لم يترتب على هذا مفسدة، وصلى خلف الفاسق مع وجود العدل، **ففيه خلاف بين العلماء:**

**فمن العلماء من قال:** تصح، ولا يعيد.

**ومنهم من قال:** لا تصح.

**ومنهم من قال:** تصح، ويُعيد.

**ووجه من رأى عدم الصلاة خلفه:** أنه إذا صلى خلف فاسق؛ لم ينكر المنكر عليه؛ فيكون قد أقرَّه عليه؛ والواجب إنكار المنكر.

**فإذن يُصلى** خلف الفاسق إذا كان إمامَ المسلمين، أو إذا كان قد ولاه إمامُ المسلمين، أو إذا لم يوجد جماعة أخرى أو جمعة، ويترتب على ترْك الجمعة والجماعة مفسدة.

- **مسألة: الصلاة خلف أئمة من الزيدية:**

- **الجواب: الأئمة في هذا الباب على ثلاثة أقسام:**

الأول: الإمام الكافر، وهو الذي يفعل الكفر، كمن يسب الله سبحانه، أو يسب الرسول ﷺ، أو يدعو غير الله، فهذا لا تصح الصلاة خلفه بالإجماع، وإذا صلى خلفه فإنه يُعيد، ولو بعد مائة سنة.

الثاني: الإمام المستور الحال، الذي لا يُعلم منه بدعة، ولا فجور، فهذا يُصلى خلفه.

الثالث: الإمام الفاسق؛ ظاهر الفسق، أو المبتدع، ظاهر البدعة:

أ - إذا كان إمامَ المسلمين؛ يُصلى خلفه، أو كان لا يوجد في البلد إلا مسجده، فإنه يصلى خلفه، ولا يصلي الإنسا وحده حينئذ.

ب - إذا وُجد غيره، ولا يترتب على ترك الصلاة خلفه مفسدة، **فهل يُصلى خلفه أو لا؟**

فيه خلاف بين العلماء، **والصواب** أنها صحيحة؛ لأنه مسلم، ولكن الصلاة خلف العدل أولى؛ لأن الصحابة كانوا يصلون خلف الحجاج، وكان فاسقاً ظالماً؛ فالإمام، وأمير البلد، أو الوالي: يُصَلَّى خلفه، ولو كان فاسقاً.

**فهذا الزيدي إن كان** يعتقد كفراً، ويعتقد ما يعتقده الرافضة، فلا يُصلى خلفه، والصلاة خلفه باطلة، **وإن كان** يعتقد أموراً مبتدعة، فهو مسلم مبتدع.

❁ ❁ ❁

## الخروج على الأئمة

**ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن النبي ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.**

### الشَّرح

قَرَّرَ المؤلف عقيدة أهل السنة في تحريم الخروج على إمام من أئمة المسلمين، بعد أن اجتمعت الأمة عليه، وأقروا له بالخلافة؛ بأي وجه كان؛ يعني: بواحدةٍ من الأمور الثلاثة التي فصلناها:

إما باختيار أهل الحل والعقد.

وإما بولاية العهد.

وإما بالقوة والغلبة.

○ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بالرضا) هذا بالاختيار والانتخاب، أو بولاية العهد، وقوله: (أو بالغلبة)؛ أي: غلبهم بسيفه وسلطانه حتى ثبتت له الخلافة، فلا يجوز الخروج عليه، ومن خرج عليه فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، وخالف الأحاديث، ويكون مبتدعاً، فإن مات هذا الخارج على الإمام؛ مات مِيتة جاهلية.

❊ **الأدلة:**

الدليل الأول: ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية**»(١)، وهذا وعيد شديد يدل على أنه مرتكب لكبيرة، **وظاهر قوله: (فمات ميتة جاهلية)**: يَدُلُّ على كفره؛ لأنه يموت على الجاهلية، وهذا هو الأصل، لكن ليس المراد به هنا الكفر، وإنما المراد هنا: الوعيد الشديد، وأنه مرتكب لكبيرةٍ.

إذن: الخروج على ولاة الأمور من كبائر الذنوب. وفي قوله: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر**»، أَمْرٌ وتوجيهٌ نَبَوِيٌّ بالصبر والتحمل؛ لِمَا يترتب على عدم الصبر من فسادٍ عريض، ومفارقة الجماعة، وشق عصا الطاعة؛ ولأنه إذا مات على هذه الحال؛ فميتتُه جاهلية.

الدليل الثاني: ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لِعَصَبَةٍ، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عَصَبَة، فقُتل فَقِتْلَةٌ جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**»(٢).

الدليل الثالث: حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي رواه الإمام مسلم، قال: «**إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف**»(٣)، وفي لفظ: «**ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة**»(٤). فلو كان الإمام عبداً مُجَدَّعاً مقطوعَ الأنف والأُذن، فيجب السمع له والطاعة،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٣) أخرجه مسلم (٦٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٦)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ويحرم الخروج عليه، وهو من كبائر الذنوب، بل هو من شعار أهل البدع، الذين يَرَوْنَ الخروج على ولاة الأمور.

## ۞ مذاهب أهل البدع:

ـ **الخوارج**: يرون الخروج على ولي الأمر إذا فَسَقَ، وارتكب كبيرة من الكبائر؛ لأنه عندهم كافر، فيوجبون قَتْلَهُ وخلْعَهُ.

ـ **المعتزلة**: يرون الخروج على ولاة الأمور إذا فعلوا الكبائر؛ بناءً على أصل أَصَّلُوه في هذا الباب، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن هذا أصلٌ من أصولهم الخمسة؛ ستروا تحته: القول بجواز الخروج على أئمة الجَوْر بالسّيف، فخالفوا بذلك النصوص الآمرة بالصبر على جَوْر الأئمة، وعدم الخروج عليهم؛ إذا فسقوا، ما لم يكن كفرٌ بواح عندهم من الله فيه برهان.

ـ **الروافض**: يرون الخروج على ولاة الأمور؛ لأن الإمام عندهم لا إمامةَ له تَصِحّ إلا إذا كان معصوماً، **وعلى هذا**: فكل الأئمة ـ عندهم ـ إمامتهم باطلة، ويجوز الخروج عليهم.

ويَدَّعون أنَّ هؤلاء الأئمة المعصومين: اثنا عشر إماماً، نَصَّ عليهم النبي ﷺ، وأوَّلهم: علي بن أبي طالب، ثم الإمام الثاني المعصوم: الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم محمد بن الحسن، الذي دخل سرداب سامراء، وهو المهدي المنتظر بزعمهم. فهؤلاء الأئمة ـ عندهم ـ: أئمة منصوص على إمامتهم، معصومون، وما عدا هؤلاء الأئمة؛ فولايتهم باطلة.

**فإذن: الخروج على ولاة الأمور هو من فعل أهل البدع؛ كالخوارج والمعتزلة والرافضة.**

## ۞ مذهب أهل السنة:

أهل السنة والجماعة لا يرون الخروج على ولاة الأمور إلا بخمسة شروط، **إذا وُجِدَتْ؛ جاز الخروج على ولي الأمر**:

الشرط الأول: أن يفعل وليُّ الأمر كفراً لا معصية.

الشرط الثاني: أن يكون هذا الكفر صريحاً واضحاً لا لبس فيه، ولا إشكال، فإن كان فيه إشكال وشبهة؛ فلا.

الشرط الثالث: أن يكون دليل هذا الكفر واضحاً من الكتاب والسنة؛ لقوله ﷺ: «**إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان**»[(١)].

الشرط الرابع: وجود البديل المسلم الذي يحل محله؛ لأنه إذا كان يُزَالُ كَافرٌ ويؤتى بدله بكافرٍ، فإن هذا لا يُجدي.

الشرط الخامس: وجود القدرة والاستطاعة؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فإذا وُجدتْ هذه الشروط الخمسة؛ جاز الخروج، وإلا فلا.

- **ولذلك**: فإن الشخص الذي يكون في بلدٍ تحكمه دولة كافرة وليستْ لديه القدرة والاستطاعة، فلا نكلفه بالخروج، ولا نُلزمه به، فقد يترتب على ذلك شرور ومفاسد عظيمة وفتن، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها. فعلى هذا وأمثاله، أن يسعى لتخفيف الشر ما أمكن، والتعاون على الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، **وهذا معنى قول المؤلف** رحمه الله: (ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، واللفظ له، ومسلم (١٧٠٩)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق) وإنما كان على غير السنة والطريق؛ لأنه وافق أهل البدع في قولهم بجواز الخروج على الأئمة؛ إن جاروا أو فسقوا.

**- الحكمة في عدم جواز الخروج على ولي الأمر إذا فعل الكبائر:**

أن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وبدرء المفاسد وتقليلها.

**ومن قواعد الشريعة:** إذا اجتمعتْ مفسدتان: كبرى وصُغرى، ولا يُستطاع تركهما، ولا بُدَّ مِنْ فِعْل واحدةٍ من المفسدتين؛ فإنَّا نرتكبُ المفسدةَ الصغرى لتفويتِ الكبرى.

وكذلك: إذا وُجِدتْ مصلحتان: كبرى وصغرى، لا نستطيع فعلهما؛ فإننا نُفَوِّتُ المصلحةَ الصغرى، ونفعل المصلحةَ الكبرى.

**وهذه القاعدة: دلتْ عليها نصوص كثيرة؛** فمن ذلك:

قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لعائشة رضي الله عنها: «**لولا قومك حديث عهدهم بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين**»[(١)]؛ يعني: منعه من ذلك؛ خشية أن يكفروا؛ لأن قريشاً أسلموا حديثاً؛ ولا تتحمل قلوبهم ذلك، فلولا خشيته عليهم من الردة، لفعل ﷺ ذلك؛ لأن الكعبة كانت قد بُنيت على بناء الجاهلية.

وذلك: أن أهل الجاهلية لما تصدعت الكعبةُ، قبل البعثة النبوية بخمس سنين؛ هدموا الكعبة وبنوها، وقالوا: لا نريد أن نبني الكعبة إلا بدراهم حلال؛ ليس فيها حرام؛ فكل درهم ينفقونه في بناء الكعبة لابُدَّ أن يكون حلالاً؛ الطين، والخشب، وغيرهما فجمعوا مالاً حلالاً، ثم لمَّا لم يجدوا مالاً من الحلال يكفي لبناء الكعبة، وَقَصَّرتْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦)، واللفظ له، ومسلم (١٣٣٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

بهم النفقة، قالوا: نبني بعضها ونخرج بعضها، فبنوا بعضها وأخرجوا الحِجْر ستة أذرع، أو سبعة أذرع ولم يُدْخِلُوا الحِجْر في الكعبة؛ لأنهم لم يجدوا مالاً حلالاً يبنونها بها.

فكان أَمْرُ الكعبة باقياً على ما كانت عليه زمن الجاهلية، فلمّا فتُحت مكة في السنة الثامنة من الهجرة، وأسلمت قريش لم يكن الإيمان قد تمكّن من قلوبهم بَعْدُ، وكان الرسول ﷺ يريد أن يُدخل الحجر في الكعبة، وكانت قريش قد أخرجتْ الحِجْر، وجعلت باباً واحداً ـ باباً شرقياً ـ وكان مرفوعاً، فقال النبي ﷺ: «**لولا أن قومك حديثُ عهدٍ بجاهلية لأمرت بالبيت، فهُدم، فأدخلت فيه ما أُخرج منه، وألزقته بالأرض وجعلت له بابين؛ باباً شرقياً وباباً غربياً، فبلغتُ به أساسَ إبراهيم**»(١).

وقال ﷺ: «**ألم تَرَى قومَك قَصَّرتْ بهم النفقة**»، قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: «**فعل ذلك قومك ليُدخلوا مَنْ شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أن قومك حديثٌ عَهْدُهُم بجاهليةٍ فأخافُ أن تنكر قلوبهم أن أُدخل الجَدْرَ في البيت، وأن ألصُق بابه بالأرض**»(٢).

**فهنا تَعَارَضَ أمران**: نقض الكعبة وبناؤها على قواعد إبراهيم عليه السلام، وخوفُ ارتداد من أسلم حديثاً من أهل قريش، فلما تعارض الأمران، وكانت مفسدة الكفر هي الراجحة، ترك النبي ﷺ الكعبة على ما كانت عليه زَمَنَ الجاهلية.

ولهذا لما تمكن الإيمان من قلوب الناس في زمن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه؛ لما تولى الخلافة؛ طَبَّقَ هذا الحديث وأدخل الحجر، ونزَّل الباب الشرقي، وفتح باباً غربياً، وصار عبدُالله بن الزبير يستلم

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) هذا اللفظ للبخاري (١٥٨٤).

الأركان الأربعة كلها حتى الركن الشامي والعراقي؛ لأنه لما أدخل الحجر في البيت، صارت الأركان كلها على قواعد إبراهيم ﷺ، فصار يستلم الأركان الأربعة كلها.

وكان لك لما استتب الأمر لعبدالله بن الزبير، فأخذ الحجاز، وأخذ الشام كذلك، وكاد مروان بن الحكم أن يبايعه، ولم يبق لهم آنذاك إلا بلدة واحدة في الشام، ثم تولى بعد مروان ابنه عبدالملك، وجعل يأخذ الشام بلدةً بلدةً حتى توسع، ثم أخذ العراق، ثم وَلَّى الحجاجَ، وجعل الحَجَّاجُ يقاتل، وجعل هَمَّهُ قتال ابن الزبير؛ صار الحَجَّاجُ يبعث الجيوش إلى مكة لقتال عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، حتى انتهى الأمر بقتل عبدِالله بن الزبير، فَصَلَبَهُ الحجَّاج على خشبة، وكان هَدَمَ الكعبة بالمنجنيق، وأخرج الحِجْر، ورفع الباب، وسد الباب الغربي، وأعادها على ما كانت عليه في الجاهلية؛ كما هي الآن.

ـ وقد استشار أبو جعفر المنصور الإمام مالك بن أنس، هل يعيد بناء الكعبة، ويُدخل الحجر كما فعل عبدالله بن الزبير، أو يتركها على حالها؟

فأشار إليه الإمام مالك بتركها على حالها، فقال: لماذا؟ فقال الإمام مالك: أخشى أن تكون الكعبة ملعبةً للملوك. فبقيتْ على ما كانت عليه(١).

فكان رأي الإمام مالك موفَّقًا؛ فَسَدَّ البابَ حتى لا تكون الكعبة ملعبةً بيد الملوك؛ كلما جاء واحدٌ هَدَمَهَا وَبَنَاهَا.

**ـ ومن تطبيقات القاعدة السابقة:**

مسألة ترك الخروج علي وَلِيِّ الأمر، إذا جار أو فَسَقَ، ولا شك أن فِعْلَهُ هذا مفسدة، لكن الخروج عليه يترتب عليه مفاسد أكبر؛

---

(١) انظر: التمهيد (١٠/ ٥٠)، فتح الباري (٣/ ٤٤٨).

كاختلال الأمن، وانشقاق عصا الطاعة، وانقسام الناس؛ قسم مع ولي الأمر، وقسم مع غيره، وإراقة الدماء، واختلال أحوال الناس المعيشية: الزراعيّة، والتجاريّة، والتعليميّة، والصناعيّة؛ كلها تختل، فيتربص الأعداء بهم الدوائر، وتتدخل الدول الأجنبية، وغيرها، فلا شك أن هذه المفاسد أعظم وأكبر، وهي تربو على مفسدة كون وليّ الأمر فاسقاً أو جائراً.

**ولذلك**: كانت القاعدة الشرعية في مثل هذه الأحوال: أن تُرتكب المفسدة الصغرى؛ دفعاً للكبرى؛ فكان لا بُدَّ من الصبر على جوره وظلمه؛ ولا شك أنَّ هذا أسهل من الخروج عليه؛ لأن الخروج فيه أمور عظيمة، تقضي على الأخضر واليابس؛ فلهذا جاء الإسلام بالمنع من الخروج على ولاة الأمور.

ومع أَمْر النبي ﷺ بالصبر، كما في قوله: «**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر**»(١) فإن هذا لا يمنع من مناصحته مِنْ قِبَلِ أهل الحل والعقد، والعلماء، وغيرهم، فيُبَلّغونه الحقَّ، ويناصحونه، فإن قَبِلَ فالحمد لله، وإن لم يقبل؛ فقد أدوا ما عليهم، وأبرأوا ذمَمَهُم، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) واللفظ له، من حديث ابن عباس ﷺ.

## قتال اللصوص والخوارج

وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يقاتل عن نفسه وماله ويدفع عنها بكل ما يقدر، وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك وينوي بجهده أن لا يقتل أحدا، فإن مات على يديه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول، وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة، كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أمر بقتاله، ولم يؤمر بقتله ولا اتباعه، ولا يُجهِز عليه إن صرع أو كان جريحا، وإن أخذه أسيرا فليس له أن يقتله ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله فيحكم فيه.

### الشَّرح

من عقيدة أهل السنة: أنه إذا جاء المرءَ لصٌّ في بيته يريد أن يأخذ ماله، أو في أي مكانٍ يريد أخذ ماله، أو تعرَّض له بعض الخوارج، وصال عليه، فإن المرءَ يدفع عن نفسه، وعن ماله، وعن أهله.

لكن عليه أن يدفع هذا اللص أو الخارجي بالأسهل فالأسهل، فإذا اندفع بالضرب، فلا يقتله، بل يضربه حتى يندفع، أو يكسر يده مثلاً، أو يقطعها، فإذا كان ـ كما مضى ـ لا يندفع إلا بقطع اليد، أو الكسر؛ فله ذلك، وإذا اندفع بالضرب بالعصا؛ فلا يضربه بالسيف ولا

بالسلاح، وإذا لم يندفع؛ فله أن يدفع بالأخف فالأخف، ولا ينوي قتله.

وإذا هَرَبَ، فليس له أن يطلبه، ويقاتله؛ ما دام أنه هرب وخرج من البيت، أو من المكان، وَسَلِمْتَ من شره؛ فاتركه ولا تطلبه ولا تتبع أثره؛ إنما الذي يلحقه ويتبع أثره: الولاةُ، أو الإمامُ، والشُّرَطُ، فهؤلاء هم الذي يلحقونه حتى يُؤَدَّبَ ويُقام عليه الحد أو التعزير، فهذا لولاة الأمور، أما أنت فليس لك أن تلحقه ثم تأخذه وتؤدبه وتضربه، أو تطلق عليه النار لكن لا مانع أن تبلغ ولاةَ الأمور، وتبلغ الشَّرَطَ، حتى يُؤخذ ويُؤَدَّب.

ـ **إذا لم يندفع إلا بالقتل**؛ فليس إلا أن يقتلك أو تقتله، فلك قتله في هذه الحالة؛ للضرورة، ولا تستسلم للقتل، فإن قَتَلْتَهُ؛ يقول الإمام: (أبعده الله) وإن قتلكَ أنتَ؛ (فأنت شهيد) ولهذا قال في حال أنه قَتَلَكَ وأنت تدافع عن نفسك: (رجوت له الشهادة، كما جاء في الأحاديث وجميع الآثار في هذا إنما أُمر بقتاله، ولم يؤمر بقتله ولا اتباعه)، فأنت مأمور إذن بقتاله لا بقتله، **وهناك فرق بين القتل والقتال**؛ فالقتالُ دفاعٌ عن النفس؛ فإذا قاتلك تقاتلُه؛ تدفعُ عن نفسك، ولست مأموراً بقتله، ولكنك مأمور بقتاله؛ دفاعاً عن النفس، ولست مأموراً بأن تطلبه وتلحق به إذا هرب منك أو فارقك.

وذكر الإمام أحمد أيضاً أنه ليس لك أن تُجْهز عليه إذا صُرِعَ، أو جُرِحَ، ما دام أنك سلمتَ من شره، بل يُسلّم لولاة الأمور، أو يُسَلَّم للشُّرط، وكذلك إن أخذته أسيراً: ليس لك أن تقتله.

ـ **وليس لك أن تقيم عليه الحد**؛ فبعض الناس يكون أقوى من السارق، فيأخذه ويوثقه بالوثاق، ويربط يديه ورجليه، وقد يقول: أقْتُلُه الآن، أو أقطع يده؛ لأنه سارق!! فليس له هذا، وإنما يسلمه لولاة

الأمور، ولا يقيم عليه الحد؛ لأن إقامة الحد، من شأن ولاة الأمور.

- **والدليل على هذا**؛ ما ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**من قُتل دون ماله فهو شهيد**»[١]، وفي لفظ: «**من قُتل دون أهله فهو شهيد**»[٢].

**ومنها أيضاً**: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**»[٣].

- **ومن كلام الإمام أحمد** رحمه الله، **في هذا الباب**؛ ما رواه الخلال في كتاب السنة بسند صحيح، قال: (أخبرني عبد الملك الميموني، أنه قال لأبِي عبدالله - يعني: الإمام أحمد -: هل علمتَ أحداً ترك قتال اللصوص تأثماً؟ - أي: خشية الإثم - قال: **لا**، قلتُ: قوم يقولون: إن لقيتهم فقاتلهم، لا تضربه بالسيف وأنت تريد قتله، قال: **إنما أضربه لأمنع نفسي ومالي منه، فإن أصيب فهل فيه**؟ قلت: نعم، يا أبا عبدالله أعلم أني أضربه بالسيف، ولست آلو قطع يده ورجله، وأشاغله عني بكل ما أمكن، قال: **نعم**.

وقد كنت قلت له: في أن يخرج عليه؟ قال: **وهو يدعوك حتى تخرج عليهم؟! هم أخبث من ذلك**، ورأيته يعجب ممن يقول: أقاتله وأمنعه وأنا لا أريد نفسه؛ أي: فهذا مما لا ينبغي أن يشغل به القلب،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١)، والنسائي (١١٦/٧)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٠).

له قتاله ودفعه عن نفسه بكل ما أمكنه أصاب نفسه أو بقيت)[١].

وروى بسند صحيح عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: **(أرى قتال اللصوص إذا أرادوا مالك ونفسك، فأما أن تذهب إليهم أو تتبعهم إذا ولوا فلا يجوز لك قتالهم)**[٢].

**فالمقصود**: أن اللصوص، والخوارج، إنما يقاتلهم الإنسان دفاعاً عن نفسه، فلا يستعمل السلاح، وإذا اضطر إلى السلاح: فإنه يضربه بشيء يؤثر على بعض أعضائه؛ حتى يشتغل بنفسه عنه.

---

(١) السنة للخلال (١٦٢).

(٢) السنة للخلال (١٧٥).

## الشهادة للمعين بالجنة أو النار

**ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار نرجو للصالح ونخاف عليه ونخاف على المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله.**

الشَّرح

**المراد بأهل القبلة:** من التزم بأحكام الإسلام في الظاهر واستقبل القبلة في الصلاة، ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام، يقول النبي ﷺ: **«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته»**(١).

يُحكم عليه بالإسلام في الظاهر، ولا يُشهد عليه بجنة ولا نار، لكن يُشهد بذلك على العموم، فيقال: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار، ولا يُشهد على معين من أهل القبلة بجنة ولا نار، وإنما نرجو للصالح الثواب، ونخاف على المسيء المذنب العقاب.

**فَمَنْ رأيناه مستقيماً على طاعة الله، وعمل الطاعات:** فمثل هذا نرجو له الجنة، لكن لا نشهد له بها، **ومن رأيناه يعمل المعاصي والمخالفات:** نخاف عليه من النار، ولكن لا نشهد له بها.

**- أما الشهادة للمعين بالجنة، فلأهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال:**

القول الأول: أنه لا يشهد للمعين إلا لمن شهدت له النصوص،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وفي الباب عن البراء بن عازب ﷺ أخرجه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

مثل العشرة المبشرين بالجنة(١)، فهؤلاء نشهد لهم بالجنة، كما جاء في الحديث أنَّ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(٢)، **وكذلك: ابن عمر**(٣)، **وعكاشة بن محصن**(٤)، **وعبدالله بن سلام**(٥)، وكذلك **بلال**(٦) رضي الله عنه مشهود له بالجنة.

**ويضاف إلى من سبقوا**: أهل بيعة الرضوان، كما قال ﷺ: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(٧)، وأهل بدرٍ ـ على وجه العموم ـ كما شهد لهم النبي ﷺ لمَّا قال لعمر رضي الله عنه: «**وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(٨).

القول الثاني: أنه لا يشهد إلا للأنبياء فقط.

القول الثالث: أنه يُشهد لمن شهد له عدلان بالجنة، **للأدلة التالية**:

**الدليل الأول**: حديث أبي الأسود في الصحيح قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلستُ إلى عمر بن الخطاب، فمرتْ بهم جنازة فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبتْ، ثم مر بأخرى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال حسن، والنسائي (١٠٠)، وابن ماجه (١٣٣)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، وفي الباب عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، وقال هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند (٣/ ٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٥٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٦٦ - ١٦٧)، وقال هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة.

(٣) أخرجه البخاري (١١٢١، ١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) (٣٦٧).

(٥) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨١٢، ٣٨١٣)، ومسلم (٢٤٨٣، ٢٤٨٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٥٧).

(٧) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أم مبشر أخرجه مسلم (٢٤٩٦) وغيره.

(٨) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، واللفظ له.

فأُثني على صاحبها خيراً، فقال عمر: وجبتْ، ثم مر بالثالثة فَأُثني على صاحبها شراً، فقال: وجبتْ، فقال أبو الأسود: فقلت: وما وجبتْ يا أمير المؤمنين؟ قال: قلتُ كما قال النبي ﷺ: **«أيما مسلم شهد له أربعة بخير؛ أدخله الله الجنة»**، فقلنا وثلاثة، قال: **«وثلاثة»** فقلنا: واثنان، قال: **«واثنان»**. ثم لم نسأله عن الواحد(١).

**الدليل الثاني**: ما ثبت في الصحيحين، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مُرَّ بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: **«وجبتْ»**، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال النبي ﷺ: **«وجبتْ»**، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: **«هذا أثنيتم عليه خيراً؛ فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً؛ فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»**(٢).

**الدليل الثالث**: قول النبي ﷺ: **«يوشك أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار»**، قالوا: بم ذاك يا رسول الله؟ قال: **«بالثناء الحسن، والثناء السيئ؛ أنتم شهداء الله بعضكم على بعض»**(٣)، وهو حديث صحيح.

- **وجه الاستدلال:**

**قالوا**: هذا دليل على أنه يُشهد بالجنة لمن شهد له أهل الخير وأهل العدل، دون الفساق، وأهلِ التفريط، لكن من شهد له أهل الخير وأهل الصلاح والتقى، بالخير، فهذا دليل على أنه من أهل الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٨)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أبو داود، والنسائي (٤/ ٥٠)، وابن ماجه (١٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١) واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ٤١٦، ٦/ ٤٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٨٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٣٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

- **الترجيح:**

**الصواب:** هو القول الأول: أنه لا يُشهد بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص؛ وإلّا لم يكن هناك مزية للمبشرين بالجنة، فلو أنّ كُلَّ واحد يَشهد له اثنان بالجنة؛ يكون من أهلها لصار مثل المبشرين بالجنة!!

وأما حديث: «**أنتم شهداء الله في الأرض**»(١)، فأجاب عنه بعض العلماء، بأنه خاص بالصحابة الذين زكاهم النبي ﷺ وعدّلهم.

- **وكذلك نشهد بالنار لمن شهدت له النصوص بذلك؛** كأبي لهب، وأبي جهل، **وأما مَنْ لم يَرِدْ فيه النَّصُّ:**

أ - **إذا علمنا أنه مات على الكفر، ولم تكن له شبهة، وقامت عليه الحجة**، فهذا نشهد له بالكفر، ونشهد عليه بالنار؛ إذا عُلِمَتْ خاتُمته، مثل شخص حضرته الوفاة؛ وهو يفعل الشرك، ونهيتَه عن الشرك، فقال: أُريد الشركَ، ومات على ذلك، فهذا يُشهد له بالكفر، ويُشهد له بالنار.

ب - **أما مَنْ لم تُعلم حاله، ولا يدري هل له شبهة، وهل قامت عليه الحجة**، فلا نكَفِّرْهُ بِعَيْنه؛ فلعله أن يكون جاهلاً، أو عنده شبهة، فنقول: فيمن هذا حاله وأمثاله: يكفي أن نشهد بالعموم، فنقول: كل كافر في النار، كما تقول: كل مؤمن في الجنة.

**وجه القول:** أنه في الحديث: أنه لما مات طفل، قالت عائشة: يا رسول الله، طوبى له! عصفور من عصافير الجنة، قال: «**أو غير ذلك يا عائشة؟! إن الله خلق للجنة أهلا، خلقهم وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا، خلقهم وهم في أصلاب آبائهم**». فأنكر عليها(٢)؛ لأنها شهدت له بعينه، وإن كانت النصوص دلت بعمومها على أن الأطفال في الجنة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٢).

## الخلاصة:

تلخص أنَّ عقيدة أهل السنة والجماعة: أنه لا يُشهد على أحد من أهل القبلة، بجنة ولا نار، إلا من شهدت له النصوص.

فمن فعل ناقضاً من نواقض الإسلام، فإنه يُحكم عليه من جهة العموم؛ فيقال: هذا كفر، وأما الشخص المُعَيَّن؛ فلا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة، وَوُجِدَتْ الشروطُ، وانتفت الموانعُ.

## حكم لقي الله بذنب يجب له به النار

**ومن لقي الله بذنب يجب له به النار تائبا غير مصر عليه، فإن الله يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، ومن لقيه وهو كافر عذبه ولم يغفر له.**

### الشَّرح

يبين الإمامُ أحمد ﷺ عقيدة أهل السنة في أهل الكبائر الذين لقوا الله بذنب يجب لهم به النار.

**وأصح ما قيل في تعريف الكبيرة؛ أنها:**

كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة بالنار، أو وَرَدَ لعن فاعله، أو الغضب عليه.

- **ومن أمثلة الذنوب التي وجب فيها حد في الدنيا**: الزنا؛ وفيه: الرجم أو الجلد.

**ومثل**: والسرقة، **فيها**: قطع اليد.

**ومثل**: وشرب الخمر، **وفيه**: الجلد.

- **ومن أمثلة الذنوب التي ورد فيه وعيد في الآخرة بالنار**: أكل مال اليتيم، فقد تُوعد عليه بالنار؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النِّسَاء: ١٠].

ومثل: القتل؛ تُوعِّدَ عليه بالنار، واللعنة، والغضب.

- **وزاد بعضهم في تعريف الكبيرة، فقال:** يَدْخُل فيها: من قال فيه النبي ﷺ: «**ليس منا**»؛ كما في حديث: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب**»(١)، وحديث: «**من غش فليس منا**»(٢)، وحديث: «**من حمل علينا السلاح فليس منا**»(٣).

- **وكذلك أدخل بعضهم في جملة الكبائر:** ما ورد فيه النصّ بنفي الإيمان عنه، كحديث: «**لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه**»(٤)، وحديث: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»(٥).

## حالات الذي يلقى الله بذنب يجب له به النار:

الحالة الأولى: أن يلقى العبدُ اللهَ بذنب يجب له به النار؛ تائباً غير مُصِرٍّ عليه؛ فإن الله يتوب عليه؛ إذا أتى بالتوبة بشروطها؛ إذ إن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧] أي: يتوبون من قريب؛ قبل الموت، إذا وُجدت الشروط، **وشروط التوبة هي:**

**أولاً:** أن تكون التوبة لله؛ خالصة لوجهه؛ لأن التوبة عبادة، فلا

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (١٠٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٣) اخرجه البخاري (٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨)، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ، وفي الباب عن أبي موسى ﷺ، أخرجه البخاري (٧٠٧١)، ومسلم (١٠٠).
(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، وفي رواية لمسلم (٤٦) «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**».
(٥) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) (١٠٢).

تكون لقصدٍ آخر.

**ثانياً**: أن يُقلع عن المعصية، ويتخلى عنها.

**ثالثاً**: أن يَندَم على ما مضى، ويتأسف.

**رابعاً**: أن يَعزِم على عدم العود إليها مرة أخرى، فإن كان ينوي أن يعود إليها بعدُ، فتاب توبةً مؤقتة؛ فلا تصح، فلا بد أن ينوي عدم العودة إليها.

**خامساً**: أن تكون التوبة قبل الموت؛ لقوله ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١).

**سادساً**: أن تكون التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان؛ وفي الحديث أنه: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»(٢).

**سابعاً**: أن تكون التوبة قبل نزول العذاب، فإذا نزل العذاب فلا توبة؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]؛ ففرعون تاب لما أدركه الغرق، فلمَّا كانت توبته عند نزول العذاب؛ لم تنفعه هذه التوبة، قال الله تعالى: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠] قال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١] أي: انتهى

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٨)، والحاكم في المستدرك (٤/٢٥٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (٨٧١١)، وأحمد في المسند (٤/٩٩)، والدارمي (٢/٢٣٩-٢٤٠)، من حديث معاوية ﵁. وله شاهد من حديث عبدالرحمن بن عوف ﵁.

الأمر لما نزل العذاب. فلم يَعُدْ إيمانك مقبولاً.

ـ لكن هناك أمة واحدة، أو قرية واحدة استثناها الله، لما جاءها العذاب؛ آمنتْ؛ وَقَبِلَ اللهُ توبتها، وهم قوم يونس عليه السلام، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨] قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤١] وذلك أن يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعا قومه إلى الإسلام فردوا دعوته، فغضب عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ﴾، فقال لهم: انتظروا العذابَ، وتركهم، وركب البحر، وحصل ما حصل، حتى أُلقي في بطن الحوت.

فلما أُلقي في بطن الحوت؛ دعا الله كما قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، فجلس مدَّة، ثم أرسله الله مرة أخرى إلى قومه، فلما رجع إليهم، وجدهم قد ندموا، فلما دعاهم؛ آمنوا، قال الله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات: ١٤٧-١٤٨] فيونس نبي كريم؛ ولهذا يقول النبي ﷺ، في الحديث الصحيح: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**»(١)، فهو نبي كريم. **فلا يقل أحد**: إن محمدًا ﷺ خير من يونس بن متى، وينتقصه لأجل ما بَدَرَ منه. **ومن قال ذلك**: فهو كاذب، يقال هذا أيضا على أي نبي من الأنبياء.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠٤، ٤٨٠٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنه.

**فالحاصل**: أنه إذا وُجدت شروط التوبة وصحت؛ محا اللهُ الذنب بهذه التوبة، ثم إذا بُلي بذنب مرة أخرى فإن الذنب الجديد يحتاج إلى توبة؛ وهكذا، كلما أَذْنَب؛ استغفر؛ وقُبِلتْ توبتُه، لكن بالشروط السابقة.

هذه هي **الحالة الأولى**: أن يتوب من الذنب.

**الحالة الثانية**: مَنْ لقيه وقد أقيم عليه حدُّ ذلك الذنب في الدنيا؛ فهو كفارته، كما جاء عن رسول الله ﷺ من حدبث عبادة بن الصامت في الصحيحين لما بايع النبي ﷺ الصحابة على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، قال ﷺ: «**فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له**»(١) يعني: أن العبد إذا لقي اللهَ بالذنب، ولكن أُقيم عليه الحد؛ كمن زنا وهو غير محصن، ثم جُلد مائة جلدة، أو زنا وهو محصن، ثم رُجم، أو سرق ثم قُطعت يده؛ فإن ذلك الحدّ يكون كفارة له، ويطهره الله بالحد؛ فالله أكرم من أن يجمع عليه عقوبتين: عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة، ففي المسند والسنن أنه ﷺ قال: «**إن الله أكرم من أن يُثَنِّي على العبد العقوبة في الآخرة**»(٢).

**الحالة الثالثة**: مَنْ لقي الله بالذنب، ولم يتب، ولم يُقَمْ عليه الحد، وهي التي ذكرها المؤلف، بقوله: (ومن لقيه مصراً غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له). والمعنى: أنه إذا لقي الله مُصراً على الذنب، ولم يتب،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢٦٠٤)، وأحمد (١/ ٤٤٧) والحاكم (٢/ ٤٤٥) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي).

ولم يُقم عليه الحد؛ فهذا تحت مشيئة الله: إن شاء الله غفر له بتوبته وإيمانه وإسلامه، وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبه بقدر جُرمه، وأدخله النار ثم يخرج منها؛ كما في حديث عبادة المقدم: **«ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه، وإن شاء عاقبه»**.

ثم قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (ومن لقيه وهو كافر عذبه ولم يغفر له)؛ يعني: أنَّ الكافر إذا لقي الله بالكفر الأكبر، أو الشرك الأكبر؛ فهذا مُخلد في النار، ولا حيلة في نجاته من عذاب الله، ولو أراد أن يفدي نفسه بملء الأرض ذهباً؛ فإنه لا يفيده، ولا يستطيع أحد أن يُخَلِّصَهُ من عذاب الله؛ **ومن الأدلة على ذلك:**

١ ـ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المَائدة: ٣٦-٣٧].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩١].

٣ ـ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

# الرجم حق على من زنى وقد أُحصن

**والرجم حق على من زنى وقد أُحصن، إذا اعترف أو قامت عليه بينة، فقد رجم رسول الله ﷺ وقد رجمت الأئمة الراشدون.**

## الشَّرح

من زنى وقد أُحصن؛ إذا اعترفَ بالزنا، أو قامت عليه بينة، أو ظهر الحمل من المرأة، وكانت موافقة على الزنا، ولم تكن مُكرهة؛ فإنهم جميعا يُرْجَمُون، **فتلك حالتان:**

**الحالة الأولى**: أن الرجم يحصل بالاعتراف، والدليل أن ماعزاً، جاء إلى النبي ﷺ، وقال: إني زنيتُ، فأعرضَ عنه حتى ثَنَّى ذلك عليه أربع مرات. فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه رسول الله ﷺ، فقال: «**أبك جنون؟**» قال: لا. قال: «**فهل أَحصنت؟**» قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: «**اذهبوا به فارجموه**»[1].

وكذلك الغامدية اعترفتْ فَرُجِمَتْ[2].

وكذلك اليهودي واليهودية لما اعترفا رجمهما النَّبِيّ ﷺ[3].

**الحالة الثانية**: البينة: والبينة لا بد أن تكون أربعة شهود يشهدون أنهم رأوا ذلك؛ كالميل في المكحلة، فإذا شهدوا بذلك؛ أقيم عليه الحد، وهو الرجم إذا كان محصناً.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨١٥)، واللفظ له، ومسلم (١٦٩١) (١٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم (١٦٩٥) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٥)، ومسلم (١٦٩٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

- **ولكن لم يثبت في السُّنَّة أنه حَصَلَ الرجم بشهادة أربعة**؛ إنما ثبت حصوله بالاعتراف والإقرار، **لكن كاد** أن يثبت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ ثلاثة شهدوا وتلكأ الرابع، فلم يشهد؛ وذلك في قصة المغيرة بن شعبة؛ فَجُلدوا[١]؛ فإذا شهد ثلاثة على شخص، ولم يأت رابع؛ فإنَّ الثلاثة يُجْلَدُون؛ كل واحد يُجلد ثمانين جلدة؛ حدَّ القذف، لعدم اكتمال نصاب الشهادة، وهو: الشاهد الرابع.

○ وقولُ المؤلف رحمه الله: (والرجم حق على من زنى إذا أُحصن) **معناه أيضاً**: أنه إن لم يكن محصناً؛ - بمعنى: أنه لم يتزوج - فإنه يُجلد مائة جلدة، ويُغَرَّبُ سَنَةً، وإذا تزوج في عمره ولو مرة واحدة، ولو لم يكن معه زوجة، بأن ماتتْ عنه، أو طلَّقها - مثلاً - ثم زنى: فإنه يرجم في كافة الأحوال.

○ وقول المؤلف رحمه الله: (فقد رجم رسول الله ﷺ والأئمة الراشدون) **دليلُه**: ما رواه الشيخان، وأصحاب السنن الأربعة، عن ابن عباس، قال: قال عمر بن الخطاب، وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: «**إن الله قد بعث محمداً ﷺ، بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وَعقلناها، فرجم رسولُ الله ﷺ، وَرجمْنَا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان، أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن، من الرجال والنساء، إذا قامت البينة، أو كان الحبل، أو الاعتراف**»[٢].

وفي حديث آخر لعمر بن الخطاب قال: «**لقد خشيتُ أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما أجد الرجمَ في كتاب الله؛ فيضلوا**

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٥٥٤٩، ١٥٥٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١)، واللفظ له.

بترك فريضة من فرائض الله، ألا وإن الرجم حق إذا أحصن الرجل وقامت البينة، أو كان حمل، أو اعتراف، وقد قرأتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» «رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده»[١].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه النسائي (٧١٤٥، ٧١٤٨)، وأحمد في المسند (٥/ ١٨٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٦٠).

## تنقص الصحابة وبغضهم وذكر مساوئهم

**ومن انتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه بحدث كان منه أو ذكر مساوئه كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا، ويكون قلبه لهم سليما.**

الشَّرح

عاد المؤلف رحمه الله إلى الكلام عن الصحابة، وهنا يشير إلى أن مَنْ انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أبغضه لحدثٍ منه، أو ذِكْر مساوئه: كان مبتدعاً، حتى يترحم عليهم جميعاً، ويكون قلبه سليماً.

فالتنقص للصحابة، ولو لواحدٍ منهم، أو بُغضه، أو ذكر مساوئه؛ هذه طريقة أهل البدع، وهو من علامات النفاق، **بل لا يبرأ المرء من النفاق، حتى يترحم على الصحابة جميعاً، ويكون قلبه سليماً لهم**؛ ولهذا قال الطحاوي عن الصحابة في عقيدته: (وحبّهم دين وإيمانٌ وإسلام، وبُغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان)[1]. فبغض الصحابة من علامات النفاق، ومن علامات خبث القلوب، والله تعالى أثنى على المؤمنين في دعائهم لمن سبقهم من المؤمنين، وبيّنَ أنه ليس في قلوبهم غلٌّ لهم، فقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

(١) العقيدة الطحاوية (١/٥٧).

- **وقد استدل بعض العلماء على كفر الروافض**، بأن الله تعالى ذكر أن الفيء - وهو المال الذي يقسم للمؤمنين بعد القتال -: يكون لثلاثة من الأصناف: للمهاجرين، والأنصار، ومن تبعهم بإحسان؛ ممن يدعون لهم، فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧]، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨] هذا الصنف الأول، ثم قال بعده: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩]؛ وهم الأنصار، ثم قال عن الصنف الثالث: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] فجعل الفيء للمؤمنين، وجعلهم ثلاثة أصنافٍ: المهاجرين، والأنصار، والذين جاءوا من بعدهم؛ يدعون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً للمؤمنين. والروافض ليسوا من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا من الذين يدعون لهم، بل في قلوبهم غل؛ فدلَّ على أنهم ليسوا من المسلمين.

وقد استنبط الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كُفْرَ الروافض من قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ فأخذ من قوله: ﴿...لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ أنَّ من أغاظَهُ الصحابة؛ فهو كافرٌ؛ والروافض تغيظهم الصحابة؛ فدل على أنهم كفار.

**فالواجب علينا**: الترحم على الصحابة، والترضي عنهم، والإمساك عما شجر بينهم من الخلاف والحروب، ونعتقد أن لهم من الحسنات، ما يُغطّي ما صدر عنهم من الهفوات.

والحروب التي وقعت بينهم؛ فهم فيها ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، هذا هو الصواب.

◉ **مسألة: يستدل من يطعن في الصحابة، بالقتال الذي وقع بينهم، ويقول: قد وَرَدَ في الحديث أنه: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»**(١).

▣ **الجواب**: أنَّ هذا الوعيد، إذا كان قتالاً لهوى وعصبية، أما إذا كان قتالاً عن اجتهاد، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحُجرَات: ٩]، وقال أيضاً في الآية بعدها: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]؛ فسماهم إخوة وهم يتقاتلون؛ لأن القتال وقع عن اجتهاد، ولهذا انضم أكثر الصحابة إلى علي رضي الله عنه في قتال أهل الشام، ورأوا أنه على الحق، وأن أهل الشام بغاة، لكن أهل الشام ما كانوا يعلمون أنهم بغاة، وواقعُ الحال أنهم بغاة؛ يجب عليهم أن يبايعوا علياً رضي الله عنه، وليس لهم أن يمتنعوا، لكنهم اجتهدوا فامتنعوا؛ مطالبةً بدم عثمان رضي الله عنه، وقد قال النبي ﷺ لعمار: **«ويح عمار تقتله الفئة الباغية»**(٢)، وقد قتله جيشُ معاوية رضي الله عنه؛ فدل على أنهم الفئة الباغية.

**فعليٌّ** رضي الله عنه **ومَنْ معه مصيبون، لهم أجران**: أجر الاجتهاد، وأجر الصواب، **ومعاوية** رضي الله عنه **ومن معه مخطئون**، فليس لهم أجر الصواب، لكن لهم أجر الاجتهاد.

وانضم أكثر الصحابة إلى علي رضي الله عنه عملاً بهذه الآية: ﴿فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحُجرَات: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٩١٥)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

- **وبعض الصحابة لم يتبين له الأمر، فاعتزل الفريقين**؛ لأنه اشتبه عليه الأمر، وخاف من الأحاديث التي فيها الأمر بعدم القتال في الفتنة، وَكَسْرِ السيوف، لأن النبي ﷺ قال: «**ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي**»(١). **فمن هؤلاء**: ابن عمر رضي الله عنهما اعتزل، وسلمة بن الأكوع رضي الله عنه؛ اعتزل الفريقين وتزوج في البادية، وقال: أذن لي النبي ﷺ في البدو. **ومنهم**: أسامة بن زيد، وأبو بكرة، وجماعة رضوان الله عليهم.

لكن الصواب - كما أسلفنا - مع علي رضي الله عنه، وأمّا الذين انضموا إلى معاوية رضي الله عنه، فقد جانبوا الصواب.

- **والأدلة في النهي عن الكلام في الصحابة وانتقاصهم كثيرة**؛ وقد قال الإمام أحمد - كما في كتاب السنة للخلال بسند صحيح -: «**من تنقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فلا ينطوي إلا على بلية، وله خبيئة سوء**»(٢).

فمن تلك الأدلة: قول النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(٣).

ومناسبة هذا الحديث: أنه حدث خلاف بين عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه - وكان من السابقين الأولين، وهو من العشرة المبشرين بالجنة -، وبين خالد بن الوليد رضي الله عنه، وكان ممن أسلموا بعد الحديبية، وقبل فتح

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦)، وأحمد في المسند (١/ ١٦٩)، كلهم من طريق سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الخلال في السنة (٧٥٨).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٦٠)، والترمذي (٣٨٦١)، وأحمد في المسند (٣/ ٥٤)، عن أبي سعيد رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، وابن ماجه (١٦١).

مكة، فالصحابة على مراتب:

المرتبة الأولى: السابقون الأولون؛ الذين أسلموا قبل صلح الحديبية.

المرتبة الثانية: الصحابة المتوسطون؛ وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وقبل فتح مكة.

المرتبة الثالثة: الذين أسلموا بعد فتح مكة، ويقال لهم: الطلقاء، ومنهم أبو سفيان، وابنه معاوية، وغيرهم ﷺ.

فالنبي ﷺ يخاطب خالداً، ويقول له: **«لا تسبوا أصحابي»**[(١)]؛ يعني: الذين تقدمت صحبتهم، وهذا دليلٌ على التفاوت بين الصحابة في المرتبة، فلو أنفق خالدٌ مثل أُحد ذهباً، وأنفق عبد الرحمن ملء الكف أو نصفه، لسبقه عبد الرحمن؛ لِمَا تميَّزَ به من الأمور التي ذُكِرَتْ.

**فكيف إذن يكون الشأن بين الصحابة ومن بعدهم من التابعين؟!**

- **فالمسلم عليه أن يتبرأ من طريقة النواصب الخوارج** الذين ينصبون العداوة لأهل البيت: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين؛ فالخوارج يؤذونهم.

**ويتبرأ من الروافض** الذين يعبدون أهل البيت، ويكفرون الصحابة، فكل هؤلاء ضُلّال.

**فالحق مع أهل السنة والجماعة**، الذين يترضون عن الصحابة، ويوالون أهل البيت، لكن لا يعبدونهم، بل ينزلونهم منزلتهم التي دلت عليها النصوص، لا بالهوى والعصبية، بل بالعدل والإنصاف.

---

(١) سبق تخريجه.

**ـ ثم نقول لهؤلاء الذين يقولون: إنَّ الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ وكفروا:** من هم الذين نقلوا إلينا الشريعة؟!:

١ ـ أليسوا هم الصحابة؟ فكيف نثق بدينٍ نقله الكفرة؟!

٢ ـ هؤلاء الصحابة ﷺ الذين تقولون بكفرهم، هم الذين شاهدوا الوحي، ونقلوا لنا الكتاب والسنة.

والروافض الذين يجرحون أولئك الشهود العدول، إنما يريدون إبطال المشهود له، وهو الكتاب والسنة، ويريدون إبطال الدين. فالطعن فيهم، طعنٌ في الإسلام، وطعن في الدين، وسَعْيٌ لهدمه.

ولهذا جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: **(من سب الشيخين أبا بكر وعمر: كفر)**[1]، وكذلك سائر الصحابة، وأمَّا مَنْ سب الواحد منهم، فهذا يكون فاسقاً، عاصياً، ومن كَفَّرهم جميعاً فقد كَذَّبَ الله، ومن كَذَّبَ اللهَ كَفَرَ؛ لأن الله زكاهم، وعدَّلهم، ووعدهم الجنة كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال: ﴿...وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]، وفي الحديث: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[2]؛ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

فهذا هو التفصيل فيمن سب الواحد منهم، إن كان سَبَّه لدينه: كَفر، وإن سبه للغيظ والغضب: فَسَقَ.

---

(١) انظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (٢/ ٣٦٣)، وانظر الإعانة على تقريب الشرح والإبانة ص(٣٩٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٢)، كلهم من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- **فأهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم:**

١ - يوالون الصحابة جميعاً.

٢ - يترضون عنهم.

٣ - يُنزلونهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

٤ - يتبرؤون من طريقة الروافض الذين يكفرون الصحابة ويعبدون أهل البيت.

٥ - ويتبرؤون من طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت وينصبون لهم العداوة.

٦ - أمَّا الحروب والخلافات التي حدثت بين الصحابة، **فموقف أهل السنة منها هو:**

الترضي عنهم، والإمساك عن الخلافات التي حدثت بينهم، وعدم إشاعتها، وعدم ذكرها؛ لأن إشاعتها تجعل في القلوب شيئًا على الصحابة، وأن ما صدر عنهم من الخلاف، فالأمر فيه كما فصل شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: إن الخلاف الذي حدث بين الصحابة منه:

١ - ما هو كذب لا أساس له من الصحة.

٢ - ومنه ما له أصل لكن زيد فيه ونقص وَغُيِّرَ عن وجهه.

٣ - ومنه ما هو صحيح، وهذا الصحيح:

أ - هم فيه ما بين مجتهد مصيب له أجران.

ب - وما بين مجتهد غير مصيب له أجر واحد.

والصحابة ليسوا معصومين؛ بل قد يقع من الواحد منهم كبيرة، لكن إذا وقع في الكبيرة فهو:

- إما أن يُوفّق للتوبة التي يمحو الله بها الذنب.

- أو تقع عليه مصائب يُكَفِّرُ اللهُ بها ذنبه.

- أو تكون له حسنات ماحية.

- أو يشفع له فيها النبي ﷺ يوم القيامة إذا أذن الله له بذلك، فهم أولى الناس بشفاعته في مثل هذه الذنوب المحققة.

- **وينبغي للمسلم حتى يَسْلَمَ في هذا الباب**، أن يقرأ في كُتب أهل السنة والجماعة مثل: العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام - فهي تشمل معتقد أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة مختصرة - وكتاب العواصم من القواصم، وهو كتاب جيد لابن العربي، المالكي، وكتاب مختصر السيرة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومختصر السيرة لابنه عبد الله، فهذه كتب جيدة في هذه المباحث(١).

❁ ❁ ❁

(١) ونُحذِّر من الأشرطة التي تُنشر وفيها سبٌّ للصحابة، مثل: أشرطة طارق السويدان، فإنه يذكر فيها الخلاف الذي حدث بين الصحابة، فَيَمْتَلِئُ قلبُ المستمع غُصة على الصحابة، فأشرطة هذا الرجل لا ينبغي نشرها، وقد حذرنا منها ومنه قديماً، وحذَّرَ منه سماحة شيخنا عبدالعزيز بن باز ﵀ وغيره، وإن كان له بعض الأشرطة فيها كلام طيب لكن عليها بعض الملاحظات؛ أما أشرطته عن الصحابة بالذات فهذه لا ينبغي سماعها، بل ينبغي إتلافها ومحوها، حتى لا تنتشر؛ لأن هذا خلاف معتقد أهل السنة والجماعة.
فعلى طارق السويدان - ومن حذا حذوه - أن يستغفر ربه، وأن يتراجع عما قاله عن الصحابة، وأن يعتقد ما يعتقده أهل السنة والجماعة، ويسلك مسلكهم.

## النفاق هو الكفر

والنفاق هو الكفر أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقوله ﷺ: «ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق»(١) هذا على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نفسرها، وقوله ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض»(٢)، ومثل: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»(٣)، ومثل: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(٤)، ومثل: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»(٥)، ومثل: «كفر بالله تبرؤ بالنسب وإن دق»(٦)، ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحفظ فإنا نسلم له، وإن لم نعلم تفسيرها، ولا نتكلم فيها، ولا نجادل فيها، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت، لا نردها إلا بأحق منها.

### الشَّرح

**النفاق**: مشتق من النافقاء، والنافقاء: جحر اليربوع الخفي، وذلك

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٨)، ومسلم (٦٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن ابن عباس، وابن مسعود، وجرير رضي الله عنهم.
(٣) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.
(٥) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٦) أخرجه ابن ماجه (٢٧٤٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢١٥)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٨٧) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أن اليربوع له جحران: جحر ظاهر؛ وجحر خفي، فالجحر الظاهر يقال له: القاصعة، والجحر الخفي يقال له: النافقاء، فله جحر ظاهر يعرفه كل أحد، وله جحر خفي، وذلك أنه يحفر في الأرض حتى يخرق الأرض، فإذا خرقها وصار جحراً كاملاً جعل فوقه تراباً لا يعلم عنه أحد، فإذا دخل مع جحره القاصع المعروف، ثم جاءه عَدُوٌّ دَفَعَ برأسه التراب الذي في الجحر الخفي، وخرج منه؛ طلباً للنجاة.

فكذلك المنافق له باطن وله ظاهر، باطنه الكفر، وظاهره الإيمان، وكذلك النافقاء الذي يحفره اليربوعُ، ظاهره أنه تراب، وباطنه حفر. فهذا وجه اشتقاق المنافق من هذه الكلمة.

○ وأشار بقوله: (والنفاق: هو الكفر، هو أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ) إلى ما يُسمَّى بكفر النفاق؛ لأن الكفر أنواع، والكفر معناه في اللغة: الستر والتغطية، ومنه سمي الزارع كافراً؛ لأنه يستر الحَبَّ في التراب، قال تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكذلك الكافر سمي كافراً؛ لأنه يستر الحق ويغطيه بكفره وضلاله.

- **الكفر في الشرع أنواع؛ وهو ينقسم إلى قسمين:**

القسم الأول: الكفر الأكبر الذي يُخرج من الملة، **وهو أيضاً أنواع:**

**النوع الأول:** كفر النفاق ـ وهو الذي ذكره المؤلف ـ وهو: أن يكفر بالله ويعبد غيره في الباطن؛ يعني: يُظهر الإسلام في العلانية، وأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ هذا في الظاهر، لكنه في الباطن مُكَذِّبٌ لله ولرسوله، **مثل:** المنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، كعبدالله بن أُبيّ بن سلول. فهؤلاء المنافقون الذين كانوا يُظهرون الإسلام على عهد النبي ﷺ، ويصلون مع النَّبِيّ ﷺ،

ويجاهدون؛ هم كفرة في الباطن، وإنما فعلوا ذلك حتى تسلم دماؤهم وأموالهم؛ لأنهم لو أظهروا الكفر، لقُتِلوا وأُخذت أموالُهم.

**والنفاق إنما يوجَد إذا قوي الإسلام**؛ لأنه عند ضعف الإسلام يُظْهِرُ الكفارُ كفرهم ولا يبالون، لكن إذا خافوا من المسلمين أخفوا كفرهم ونفاقهم. **فالمنافق تعريفه إذن**: هو الذي يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، والله تعالى ذكر في أول سورة البقرة، ثلاثةَ أصناف: الصنفَ الأول: المؤمنين ظاهراً وباطناً؛ ذكرهم في أربع آيات: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٣] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥] ثم ذكر الكفار في الظاهر والباطن في آيتين في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦]، وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، ثم ذكر المنافقين الذين هم كفار في الباطن، ومسلمون في الظاهر، في ثلاث عشرة آية، وَجَلَّى أوصافهم وبَيَّنَ خُبثهم وشرهم؛ لأنهم يعيشون بين المسلمين، وهم يدبرون المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين.

**فذكر من أوصافهم**: أنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: في الظاهر: ﴿... وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: في باطن الأمر وحقيقته.

**ومن أوصافهم**: الخداع، كما قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٩].

**ومن أوصافهم**: أنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة:١٤]؛ يعني: أظهروا الإيمان: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤]؛ أي: أظهروا الكفر.

**ومن أوصافهم**: أنهم يسمون الإيمان سَفَهاً، ويصفون المؤمنين بالسفه.

ومنها: استهزاؤهم بالمؤمنين.

ومنها: أن الله تعالى ذكر لهم، مثلاً مائياً ومثلاً نارياً: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] هذا المثل الناري: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] هذا هو المثل المائي. والله تعالى ذكر المنافقين، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وذكر في سورة النساء، وفي سورة التوبة كثيراً من أوصافهم وَجَلَّاهَا، وَلَمَّا جعل يذكر أوصافهم بقوله: ﴿وَمِنْهُم﴾، و﴿مِنْهُمْ﴾ و﴿مِنْهُمْ﴾، خشي المنافقون أن يُسَمَّوا بأسمائهم.

وكذلك ذكر الله أوصافهم في سورة محمد.

بل في القرآن سورة خاصة سُمِّيَتْ باسمهم، وهي سورة «المنافقون»؛ لعظم ضررهم على الإسلام والمسلمين؛ ولأنهم عدو خفي، فالعدو الظاهر الذي ظاهره وباطنه الكفر، تأخذ حِذْرك منه؛ لأنك تعرف أنه يهودي، أو نصراني، أو وثني، أو شيوعي.

لكن المصيبة في العدو الخفي: الذي يُظهر الإسلام، ويُبطن الكفر ويعيش بين المسلمين، ويدبر المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين، ولذلك صار عذابهم أشد؛ في دركةٍ سفلى تحت دركة اليهود والنصارى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]؛ **لأنهم وافقوا** اليهود والنصارى والوثنيين في الكفر، **وزادوا** عليهم في الخداع؛ **فزاد عذابهم**، قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٨]؛ يعني: يقولونه بألسنتهم فقط، دون مطابقة ما يقولونه لقلوبهم، والحقيقة: ﴿... وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]؛ أي: بقلوبهم. وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]؛ يعني: هذه الشهادة في الظاهر، ثم قال في آخرها: ﴿... وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١] في

الباطن، وكانوا في زمن النبي ﷺ، وكان رئيسهم عبدالله بن أُبي بن سلول.

### ۞ تسميات المنافقين بعد عهد النبوة:

**صار يُسمَّى المنافقُ، بعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ:**

١ ـ زنديقاً؛ والزنديق كلمة فارسية في الأصل، وكذلك يطلق الزنديق على الجاحد المعطل.

٢ ـ ثم صاروا يُسَمَّون في زمننا الآن بـ(العلمانيين)، فالعلمانيون هم المنافقون، وهم يعيشون بين المسلمين، ويدبرون المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين، ويتصلون بالكفرة وباليهود وبالنصارى، ويسعون لنشر الفساد والشر بيْن المسلمين، هؤلاء العلمانيون هم المنافقون، وهم الزنادقة، وهم في كل وقت يُوجَدُون.

ـ ولكن كونهم الآن لا يُظهرون كفرهم؛ هذا دليلٌ على قوة المسلمين، وقوة أهل الخير، وقوة أهل الصلاح، فالحمد الله على ذلك.

كما أنه لمَّا كان النبي ﷺ في مكة، لم يكن فيها منافقون؛ لأن الكفار كانوا هم الأقوياء، وكانوا يظهرون كفرهم، لكن بعد غزوة بدر؛ لما أعز الله الإسلام وأهله، ونصر الله نبيه وحزبه، وقُتِل سبعون من صناديد قريش، وَأُسِرَ سبعون: أظهر عبدُالله بن أُبي وَمَنْ معه من المنافقين الإسلام وأبطنوا الكفر؛ خوفاً على أنفسهم، وأموالهم.

**إذن: نَجَمَ النفاق وظهر بعد غزوة بدر، بعد قوة المسلمين.**

* وَكُفْرُ النفاق أنواع منها:

١ ـ تكذيب الله في الباطن.

٢ ـ التكذيب ببعض ما جاء عن الله.

٣ ـ تكذيب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٤ ـ التكذيب ببعض ما جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٥ ـ بُغْضُ الله.

٦ ـ بُغْضُ رسول الله ﷺ.

٧ ـ السرور والفرح بضعف الإسلام والمسلمين، وانخفاض دين الرسول ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ فإذا ضعف الإسلام والمسلمين؛ فرح واستبشر.

٨ ـ الكراهية لانتصار الإسلام والمسلمين، فإذا انتصر الإسلام والمسلمون؛ كره ذلك.

ـ وإن شئتَ ـ كما ذكر العلماء ـ أن تقول: النفاق ستة أنواع:

تكذيب الله؛ تكذيب الرسول ﷺ؛ بغض الله؛ بغض الرسول، المسرة لانخفاض دين الرسول؛ الكراهية لانتصار دين الرسول.

مَنْ اتصف بواحد من هذه الأمور، فهو في الدرك الأسفل من النار؛ تحت اليهود والنصارى، وهو كافر كفر النفاق الذي هو نوع من أنواع الكفر الأكبر.

**النوع الثاني**: كفر الجحود والتكذيب، كأن يكذّب اللهَ، ويكذّب رسولَه، والأدلة على هذا ـ كما تقدم ـ؛ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة: ٨].

فيكذِّب ويجحد في الظاهر والباطن، فيكون الفرق بينه وبين كفر

النفاق، أن الجحود في كفر النفاق يكون في الباطن، لا في الظاهر، وأما كفر الجحود والتكذيب ـ المقصود هنا ـ فهو جحودٌ وتكذيبٌ في الظاهر والباطن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٨].

**النوع الثالث**: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق وهو: أن يقابل أمر الله، أو أمر رسوله بالإباء والاستكبار، وإن كان مصدقاً، **مثل**: كفر إبليس؛ فهو مصدق لكن قابل أمر الله بالإباء والاستكبار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]. فمن استكبر عن عبادة الله، كما استكبر إبليس؛ فهو كافر. **ومثل**: كُفْرُ فرعون، لأنه مستكبر كما ذكر الله عنه أنه قال: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٧]. **ومنه أيضاً**: كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧]. **ومنه أيضاً**: كُفْر أبي طالب، عم الرسول ﷺ، فإنه كان مصدِّقاً، ولكن منعه الكِبْرُ عن الإيمان بالله وبرسوله؛ فإنه لما حضرته الوفاةُ دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «**أيْ عَمّ، قلْ: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله**» فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية: يا أبا طالب: ترغبُ عن ملة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلمانه حتى كان آخر شيء كلَّمهم به ومات عليه؛ أنه على ملة عبد المطلب؛ فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**»؛ فنزلتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦][(١)]. فأبو طالب دعاهُ النبي ﷺ إلى الإسلام فأبى واستكبر أن

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٤) واللفظ له، ومسلم (٢٤).

يشهد على آبائه وأجداده بالكفر؛ فكان مستكبراً عن عبادة الله، واتباع الرسول ﷺ، وإلا فهو مصدق؛ بدليل قوله:

**ولقد علمتُ بأن دين محمدٍ ... من خير أديان البرية دينا**
**لولا الملامة أو حذار مسبةٍ ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا**

يقول: أخشى من الملامة، وأحذر من سب آبائي وأجدادي، وأن أشهد عليهم بالكفر! لا أشهد عليهم بذلك؛ فكان بهذا مستكبراً عن عبادة الله، واتباع رسوله ﷺ.

**ومن هنا يغلط كثير من الناس الذين يقولون:** لا يشترط جنس العمل في الإيمان، وليس هو من الإيمان، ومَنْ لم يأت بجنس العمل؛ فهو ناجٍ، وهذا مذهب باطل؛ لأنه لابد أن يأتي بالعمل في الباطن، ولا بد له من عمل في الظاهر يتحقق به الإيمان، وإلا صار مستكبراً كإبليس وفرعون؛ فكلاهما مصدِّقٌ بباطنه، لكن لا أثر لذلك التصديق في الظاهر؛ **فَعُلِمَ بذلك: أنه لابد من العمل، وأن جنس العمل لابد منه.**

وكذلك الذي يعبد الله ويصلي، ويصوم؛ لا بد له من تصديقٍ في الباطن، يصحح له الإيمان، وإلا صار كإسلام المنافقين الذين يصلون ويصومون لكن في الباطن ليس عندهم تصديق يصحح هذه الأعمال، كما أن إبليس وفرعون مُصَدِّقان في الباطن، لكن ليس لديهما عمل يتحقق به هذا التصديق. **إذن لابد من أمرين:**

١ - عمل يتحقق به التصديق في الباطن.

٢ - تصديق في الباطن يتحقق بالعمل.

فالتصديق في الباطن لا بد له من عمل يتحقق به، والعملُ لابد له من تصديق في الباطن يصححه.

**النوع الرابع:** كفر الشك والظن، كأن يشك في ربوبية الله، أو يشك في ألوهيته، أو يشك في الملائكة جميعهم، أو في ملَك من

الملائكة، أو يشك في رسول من الرسل، أو يشك في الجنة، أو يشك في النار، أو يشك في البعث، أو يشك في قيام الساعة؛ فالشاك في قيام الساعة: كافرٌ؛ كما قال تعالى عن صاحب الجنة: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]. هذا هو الشك: ﴿... وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٦] ثم قال: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ﴾ [الكهف: ٣٧]؛ لأن كفرَه كان بالشك في الساعة، كما دل عليه السياق.

**النوع الخامس**: كفر الإعراض، وهو أن يعرض عن دين الله لا يتعلمه، ولا يعمل به، ولا يعبد الله، فهذا المعرض يكون كافراً بهذا الإعراض؛ قال الله تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣] **ومن ذلك**: «أن رجلاً ـ مِنْ بني عبد ياليل ـ، لما عرض عليه النبي ﷺ الإسلام، قال: والله لأقول لك كلمة؛ إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنتَ كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك، ومشى وتركه»(١). فهذا قد يقال: إنه شاك، لكن لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن آيات صِدْق الرسول ﷺ جملةً؛ وانصرف عنه؛ فيكون معرضاً، لكنه إن لم ينصرف ويُعرض ونظر في آياتِ صِدْق الرسول؛ فإنه لابد أن يؤمن أو يكذب، فهو بين أحد أمريْن: إما التصديق، وإما التكذيب.

**وكل هذه الأنواع الخمسة**: كفرٌ أكبر مخرج من الملة، وصاحبها مخلد في النار، وهي ـ كما سبق ـ: كفر النفاق، وكفر التكذيب والجحود مع التصديق، وكفر الإباء والاستكبار، وكفر الشك والظن، وكفر الإعراض.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٤٤، ٤٤٥)، والبداية والنهاية (٣/ ١٣٥)، ومدارج السالكين (١/ ٣٣٨)، والكامل في التاريخ (١/ ٦٠٧).

ـ **والشرك كذلك نوعان:**

شرك يُخرج من الملة، وهو: أن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، أو يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام، كأن يسب الله، أو يسب الرسول ﷺ؛ فيكون مشركاً شركاً أكبر.

ـ **والظلم أيضا نوعان:**

الظلم الأكبر المخرج من الملة، وهو ظُلْم الشرك والكفر.

ـ **وكذلك الفسق نوعان:**

يكون فسقاً أكبر، وهو فسق الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [البقرة: ٩٩]، والفسوق الأكبر يخرج من الملة مثالُه: فِسْقُ إبليس، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]؛ يعني: فسق فسوق كفر.

ـ **والجهل كذلك نوعان:**

فالجهل الأكبر المُخرج من الملة هو: جهل الكفر والشرك.

**ويقابل هذه الأنواع** من الكفرِ الأكبر، والشركِ الأكبر، والظلم الأكبر، والفسقِ الأكبر، والجهلِ الأكبر، والنفاقِ الأكبر: الكفرُ الأصغر، والشركُ الأصغر، والظلمُ الأصغر، والفسقُ الأصغر، والجهلُ الأصغر، والنفاقُ الأصغر، وهو في هذه الأنواع كلِّها، غير مخرج من الملة.

ـ **حدُّ الكفر الأصغر:**

كل ما ورد تسميته من الذنوب شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، وليس ناقضاً للإسلام، ولا شركاً في العبادة؛ فإنه يكون شركاً أصغر، وكذلك ما اعتُبر تسميته من الذنوب كُفراً، وليس واحداً من

أنواع الكفر الخمسة؛ فهو أصغر.

﴿ والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر من أنواع الكفر الأكبر: النفاق، وقال: (النفاق هو الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ) يعني: عبدالله بن أُبي وغيره.

القسم الثاني: ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ النفاق الأصغر، فقال: (وقوله: «**ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق**» هذا على التغليظ) المذكور في هذا الحديث هو النفاق الأصغر، وهذا هو **المثال الأول**، ولفظ الحديث عند مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثٌ من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[1] وفي لفظ البخاري: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[2]، وفي الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن**»، وفي رواية: «**خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا واعد أخلف، وإذا خاصم فجر**»[3].

هذا الحديث ذكر فيه ﷺ النفاق الأصغر؛ وهو نفاقٌ في العمل، وأمَّا النفاق الأكبر، فإنه يكون في القلب، كما سبق تعريفُهُ، وهذا النفاق الأصغر لا يُخرج من الملة، **ومن أمثلته**: أن صاحبه إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر، وهو أنواع؛ هذا أبرزها.

وفي حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى**

---

(١) أخرجه مسلم (٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨).

**يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا واعد أخلف، وإذا خاصم فجر» قال العلماء:** كل واحدة من هذه الخصال معصية، لكن إذا اجتمعت في الإنسان هذه الأربع كلها، واستحكمت وكملت؛ فإنها تجره إلى النفاق الأكبر، ولهذا قال: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها**». وأشار المؤلف إلى أن حديث: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق**»، قيل على سبيل التغليظ؛ يعني: أن الرسول ﷺ أراد أن يتوعد صاحب المعاصي، ويبيّن عِظَمَهَا، ولم يُرد أنها نفاق أكبر؛ لأن النفاق الأكبر قد بينه المؤلف فيما سبق، وهو: أن يكفر بالله ويعبد غيره في الباطن، ويُظهر الإسلامَ في العلانية مثل المنافقين، وأما الخصال الواردة في حديث: «**ثلاث من كن فيه كان منافقاً**». فهذه معاصٍ وكبائر، سَمَّاها النبي نِفَاقاً؛ للتغليظ والوعيد، وهي لا تصل إلى حد الأكبر، ولا تُخرج من الملة، لكنها من الكبائر.

○ وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (نرويها كما جاءت ولا نفسرها)؛ يعني: لا نفسرها تفسيراً يخالف ظاهرها، بل تُروى كما جاءت، حتى تفيد الزجر والوعيد، كما يقول أهل العلم، ولكن نُبَيِّنُ أنها لا تُخرج من الملة لمن قد يحتاجُ إلى معرفة ذلك من أهل العلم، لكن لا تُفسر للعامة، وتُترك هكذا؛ حتى تفيد الزجر، ولهذا قال: (هذا على التغليظ نرويها كما جاءت ولا نفسرها)؛ أي: للعامة، ولا نفسرها أيضًا تفسيرًا يخالف ظاهرها.

**المثال الثاني:** الذي ساقه المؤلف، وهو مما يدخل في هذا المعنى حديث: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١)

(١) أخرجه البخاري (٦٨٦٨)، ومسلم (٦٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن ابن عباس، وابن مسعود، وجرير رضي الله عنهم.

وموضع الشاهد منه قوله: «**كفاراً**».

- **لكن هل القتال بين المسلمين، كفر يُخرج من الملة؟**

▪ **الجواب**: أنه لا يُخرج من الملة إلا إذا استحله، واعتقد أنه حلال ورأى ذلك؛ ففي هذه الحال يكون اقتتاله كفراً أكبر؛ لأنه استحل أمراً معلوماً من الدين بالضرورة تحريمه، فإذا استحل قَتْلَ أخيه، أو قَتْلَ نفسه، أو استحل الزنى، أو الربا، أو الخمر، صار كافراً الكفر الأكبر بهذا الاعتقاد، أما مجرد القتل، أو الزنى، أو السرقة، وهو يعلم أنه عاصٍ، فهذا يكون معصية كبيرة، لا تُخرج من الملة.

وهذا الحديث رواه الشيخان: البخاري ومسلم، وغيرهما، عن جرير بن عبدالله ﵁، أن النبي ﷺ، قال له في حجة الوداع: «**اسْتَنْصِتِ الناسَ، فقال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»(١)؛ يعني: لا يقتل بعضكم بعضاً، وقوله: «**كفاراً**»، هذا أيضاً على التغليظ؛ يعني: أنه من باب الوعيد، فهو كفر أصغر.

**المثال الثالث**: ومثل قوله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**». وهو حديث صحيح، رواه الشيخان: البخاري، ومسلم، وغيرهما، من طريق الأحنف بن قيس، عن أبي بكرة ﵁، مرفوعًا: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»(٢)، فهذا أيضاً: على التغليظ والزجر، وليس المراد أنهما يُخلدان في النار أبد الآباد؛ لأنه قال: «**إذا التقى المسلمان**»؛ فسمَّاهما مسلمَيْن، لكن إذا استحله صار بذلك كافراً. **وليس من هذا الباب**: قتال الصحابة فيما بينهم؛ لأنه إنما وقع عن اجتهاد وعن تأويل؛ إذن فالقتالُ عن اجتهاد وتأويل، ليس من هذا الباب، لكن إذا كان القتال عن هوى وعصبية،

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨)، من حديث أبي بكرة ﵁.

وبغي، وعدوان، وطاعة للشيطان، فهذا الذي يَنْصَبُّ عليه الوعيد.

وقوله: «**في النار**»؛ يعني: أنه متوعد بالنار، وإذا دخلها فلا يخلد فيها.

**المثال الرابع**: حديث: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[(١)]، وهو حديث صحيح. وقوله: «**وقتاله كفر**» هذا أيضاً من باب الوعيد والتغليظ كما قال المؤلف. **فيكون القتال على هذا**:

كفراً لا يُخرج من الملة، إلا إذا استحله.

**المثال الخامس**: قوله ﷺ: «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**». هذا الحديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»[(٢)]، وفي لفظ: «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**». فقوله: «**وإلا رجعت عليه**»[(٣)]، **هل يفيد هذا اللفظ أنه يكون كفراً مخرجاً من الملة، أو لا يكون كذلك؟**

■ **الجواب**: أنه لا يخرج من الملة؛ لأنه معصية، وكبيرة من كبائر الذنوب، إلا إذا استحله.

○ وذكر المؤلف في هذا الباب حديث: «**كفرٌ بالله تبرؤ من نسب وإن دق**»[(٤)]. وهو حديث حسن. **ومعناه**: أن الإنسان إذا انتسب إلى غير أبيه؛ فقد كَفَرَ.

**ومثله**: ما جاء في الحديث الآخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «**لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر**»[(٥)]. وكذلك من انتسب

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) (١١٦، ١١٧)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٧٤٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٢١٥)، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٦٧٦٦)، ومسلم (٦٣).

من الموالي إلى غير مواليه؛ فقد كفر.

● **فهل الكفر في هذه النصوص، هو الكفر المُخرج من الملة؟**

▣ **الجواب**: أن الكفر المذكور في هذه الأحاديث كفرٌ أصغر وكبيرة من كبائر الذنوب. وهذا على التغليظ كما قال المؤلف؛ لأنه ليس جحوداً وليس شركاً في العبادة.

**وقد يُضاف إلى ما سبق**: كفرُ النعمة؛ الوارد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢]. فهذا كفر أصغر لا يخرج من الملة.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ولهذا قال المؤلف: (ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحُفظ فإنا نسلّم له)؛ أي: نسَلِّم بأنه حديث للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ↄ وقوله: (وإن لم نعلم تفسيرها)؛ يعني: الذي يخالف ظاهرها.

ↄ وقوله: (ولا نتكلم فيها، ولا نجادل فيها، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت) يعني: نُبْقِيها كما وردتْ، ولا نفسرها تفسيراً يخالف الظاهر. وقال: (لا نردها إلا بأحق منها).

**فجمهور أهل السنة يرون** أن تسميتها كفراً على الحقيقة إلا أنها كفر أصغر.

**وأما الأحناف فيقولون**: تسميتها (كفراً)، هو من باب المجاز، والكفر الحقيقي إنما هو الكفر الأكبر.

**والصواب**: أنه كفر حقيقي، لكن لا يُخرج من الملة.

ـ **ومثل الكفر الأصغر في هذا الباب**: الشرك الأصغر، الذي لا يُخرج من الملة، وهو ما ورد تسميته من الذنوب شركاً، ولم يصل إلى

حد الشرك الأكبر، مثل: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(١) ومثل: لَمَّا قال رجل للنبي ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده**»(٢)، **ومثل**: قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: «الأنداد: الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وتقول: لولا الله وفلان، وتقول: لولا هذا؛ لأتى اللصوصُ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوص»(٣). فهذا كلّه، من الشرك الأصغر.

- **وكذلك الظلم الأصغر**، هو ظلم المعاصي؛ كالمذكور في قوله تعالى: ﴿... وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩]؛ أي: يتعدى حدود الله في الرجعة والطلاق؛ فهذا ظلم أصغر، وهو ظلم المعاصي.

- **وكذلك: الفسق الأصغر**، وهو فسق المعاصي كالمذكور في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤]؛ هذا مثالٌ على فسق المعاصي.

- **وكذلك الجهل الأصغر**، وهو جهل المعاصي، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]؛ يعني: يعملون المعصية بجهالة، فالمقصود: الجهالة الصغرى، وهي جهالة المعاصي.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، والترمذي (١٥٣٥)، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٤٣٥٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٩٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٧)، وابن ماجه (٢١١٧)، وأحمد في المسند (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٦٢) برقم (٢٢٩) وإسناده لا بأس به.

## الخلاصة:

تلَخَّص أن الكفر يكون أكبر، ويكون أصغر، وأن الأكبر خمسة أنواع، وهي التي سبق سَرْدُها.

وأما الكفر الأصغر فهي المعاصي التي سُميت كفراً ولم تصل إلى حد الأكبر، وقد ذكر المؤلف منها ستة أمثلة.

- وكذلك الشرك نوعان: أكبر، وهو المخرج من الملة، وهو: أن يكون ناقضاً من نواقض الإسلام، أو شركاً في العبادة. والشرك الأصغر: فهي المعاصي التي سُمّيتْ شركاً، ولم تصل إلى حد الأكبر، مثل: الحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت؛ ولولا الله وفلان.

- وأيضاً الظلم نوعان: ظلم أكبر، وهو ظُلْمُ الكفرِ والشركِ، وظلمٌ أصغر، وهو ظُلْمُ المعاصي.

- والفسق كذلك نوعان: فسقٌ أكبر، وهو فسق الكفر والشرك، وفسقٌ أصغر؛ وهو فسقٌ المعاصي.

- والجهل أيضاً نوعان: جهلٌ أكبر؛ وهو جهلُ الكفرِ، وجهلٌ أصغر؛ وهو جهل المعاصي.

## الجنة والنار مخلوقتان

والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت قصرا ورأيت الكوثر، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا، واطلعت في النار فرأيت كذا، وكذا»(١) فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار، ومن مات من أهل القبلة موحدا يصلى عليه ويُستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرا كان أو كبيرا، أمره إلى الله تعالى، آخر الرسالة، والحمد لله وحده وصلواته على محمدٍ وآله وسلم تسليما.

### الشَّرح

يبين المؤلف رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالجنة والنار، وأنَّ مَنْ أنكرهما؛ فهو كافر؛ لأنه مكذِّب لله ولرسوله، فقد قال الله تعالى عن الجنة: ﴿... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿... أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، وقد أخبر سبحانه أنه أعد للمؤمنين النعيم العظيم؛ فقال: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ٨٩]؛ كما أخبر في الآيات أنه أعدَّ للكفار عذاباً أليمًا؛ فقال: ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: ٨].

**فالنصوص في هذا كثيرة، قطعية الدلالة**، ولهذا كان مَنْ أنكر وجود الجنة، وأنكر وجود النار: كافراً؛ لأنه مكذب لله، ومكذب

(١) هذه ثلاثة أحاديث أدمجها الإمام أحمد رحمه الله، وسيأتي تفصيلها إن شاء الله في الشرح.

لرسوله، ولأنه لم يؤمن باليوم الآخر؛ الذي يشمل: الإيمان بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، والصراط، والميزان؛ إذ كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكر الجنة والنار، فهو مكذب أيضاً باليوم الآخر.

- والجنة والنار، موجودتان الآن، ومخلوقتان؛ قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (والجنة والنار مخلوقتان، كما جاء عن رسول الله ﷺ).

- **ثم ذكر الأدلة، منها:**

الأول: ما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً**»(١).

الثاني: ما رواه جابر رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «**دخلت الجنة فرأيت فيها داراً أو قصراً، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك، فبكى عمر، وقال: أي رسول الله، أو عليك يُغار؟!**»(٢)، فهذا دليل على أن الجنة ثابتة موجودة، وأنها مخلوقة الآن.

الثالث: قوله ﷺ: «**ورأيت الكوثر**»، وهذا الحديث وَرَدَ من طريق قتادة، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر**»(٣)، والكوثر؛ يعني: الحوض، ويصب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة، فالنهر الذي في الجنة، وحوض النبي ﷺ في موقف القيامة، الذي يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر الذي في الجنة، كل منهما يُسمى كوثراً؛ ولهذا قال: «**هذا الكوثر الذي أعطاك ربك**»، وهو الحوض في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٢٦)، ومسلم (٢٣٩٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم فيما قبله واللفظ للإمام مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨١)، واللفظ له، ومسلم (٤٠٠) بمعناه.

موقف القيامة، وجاء من صفته، ـ كما تقدمْ ـ، «**فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر**». وورد في الأحاديث أن الحوض أوانيه عدد نجوم السماء، وأن طوله مسافة شهر، وأن عرضه مسافة شهر، وأنه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحاً من المسك.

الرابع: من الأدلة التي استدل بها المؤلف على وجود الجنة والنار، وأنهما الآن مخلوقتان؛ قوله ﷺ: «**واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**». وهذا وَرَدَ من حديث عمران بن حصين ﵁، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعتُ في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء**»[(١)]. لكن المؤلف أبهم ولم يصرِّحْ؛ لشهرة هذه الأحاديث.

- **والسبب في كون الفقراء أكثر أهل الجنة**، أنهم في الغالب هم الذين يستجيبون للرسل ويؤمنون بهم؛ لأنه ليس هناك مانع يمنعهم من الإيمان، بخلاف أصحاب الأموال والرئاسات، فقد تمنعهم أموالهم وشهواتهم ومناصبهم من الانقياد لشرع الله ودينه، والإيمان بالرسل.

- وقوله ﷺ: «**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»، جاء في الحديث الآخر بيان سبب ذلك؛ وهو: أن امرأةً سألت النبيَّ ﷺ، فقال: «**لأنكنَّ تُكْثِرْنَ اللعنَ، وَتَكْفُرْنَ العشير**»[(٢)] **والعشير**: الزوج، فسبب دخولكن النار، أنكن تكثرن اللعن والشتام، وَتَكْفُرنَ العشيرَ؛ يعني: تُنْكِرْنَ إحسانَ الزوج.

وجاء في اللفظ الآخر: «**لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر، ثم رأت**

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤١)، من حديث عمران بن حصين ﵁، وفي الباب عن ابن عباس ﵄ ذكره البخاري معلقاً (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري ﵁، وفي الباب عن ابن عمر ﵄، أخرجه مسلم (٧٩).

**منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط»**[١]؛ يعني: يُسارعن إلى إنكار الجميل السابق.

ـ لكن جاء في حديث آخر أن النساء أكثر أهل الجنة، وذلك فيما رواه أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهما زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن...**»[٢] الحديث.

**وتفسير هذا:**

أنَّ كلّ مؤمن في الجنة له زوجتان، هذا على وجه العموم، وهناك من المؤمنين من له زوجات كثيرة، وليس في الجنة أعزب، فالجنة إذن فيها الحور العين، وفيها المؤمنات، فإذا جمعت الحور العين والمؤمنات في الجنة، وما لكلِّ مؤمن من الزوجات، صار أكثر أهل الجنة النساء؛ من الحور العين، ونساء المؤمنين.

*** المخالفون في أن الجنة والنار موجودتان الآن:**

أشار المؤلف رحمه الله بقوله: (فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار)، إلى **المعتزلة والقدرية**؛ الذين يقولون: إن الجنة والنار لم تُخلقا الآن، وإنما تخلقان يوم القيامة،؛ يعني: أن الجنة والنار معدومتان الآن، فإذا جاء يوم القيامة خلقهما الله!

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٩٠٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٣٤).

**شبهتهم:**

اعتمدوا في هذا الإنكار على عقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، فقالوا:

الجنة إنما يدخلها المؤمنون يوم القيامة، وكذا النار يدخلها العُصَاةُ والكُفار، فإذا كان ذلك كذلك، فلا حاجة إلى خلقهما الآن؛ لأن من العبث أن تبقيا هكذا مُددًا طويلة، ولا أحد فيهما، بلا جزاء؛ ولا حساب!!

**الجواب عنها:**

الحقيقة أن هذه شبهة فاسدة؛ لأنها في مقابل النص، وأنتم أيها المنكرون قد صادمتم كتاب الله وسنة رسوله، كيف تقولون: إنهما لم تخلقا؟!

*** الأدلة على وجود الجنة والنار الآن:**

١/ أن الله أخبر أنهما قد خُلقتا، فقال عن الجنة: ﴿... أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار﴿... أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، فقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ بصيغة الماضي، دليل على أنهما خُلقتا. فكيف تصادمون النصوص؟!

٢-٤/ أن الأحاديث التي ذكرها المؤلف صريحة في ذلك، كقوله: «**دخلت الجنة فرأيت قصراً**»[١]، وهذا كان ليلة المعراج. فقوله: «**دخلتُ الجنة**» دليل قاطع على أنها موجودة، وإلَّا فكيف يدخلها النبي ﷺ، ويصف فيها أشياء غير موجودة، وقد قال: «**فرأيت قصراً**»، وقال كذلك: «**رأيت الكوثر**»، الذي هو نهر في الجنة؟!

وكذلك قوله: «**اطلعتُ في الجنة واطلعت في النار**»[٢]، كيف

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

يَطَّلع الرسولُ على شيء لم يُخلق؟!

٥/ ومن الأدلة أيضاً: ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال خُسِفَت الشمسُ على عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ، والناس معه؛ فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام قياماً طويلاً، وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع ثم سجد، ثم انصرف، وقد تجلت الشمس فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته**»، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكعت، فقال: «**إني رأيت الجنة أو رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط...**»(١).

وفي الحديث الآخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «**عُرضت عليَّ الجنة والنار آنفاً في عُرض هذا الحائط، فلم أر كالخير والشر**»(٢).

وقوله: «**عُرضت عَلَيَّ الجنة والنار آنفاً في عُرض هذا الحائط**»؛ يعني: كُشف له عنهما.

٦/ أن أرواح المؤمنين تُنعم في الجنة، وكذا أرواح الشهداء؛ قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨، ٥١٩٧)، واللفظ له، ومسلم (٩٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٥٩).

**القناديل»**[١]. وكذلك أيضاً فإن روح المؤمن ـ غير الشهيد ـ تنعم في الجنة؛ قال النبي ﷺ: **«إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة»**؛ يعني: يأكل: **«حتى يبعثه الله إلى جسده يوم القيامة»**[٢].

٧/ ثبت في الصحيحين أن ﷺ قال: **«العبد إذا وُضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؛ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة»**[٣].

٨/ والله تعالى قد قال في كتابه العظيم عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ [غافر: ٤٦]. وهذا الأمر يكون في البرزخ؛ أي: في القبر. فالنار موجودة، وفرعونُ ومَنْ معه يُعرَضون عليها غدواً وعشياً.

٩/ ثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: **«إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي»**[٤].

١٠/ ثبت في الحديث أنه يقال للكافر وللفاجر: **«افتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه»**[٥].

١١/ ثبت في الترمذي أن النبي ﷺ قال: **«لقيت إبراهيم ليلة**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧)، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٢)، واللفظ له، وابن ماجه (١٤٤٩، ٤٢٧١)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥٧)، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٧٩، ٣٢٤٠)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) سبق تخريجه.

**أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»**(١).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرستْ له نخلة في الجنة**»(٢).

إذن فالجنة موجودة، **والمعنى**: أنه يُزاد للمؤمن في غراسها، بزيادة الحسنة والثواب، ويُغرس له؛ زيادة على ما أعد الله له.

١٢/ حديث أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ، قال: «**لما خلق الله الجنة قال لجبرائيل: اذهب فانظر إليها، فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمكاره، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها. فَحَفَّها بالشهوات، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك فقد خشيت ألا يبقى أحد إلا دخلها**»(٣)، فهذا دليل من الأدلة على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، ويرد بها على المعتزلة الذين يقولون: إنهما تخلقان يوم القيامة.

١٣/ رؤية النبي ﷺ للجنة والنار ليلة أعرج به.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٢)، واللفظ له، وقال حديث حسن غريب، من حديث ابن مسعود ﷺ، وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري، وابن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤، ٣٤٦٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢٧)، وابن حبان في صحيحه (٨٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠١-٥٠٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح من حديث جابر ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، واللفظ له، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣-٤)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٩٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦-٢٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

فإذن: الجنة موجودة، بدلالة هذه النصوص وغيرها، فكيف يكون القول بخلقهما عبثاً كما يدَّعي هؤلاء؟!

فهذه أدلة جليّةٌ على أن الجنة والنار، موجودتان الآن، وفيها الرد على المعتزلة الذين يقولون: تُخلقان يوم القيامة.

● **مسألة: فناء الجنة والنار:**

■ **الجواب**: المسألة فيها أقوال **أولًا**: ذهب الجهم بن صفوان إلى أن الجنة والنار تفنيان جميعاً، فأنكر أهل السنة والجماعة عليه، وبدعوه، وضللوه، وصاحوا به؛ لأن قوله هذا قول فاسد مصادم للنصوص، والجهم كافر، وقد كَفَّر الجهميةَ خمسمائةُ عالم.

وهذا الجهم لما ناظره جماعة من فلاسفة الهند من (السُّمْنِيّة)، شك في ربه، وترك الصلاة أربعين يوماً ـ والعياذ بالله ـ، ثم نقش الشيطان في ذهنه أن الله موجود وجوداً مطلقاً؛ يعني: أنه لا يُثبت لله وجوداً إلا وُجوداً في الذهن فقط، ولازم هذا: إنكار وجود الله!!

فلا يستغرب منه قولُه: إن الجنة والنار تفنيان.

**ثانيًا**: قال أبو الهذيل العلّاف، ـ شيخ المعتزلة في القرن الثالث الهجري ـ بفناء حركات أهل الجنة والنار، وأنهم بعد مدة طويلة يجمدون، ويكونون مثل الحجارة؛ لا يتحركون!

وقد ناقشه الإمام ابن القيم[1] رحمه الله في النونية وفي غيرها، وشنّع عليه، وقال متهكماً به:

إذا جاء هذا اليوم الذي تفنى فيه الحركات ـ على فرض قولك ـ: فما حال من يتناول عنقوداً ثم فنيت الحركات فجأةً، هل يبقى على هذه الحال؟! ويبقى مفتوح الفم؟! وجعل يشنع عليه، ويذكر صُوراً من هذا القبيل.

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم النونية (٢/ ٣٣٧)، وحادي الأرواح (١/ ٣٤٩).

**فالمقصود:** أن هذا قول فاسد، وأفسدُ منه قولُ الجهم.

**ثالثًا:** روي عن بعض السلف أن النار تفنى بعد مُدد متطاولة، ويستدلون بآثار، لكن أكثر هذه الآثار ضعيفة، ومنها: ما روي عن عمر وغيره: «**لو لبث أهل النار في النار قدر رمل عالج، لكان لهم يوماً يخرجون منه**»[1]، وقالوا: فَرْقٌ بين خروج العصاة، وبين خروج الكفار؛ فالعصاةُ أُخرجوا وهي باقية، والكفار أُخرجوا منها بعد نهايتها، وَفَرْقٌ بين من يُخرج من الحبس؛ والحبسُ باقٍ، وبين من يُخرج من الحبس؛ لسقوط الحبس وانتقاضه: فالكفار ما أُخرجوا لكن هي التي انتهت.

ـ بعض أهل العلم جمع بينهما، وقال: ما روي عن بعض السلف بفناء النار، يُحمل على أن النار التي تفنى هي نار العصاة، وهي الطبقة العليا من النار، فإذا خرج العصاة منها، انتهت وَفَنِيتْ، وأما طبقات الكفار فهي باقية. وهذا القول حسن؛ لأن النار دركات، والدركة العليا فيها هي: دركة العصاة، أما دركات الكفرة، فلا تفنى.

**رابعًا:** أن الجنة والنار دائمتان أبداً، لا تفنيان ولا تبيدان، لما يلي من الأدلة:

١ ـ قال الله تعالى عن نعيم الجنة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧].

٣ ـ وكذلك قال عن النار: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥].

٤ ـ وقال سبحانه: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢٣].

٥ ـ وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

---

(١) خبر ضعيف لانقطاعه بين الحسن البصري، وعمر بن الخطاب ﷺ، رفع الأستار (١/٩).

٦ ـ وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

٧ ـ وقال: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧].

فكل هذه النصوص تدل على دوام الجنة والنار واستمرارهما.

**هذا هو الصواب الذي دلت عليه النصوص.**

○ وأشار الإمام بقوله: (فمن زعم أنهما لم تُخلقا؛ فهو مكذب بالقرآن، وأحاديث الرسول ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار)، إلى كفر المعتزلة، والمعتزلةُ كفَّرهم بعضُ أهل العلم، وبعض أهل العلم بَدَّعهم، وظاهر كلام الإمام أحمد كَلَلهُ أنه يكفرهم؛ لأنه قال: (فمن زعم أنهما لم تخلقا؛ فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ). والمكذب بهما كافر، والمعتزلة يزعمون أنهما لم تخلقا، وتخلقان يوم القيامة، **إذن**: فهم مكذبون بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ. ولهذا قال الإمام أحمد كَلَلهُ: (ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار) لأنه لو كان يؤمن بالجنة والنار لأثبتهما، وصَدَّقَ كلامَ الله وكلامَ رسوله، فقولهم هذا يفضي به إلى أنهم لا يؤمنون بالجنة ولا بالنار.

○ وقوله: (ومن مات من أهل القبلة موحداً؛ يُصلى عليه، ويُستغفر له، ولا يحجب عنه الاستغفار ولا تُترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أم كبيراً، وأمره إلى الله) يعني بأهل القبلة: الموحدون الذين يستقبلون القبلة في الصلاة ويصلون؛ كما في الحديث: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»[1] يعني به: من التزم بدين الإسلام، واستقبل القبلة في الصلاة، والذبح، ولم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام؛ فهذا مسلمٌ، له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، فلا يُحكم عليه بالكفر إلا إذا فعل ناقضاً من نواقض

(١) أخرجه البخاري (٣٩١)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وفي الباب عن البراء بن عازب ﷺ، أخرجه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

الإسلام، كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١). فمن مات من أهل القبلة؛ موحداً؛ يشهد لله بالوحدانية، وللنبي ﷺ بالرسالة، ولم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام، والتزم بمقتضى التوحيد وحقوقه، الذي هو العمل، منقاداً؛ فهو مؤمن، وإلا صار مثل إبليس، مستكبراً عن عبادة الله غير منقادٍ، مع أن إبليس مؤمن مصدق في الباطن، لكن ليس لديه انقياد لله ولرسوله.

ـ فلابد أن ينقاد لحقوقها، ولا بد أن يبتعد عما يناقضها، فإذا أشرك مع الله في العبادة، أو سب الله، أو سب الرسول ﷺ، أو قال: الصلاة غير واجبة، أو الزنا حلال، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، كإنكاره نبوة محمد ﷺ، أو قال: بعده نبي، أو قال: ليس خاتم النبيين، أو استحل محرماً مجمعاً على تحريمه، وغيرها من الصور الكثيرة التي تبطل التوحيد وتنقضه، كما ينقض الحدثُ الطهارةَ، فإن هذا لا يكون موحداً.

ـ **والمقصود**: أن من مات وهو ملتزم بأحكام الإسلام، ولم يُعلم عنه أنه فعل ناقضاً من نواقض الإسلام؛ فإنه يصلى عليه، ويُستغفر له، ولا يُحجب عنه الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أو كبيراً.

**والدليل**: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٨٤].

**وجه الدلالة:**

إذْ جعل العلة في كونهم لا يُصلى عليهم: الكفر؛ دليل على أن الكافر لا يُصلى عليه، ولا يُدعى له، ولا يُستغفر له، ولا يُحج عنه،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، واللفظ له.

والموحد يُصلى عليه، ويدعى له، ويُستغفر له، ويُحج عنه.

وهذه الآية نزلت بعد ما صلى النبي ﷺ على عبدالله بن أُبي.

**فالحاصل**: أنَّ مَنْ مات على ذنب؛ كالغيبة، أو النميمة، أو على كبيرة من الكبائر، فالأصل أنه يصلى عليه، ويُدعى له، ولهذا قال: (ولا يحجب عنه الاستغفار، ولا تُترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيراً كان أم كبيراً، وأمره إلى الله تعالى).

- لكن جاء في بعض الكبائر أنه لا يصلى على صاحبها، فقد ثبت «**أن النبي ﷺ لم يصلِّ على من قتل نفسه**»[1].

وثبت أنه لم يصلِّ على من عليه دَيْنٌ في أول الأمر، وقال: «**صلوا على صاحبكم**»[2].

**قال العلماء**: لا يصلي عليه أهلُ العلم؛ تحذيراً للأحياء أن لا يفعلوا مثل فعله، لكن يصلي عليه عامةُ الناس؛ فهو ليس بكافر؛ وإنما الغرض تحذير الأحياء أن يعملوا مثل عمله.

وقد جاء في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ: «**لم يصلِّ على الزاني**»[3]، وهذا في أول الأمر، ثم صلى النبي ﷺ، على امرأة من جهينة أتته وهي حُبلى من الزنا[4]. فهذا إذا تأخر عنه أهل العلم؛ تحذيراً للأحياء، فهو حسن.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧١)، ومسلم (١٦٩١)، من حديث أبي هريرة ﷺ، وفي الباب عن جابر عند مسلم (٨٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٢٠)، ومسلم (١٦٩١)، من حديث جابر ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٩٦)، من حديث عمران بن حصين ﷺ.

## الخلاصة:

يصلى عليه ما دام أنه لم يفعل الكفر الأكبر، ولا النفاق الأكبر، ولا الشرك الأكبر، ولا الظلم الأكبر، ولا الفسق الأكبر، ولا الجهل الأكبر، ولو كان له ذنب صغير أو كبير، والكبائر ـ كما سبق ـ وهي: جمع كبيرة، **والكبيرة**: كل ذنب ترتب عليه حَدّ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة بالنار أو الغضب، أو اللعنة، أو نُفي عن صاحبه الإيمان، أو قال فيه ﷺ: «**ليس منا**»[(١)]، أو تبرأ منه النبي ﷺ، كما «**برئ النبي ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة**»[(٢)]، فالصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة؛ والحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، فهذه من الكبائر أيضاً.

## فائدةٌ:

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]، أن الله تعالى نهى نبيه ﷺ من الصلاة على أحد من الكفرة، أو القيام على قبره للدعاء بعد الدفن، والعلة هي: الكفر، فيبقى هذا النص عامّاً يشمل كل كافر، فلا يصلى عليه، ولا يقام على قبره للدعاء بعد دفنه، فضلاً عن أن يُحج عنه، أو يُتصدق عنه، بخلاف الموحِّدين من أهل القبلة، فإنه يُستغفر له، وتصلى عليه صلاة الجنازة، ويجوز أداؤها في المقبرة، وليست هي الصلاة المنهي عنها في المقبرة؛ لأن الصلاة المنهي عنها في المقبرة هي: الصلاة ذات الركوع والسجود، أما صلاة الجنازة، فليس لها ركوع ولا سجود؛ بل المقصود منها الدعاء، فلهذا يُصلى على الميت في المقبرة، ولو بَعد الدفن؛ لمن لم يصلِّ عليه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤)، من حديث أبي موسى ﷺ.

**والدليل على هذا:** أن النبي ﷺ لما مات الرجلُ، أو المرأةُ التي كانت تَقُمّ المسجدَ، ودفنوه، أو دفنوها ليلاً، وأخبروه، قال: «**دلوني على قبره**»[١]، فذهب إلى قبره، أو قبرها فصلى عليه، فهذا دليل على أن صلاة الجنازة المقصود منها: الدعاء، أما الصلاة التي لها ركوع وسجود، فلا تجوز في المقبرة، لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»[٢].

ولذلك لمَّا رأى بعضُ الصحابة رجلاً يصلي عند قبرٍ وهو لم يعلم أنه قبرَ، قال له: القبر؛ يعني: ابتعدْ عن القبر.

● **مسألة: هل يدخل في قول المؤلف** رحمه الله: (ومن مات من أهل القبلة) **المنافقون أو لا يدخل؟**

■ **الجواب**: إذا لم يظهر كفره؛ فإنه يُصلى عليه، ويُغسل، ويُدفن في مقابر المسلمين، ويرث، ويورث.

أما إذا أظهر كفره، فإنه لا يُصلى عليه؛ لأن المنافقين تجري عليهم أحكام الإسلام في الظاهر؛ **فمن أظهر منهم نفاقه**: قُتِل، **ومن لم يُظهر نفاقه**: يعامَل معاملةَ المسلمين في الدنيا، ولكن لا يفيده هذا في الآخرة، بل يكون في الدرك الأسفل من النار ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩٧٢)، من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه.

## الخاتمة

- وهذا ختامُ شرح هذه الرسالة النافعة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، وقد أتى على أصول في المسائل في البدع، وترك الخصومات، وترك المراء والجدل، والسنَّة، والقدر خيره وشره، ورؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، والقرآن، ورؤية النبي ﷺ ربه، والميزان، وكلام الله، والحوض، وعذاب القبر، والشفاعة، والمسيح الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، والإيمان، وترك الصلاة، وفضل الصحابة، والسمع والطاعة لولاة الأمور، والخروج على الأئمة وقتال اللصوص والخوارج، والشهادة بالجنة أو النار لمعين، ومصير أهل الذنوب في الآخرة، ومصير الكافر في الآخرة، والرجم لمن زنا، وانتقاص الصحابة، والنفاق، وتكفير العصاة، والجنة والنار، ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلى عليه، فينبغي للمسلم العناية بها.

نسأل الله للجميع العلم النافع، والعمل الصالح، ووفقنا لطاعته، وثبتنا على هداه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا.

❁ ❁ ❁

# فهرس الموضوعات والفوائد


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة الشارح: | ٥ |
| فصل في الحث على العلم | ٩ |
| ❊ أنواع الرياء | ١١ |
| ❊ مراتب المؤمنين | ١٣ |
| ❊ العلم ثلاثة أنواع | ١٤ |
| سند الرسالة إلى الإمام أحمد | ١٩ |
| المقصود بأصول السنة | ٢٠ |
| ❊ تعريف الصحابي | ٢٠ |
| • مسألة: إذا تخلل حياة الصحابي ردة فهل يعتبر صحابياً؟ | ٢٢ |
| ❊ المقصود بأصل الدين | ٢٣ |
| معنى السنة وعلاقتها بالقرآن | ٢٥ |
| ❊ السنة لها مع القرآن ثلاثة أحوال | ٢٥ |
| السنة اللازمة | ٢٩ |
| ❊ أصول الإيمان ستة | ٢٩ |
| ❊ الأدلة من القرآن والسنة على أصول الإيمان | ٣٠ |
| ❊ مراتب الإيمان بالقدر | ٣٠ |
| المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي | ٣١ |
| المرتبة الثانية: الكتابة | ٣١ |
| المرتبة الثالثة: الإرادة أو المشيئة | ٣٣ |
| المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد | ٣٤ |
| ❊ القدرية طائفتان | ٣٥ |
| الطائفة الأولى: غلاة القدرية | ٣٥ |
| الطائفة الثانية: عامة القدرية | ٣٥ |
| ❊ القدرية المجبرة طائفتان | ٣٦ |
| الطائفة الأولى: القدرية المشركية | ٣٦ |
| الطائفة الثانية: القدرية الإبليسية | ٣٦ |

الموضوع | الصفحة

● مسألة: أيهما أشد: القدرية المشركية أم القدرية الإبليسية ........ ٣٧
● مسألة: القدرية ينكرون علم الله فهل يلزم من ذلك أنهم ينكرون أن الله خلق أفعال العباد؟ ........ ٣٩
● مسألة: ........ ٤٠
* الأشاعرة والجهمية جبرية ........ ٤١
الإيمان بما جاء في الأحاديث ........ ٤٦
* الأدلة على إثبات الرؤية من الكتاب العزيز ........ ٤٧
* نوع الأحاديث الواردة في رؤية رب العالمين ........ ٤٨
* من أحاديث الرؤية ........ ٤٨
● مسألة: الفرق بين الأشعري والمعتزلي ........ ٥٢
● مسألة: الحكم في الأشاعرة ........ ٥٢
الجدال في الدين ........ ٥٤
● مسألة: ........ ٥٧
القرآن كلام الله وليس بمخلوق ........ ٥٨
* كلام الله نوعان ........ ٥٨
* أقوال الناس في مسمى الكلام والقول ........ ٦٤
القرآن لفظه ومعناه كلام الله ........ ٦٦
* طوائف أهل البدع في كلام الله ........ ٦٧
* بين الواقفة واللفظية ........ ٦٨
* حقيقة الخلاف بين الإمام أحمد والإمام البخاري في مسألة اللفظ ........ ٦٩
* الخلاصة في هذا الباب ........ ٧١
الإيمان بالرؤية يوم القيامة ........ ٧٢
* الذين أنكروا رؤية الله هم الجهمية والمعتزلة ........ ٧٤
* الأشاعرة أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة ........ ٧٤
* رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ ........ ٧٤
● مسألة: هل رأى النبي ﷺ ربه بعين رأسه ........ ٧٧
* أقوال العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه ﷻ ........ ٧٧
* مجموع ما دلت عليه النصوص في المسألة ........ ٨٠
* المراد بقول: رأى ربه بعيني فؤاده ........ ٨٠
* رؤية الله في المنام ........ ٨٠

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الإيمان بالميزان يوم القيامة | ٨٣ |
| ● مسألة: ما الذي يوزن في هذا الميزان؟ | ٨٤ |
| ❋ الأدلة على إثبات الميزان للأعمال | ٨٤ |
| ❋ الأدلة على أن صاحب العمل يوزن | ٨٦ |
| ● مسألة: كيف نجا صاحب البطاقة كما في الحديث؟ | ٨٧ |
| ● مسألة: هل الذي يوزن ثلاثة أم اثنان؟ | ٨٨ |
| ❋ موقف أهل البدع من الإيمان بالميزان | ٨٨ |
| الله يكلم العباد يوم القيامة | ٩١ |
| ❋ فائدة في معنى الترجمان | ٩٢ |
| الإيمان بالحوض | ٩٣ |
| ❋ صفة الحوض | ٩٣ |
| ● مسألة: هل الأنبياء لهم أحواض أم هو خاص بنبينا؟ | ٩٥ |
| ❋ الأمور التي تكون يوم القيامة | ٩٥ |
| ❋ النفخ في الصور | ٩٦ |
| ❋ بعث الأجساد | ٩٩ |
| ❋ الوقوف بين يدي الله للحساب | ٩٩ |
| ❋ الشفاعة | ٩٩ |
| ❋ تتطاير الصحف | ١٠٠ |
| ❋ الحوض | ١٠١ |
| ● مسألة: اختلف العلماء في الحوض والميزان أيهما يقدم؟ | ١٠١ |
| ❋ بعد الحوض وزن الأعمال ثم المرور على الصراط ثم الجنة أو النار | ١٠١ |
| ❋ الخلاصة: في الترتيب الصحيح لأحداث القيامة | ١٠٢ |
| ❋ ذكر الأمور العشرة في مراحل يوم القيامة | ١٠٣ |
| الإيمان بعذاب القبر | ١٠٤ |
| ❋ أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه من القرآن | ١٠٤ |
| ❋ المراد بالعذاب الأدنى | ١٠٥ |
| ❋ ثلاث بشارات للمؤمن | ١٠٥ |
| ❋ أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه من السنة | ١٠٦ |
| ❋ فائدة: لا يتعارض نقل صحيح وعقل صريح | ١١١ |
| ❋ ما يلحق بالإيمان بعذاب القبر ونعيمه | ١١٢ |
| ❋ عذاب القبر ونعيمه يكون بالروح والجسد معا | ١١٢ |

الموضوع — الصفحة

* مذهب المعتزلة في عذاب القبر ونعيمه: ........ ١١٣
* سبب فساد المعتزلة مخالفة النصوص ........ ١١٤
• مسألة: هل الجنة والنار يسكنها أحد الآن؟ ........ ١١٥
الإيمان بشفاعة النبي ﷺ ........ ١١٦
• مسألة: قصد الأنبياء عليهم السلام بقولهم "إن الله غضب اليوم غضباً لم يغضب قبل مثله" ........ ١١٨
• مسألة: الشفاعة من الحي الحاضر القادر لا بأس بها ........ ١١٩
الإيمان أن المسيح الدجال خارج وأنه مكتوب بين عينيه كافر ........ ١٢٣
* أنواع أشراط الساعة ........ ١٢٣
* أشراط الساعة الصغرى ........ ١٢٤
* أشراط الساعة الكبرى ........ ١٢٥
* خروج المهدي ........ ١٢٥
* خروج الدجال ........ ١٢٦
* حديث الجساسة ........ ١٢٩
• مسألة: هناك من ينكر الدجال الآن استدلالاً بحديث: «لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض ممن هو على ظهرها اليوم أحد» ........ ١٣٣
* الأحاديث التي وردت في وصف الدجال ........ ١٣٣
* نزول عيسى بن مريم عليه السلام ........ ١٣٤
* خروج يأجوج ومأجوج ........ ١٣٥
* نزع القرآن من الصدور والمصاحف ........ ١٣٦
* بقية أشراط الساعة الكبرى ........ ١٣٦
الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ........ ١٣٨
* المرويات عن الإمام أحمد وجماعة من السلف في إثبات زيادة الإيمان ونقصانه ........ ١٣٨
* مذهب المرجئة في الإيمان ........ ١٤١
* فرق المرجئة أربع ........ ١٤١
الطائفة الأولى: الجهمية ........ ١٤١
* أفسد تعريف لمسمى الإيمان هو تعريف الجهم ........ ١٤١
الطائفة الثانية: الكرَّامية ........ ١٤٢
الطائفة الثالثة: الماتريدية ........ ١٤٢
الطائفة الرابعة: مرجئة الفقهاء ........ ١٤٢

الموضوع الصفحة


❊ أول من قال بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان ........ ١٤٣
❊ تقرير مذهب جماهير أهل السنة في مسمى الإيمان ........ ١٤٣
❊ مذهب الخوارج والمعتزلة في مسمى الإيمان ........ ١٤٥
❊ نوع الخلاف مع مرجئة الفقهاء ........ ١٤٦
❊ التحقيق أن الخلاف مع مرجئة الفقهاء ليس لفظياً ........ ١٤٧
كفر تارك الصلاة ........ ١٤٩
• مسألة: تفصيل العلماء في ترك الصلاة ........ ١٥٠
• مسألة: لو أنكر إنسان وجوب الوضوء من أكل لحم الإبل هل يكفر؟ ........ ١٥٠
• مسألة: لو أنكر إنسان تحريم الدخان هل يكفر؟ ........ ١٥٠
• مسألة: لماذا لو أنكر إنسان تحريم الخمر يكفر ولو أنكر تحريم الدخان لا يكفر؟ ........ ١٥١
❊ أدلة القائلين بكفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً ........ ١٥٢
❊ مذهب المتأخرين من الفقهاء بعدم كفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً وأنه من الكفر الأصغر وذكر دليلهم ........ ١٥٤
❊ الترجيح بين القولين في كفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً، والصواب هو القول الأول ........ ١٥٤
• مسألة: هل يكفر تارك الصلاة بترك الصلوات كلها أم بترك بعضها؟ ١٥٥
❊ العمل مع تارك الصلاة ........ ١٥٦
❊ صلاة الجماعة ........ ١٥٦
❊ الواجب على المسلم في وقت الفتن ........ ١٥٩
أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ........ ١٦١
❊ ترتيب الصحابة في الفضل كترتيبهم في الخلافة ........ ١٦٢
❊ من اعتقد أن علياً أولى بالخلافة من عثمان فهو ضال عند أهل السنة والجماعة ........ ١٦٢
❊ فصل: أفضل الناس بعد الصحابة ........ ١٦٧
• مسألة: هل أهل بدر يلون العشرة المبشرين بالجنة أم أهل بيعة الرضوان؟ ........ ١٦٧
❊ الصواب في تعريف الصحابي ........ ١٦٩
❊ مذهب أهل البدع في الصحابة ........ ١٧٠
الطائفة الأولى: الرافضة ........ ١٧٠

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الطائفة الثانية: النواصب | ١٧٣ |
| * مذهب السلف وسط بين الروافض والنواصب | ١٧٣ |
| * القرون المفضلة ثلاثة | ١٧٥ |
| السمع والطاعة للأئمة | ١٧٦ |
| * تثبت الولاية بواحد من ثلاثة | ١٧٦ |
| * بم ثبتت خلافة الخلفاء الراشدين | ١٧٨ |
| * شروط الخليفة الذي يُختار | ١٧٨ |
| • مسألة: من غلب بسيفه؟ | ١٧٩ |
| الصلاة خلف الأئمة برهم وفاجرهم | ١٨٣ |
| • مسألة: هل تصح الصلاة خلف الفاسق، غير الإمام؟ | ١٨٥ |
| * الصلاة خلف أئمة الزيدية | ١٨٦ |
| * أقسام الأئمة في الصلاة ثلاثة | ١٨٦ |
| * الخروج على الأئمة | ١٨٧ |
| * الأدلة على تحريم الخروج على الأئمة | ١٨٨ |
| * مذاهب أهل البدع في الخروج على الأئمة | ١٨٩ |
| * أهل السنة لا يرون الخروج على الأئمة إلا بخمسة شروط | ١٩٠ |
| * الحكمة في عد جواز الخروج على ولي الأمر إذا فعل الكبائر | ١٩١ |
| قتال اللصوص والخوارج | ١٩٥ |
| الشهادة للمعين بالجنة أو بالنار | ١٩٩ |
| * أقوال أهل العلم في الشهادة للمعين بالجنة | ١٩٩ |
| * الصواب أنه لا يُشهد بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص | ٢٠٢ |
| حكم لقي الله بذنب يجب له به النار | ٢٠٤ |
| * تعريف الكبيرة | ٢٠٤ |
| * حالات الذي يلقى الله بذنب يجب به النار | ٢٠٥ |
| * شروط التوبة | ٢٠٥ |
| الرجم حق على من زنى وقد أُحصن | ٢١٠ |
| * يحصل الرجم في حالتين | ٢١٠ |
| * لم يثبت في السنة أنه حصل الرجم بشهادة أربعة | ٢١١ |
| تنقص الصحابة وبغضهم وذكر مساوئهم | ٢١٣ |
| * بعض الأدلة على كفر الروافض | ٢١٤ |

الموضوع | الصفحة

• مسألة: يستدل من يطعن في الصحابة بالقتال الذي وقع بينهم، ويقول ورد حديث: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» ........ ٢١٥
❊ مراتب الصحابة ........ ٢١٧
❊ عقيدة أهل السنة في الصحابة ........ ٢١٩
❊ نوع الأخبار المروية عن الصحابة فيما شجر بينهم ........ ٢١٩
النفاق هو الكفر ........ ٢٢١
❊ الكفر في الشرع ينقسم إلى قسمين ........ ٢٢٢
❊ الكفر الأكبر الذي يخرج من الملة أنواع ........ ٢٢٢
النوع الأول: كفر النفاق ........ ٢٢٢
❊ النفاق يوجد إذا قوي الإسلام ........ ٢٢٣
❊ تعريف المنافق ........ ٢٢٣
❊ تسميات المنافقين بعد عهد النبوة ........ ٢٢٥
❊ أنواع كفر النفاق ........ ٢٢٦
❊ أنواع النفاق ........ ٢٢٦
النوع الثاني: كفر الجحود والتكذيب ........ ٢٢٦
النوع الثالث: كفر الإباء والاستكبار ........ ٢٢٧
النوع الرابع: كفر الشك والظن ........ ٢٢٨
النوع الخامس: كفر الإعراض ........ ٢٢٩
❊ الشرك والظلم والفسق والجهل نوعان ........ ٢٣٠
❊ حد الكفر الأصغر ........ ٢٣٠
• مسألة: هل القتال بين المسلمين كفر يخرج من الملة؟ ........ ٢٣٣
• مسألة: ورد لفظ الكفر في بعض النصوص فهل هذا الكفر مخرج من الملة؟ ........ ٢٣٥
❊ خلاصة الباب ........ ٢٣٧
الجنة والنار مخلوقتان ........ ٢٣٨
❊ الأدلة على أن الجنة والنار موجودتان الآن ........ ٢٣٩
❊ المخالفون في أن الجنة والنار موجودتان الآن ........ ٢٤١
❊ الأدلة على وجود الجنة والنار الآن ........ ٢٤٢
• مسألة: فناء الجنة والنار ........ ٢٤٦
❊ ذكر الأقوال في مسألة فناء الجنة والنار ........ ٢٤٦

الموضوع — الصفحة
* فائدة: من مات وهو ملتزم بأحكام الشريعة ولم يفعل ناقضاً من نواقض الإسلام فإنه يُصلى عليه ويُستغفر له: ........ ٢٤٩
* خلاصة الباب ........ ٢٥١
* فائدة: معنى قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ ........ ٢٥١
• مسألة: هل يدخل المنافقون فيمن مات من أهل القبلة؟ ........ ٢٥٢
الخاتمة ........ ٢٥٣
فهرس الموضوعات والفوائد ........ ٢٥٥

طبع بتمويل مؤسسة الشيخ سليمان الراجحي الخيرية